التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين

تأليف

أبي حامد بن مرزوق

رحمه الله تعالى

قد اعتنى بطبعه

حسين حلمي بن سعيد استنبولي

يطلب من المكتبة ايشيق بشارع دار الشفقة بفاتح ٧٢

...لادى

4129

ذخیرہ صاحبزادہ میاں جمیل احمد نقشبندی مجددی

87409

PUNJAB
UNIVERSITY
LIBRARY
LAHORE

CLASS NO.....

BOOK NO .....

S-369 —Punjab University Press— 10.000- 29-1-2003

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي عباده الى الطريق الأقوم ، المتفضل عليهم بنعمة الاسلام ودقائق الحكم ، الناهي لهم عن التنازع في كتابه المحكم ، والصلاة والسلام على أشرف مبعوث الى جميع الامم ، سيدنا محمد القائل « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » ، وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء لكل فصيح وأعجم •

فهذه خلاصة علمية في عقائد محمد بن عبد الوهاب ومقلّديه جمعت اكثر درّها المنقول والمعقول من تحقيق علماء الاسلام الذين عرفوا قدرها بتاريخ الاسلام ، ودعمتها بكثير من آيات الكتاب الحكيم ، وغرة الصلاة والسلام ، فجاءت بحمد الله حصناً منيعاً لا يرام •

وقد رد بعض أتباع الأئمة الأربعة عليه وعلى مقلديه بتآليف كثيرة جيدة ، وممن رد عليه من الحنابلة أخوه سليمان بن عبد الوهاب ، ومن حنابلة الشام آل الشطي والشيخ عبد الله القدومي النابلسي في رحلته ، وكلها مطبوعة ، في ناحيتين : زيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، والتوسّل به وبالصالحين من أمته ، وقالوا : انه مع مقلّديه من الخوارج • وممن نص على هذا العلامة المحقق السيد محمد أمين بن عابدين في حاشيته « رد المحتار على الدر المختار » في باب : « البغاة » ، والشيخ الصاوي المصري في حاشيته على الجلالين ، لتكفيره أهل (لا اله الا الله محمد رسول الله) برأيه ، ولا شك ان التكفير سمة الخوارج وكل المبتدعة الذين يُكفّرون مخالفي رأيهم من أهل القبلة ، ولا تفيد هذه الخلاصة مَنْ مرق الى الجهة الاخرى ، لأن العلماء قالوا إن البدعة إذا رسخت في قلب لا يرجع صاحبها عنها ولو رأى ألف دليل واضح وضوح الشمس يبطلها إلا إذا أدركه عناية الله ، وانما هي عاصمة إن شاء الله تعالى من لم يدخل في بدعهم •

وتنحصر أمهات عقائد محمد بن عبد الوهاب ومقلديه في اربع : تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه ، وتوحيد الالوهية والربوبية ، وعدم توقيرهم النبي صلى الله عليه وسلم ،

Marfat.com

وتكفير المسلمين • وهو مقلِد فيها كلها احمد بن تيمية ، وهذا مقلِد في الأولى الكرامية ومجسمة الحنابلة ، ومقتد بهما وبالحروزيين في الرابعة ، ومخترع توحيد الالوهية والربوبية الذي تفرع عنه عدم توقيرهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكفير المسلمين أيضاً • وثقةُ نقل دين الاسلام محصورة عندهم فيه وفي تلميذه ابن القيم وفي محمد ابن عبد الوهاب ، فلا يثقون بأيّ عالم من علماء المسلمين ولا يقيمون له وزناً إلا اذا وجدوا في كلامه شبهة تؤيد هواهم ، فدين الاسلام الواسع محصور علماؤه في الثلاثة ، وأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المرحومة المنتشرة منذ توسع الفتح الاسلامي في خلافة ذي النورين عثمان رضي الله تعالى عنه الى عصرنا هذا في اكثر الربع العامر وهي أكثر الأمم جميعاً أحباراً ومؤلفين ، وهي ايضا ثلثا أهل الجنة كما في الحديث الصحيح محصورة فيهم وفي علمائهم الثلاثة ، وكل من له إلمام بالعلم وطالع تآليف ابن القيم ورسائل ابن عبد الوهاب مجرداً نفسه عن العاطفة متحلياً بالانصاف يجدهما مقلِّدَيْنِ ابن تيمية في فهمه كله ، مؤلَّهَيْنِ هواه ، ممتازاً أولهما : بالمدافعة عن شواذ شيخه مدافعة معتوه ، وما أجاد فيه الكتابة من الأبحاث العلمية اخذه من تحقيق من سبقه من علماء المسلمين وتشبع به ولم يُعْزِهِ الى محققيه (كما هي أمانة نقل العلم عن العلماء)•

والقارىء البسيط يظن تلك الاجادة منه ، وانما هو جَمَّاعةٌ" مطلع مقلد في جل الفروع الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ، وفي بعضها وفي اصول الدين احمد بن تيمية متعصب لهما تعصباً جنونياً • وابن عبد الوهاب نشأ في محيط عوام فانتحل شواذ ابن تيمية على مافيها من تضارب وتخبط والتهمها فصار بها إماماً مجتهداً مجدداً معصوماً فهمه وكلامه عن الخطأ ، مؤمنا موحداً كل من قلده ، جهمياً مشركا كل من خالف هواه ، فيخرج بنتيجة واحدة وهي ان علم اصول الدين على غزارة مادته وكثرة مباحثه وبعض الفروع محصور في فهم احمد بن تيمية ، وفهمه معصوم من الخطأ ، وكلامه عندهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعلماء الاسلام الأولون والآخرون على كثرتهم ممثلون في شخصه ، وحيث صار إماماً قدوة للمفتونين به مع كونه من الخلف توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة • فاني سأنقل بحول الله تعالى وقوته كلامه في الامهات الأربع من كتبه ورسائله ليراه الألباء فيتحققوا شذوذه عن السواد الأعظم ، ثم أُبْطِلُه مفصلا بالبراهين ، وسيأتي شرح حال كل من الثلاثة •

Marfat.com

حديث اخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ورواه الامام احمد والطبراني في الكبير وابن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي بصرة الغفاري ، رفعه في حديث « سألت ربي ان لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها » والطبراني وحده وابن أبي عاصم في السنة عن مالك الأشعري رفعه « ان الله أجاركم من ثلاث خلال أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً ، وأن لا يظهر أهل الباطل على اهل الحق ، وان لا تجتمعوا على ضلالة » ، ورواه ابو نعيم والحاكم وابن منده ومن طريقه الضياء المقدسي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رفعه : « ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة ابداً ، وان يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فان من شذ شذ في النار » ، ورواه عبد بن حميد وابن ماجه عن أنس رفعه « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الاعظم » ، ورواه الحاكم عن ابن عباس رفعه بلفظ « لا يجمع الله هذه الامة على ضلالة ويد الله مع الجماعة » ،والجملة الثانية عند الترمذي وابن أبي عاصم عن ابن مسعود موقوفا في حديث « عليكم بالجماعة فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة » وزاد غيره « وإياكم والتلون في دين الله » .

قال المحدث العجلوني في كشف الخفا والالباس : والحديث مشهور المتن وله أسانيد كثيرة وشواهد عديدة في المرفوع وغيره ، فمن الأول « أنتم شهداء الله في الارض» ، ومن الثاني قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه « اذا سئل احدكم فلينظر في كتاب الله فان لم يجده ففي سنة رسول الله فان لم يجده فيها فلينظر فيما اجتمع عليه المسلمون ، والا فليجتهد » إ هـ .

واني أبتهل الى الله تعالى أن يحفظ عليّ وعلى جميع المسلمين الايمان الى يوم القاء (يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك .. يا الله) .

Marfat.com

الفصل الأول :

في التجسيم

عقيدة مقلدي محمد بن عبد الوهاب في الله سبحانه وتعالى التجسيم ، وهو مقلد فيه أحمد بن تيمية ، وهذا مقلد فيه الكرامية ومجسمة الحنابلة وهم مع مقلَّدهم ومقلِّده لا يصرحون به بل يبرأون منه • وقد صرح به ابن تيمية مرة على منبر دمشق الشام فقال : ينزل كَنُزُولي هذا ، ونزل درجة من المنبر ، وممن شاهد هذه القضية منه الفقيه الرحالة ابن بطوطة المغربي ، ولكنهم يدندنون حوله ويلوكونه دائما بهذه الالفاظ : « في السماء ، فوق سبع سماواته ، على عرشه ، استوى بذاته ، استوى حقيقة ، على عرشه بائن من خلقه » ، فلو استظهروا بجميع أهل الأرض على اثبات أي لفظ من هذه الألفاظ باسناد صحيح عن أي واحد من أتباع التابعين لم يستطيعوا ذلك فضلاً عن اثباته عن التابعين ، فضلاً عن اثباته عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ، فضلاً عن اثباته عن الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وحيث صارت لهم مادة تؤيدهم عليه فقد صرحوا به طبقاً لسلفهم الكرامية ومجسمة الحنابلة ، فيما طبعوه من كتبهم كـ « كتاب السنة » المنسوب لعبد الله بن الامام احمد بن حنبل وكتاب « النقض علي بشر المريسي » المنسوب لعثمان بن سعيد الدارمي و « طبقات ابن أبي يعلى » وكتاب « السنة » جزء صغير مجزأ الى ثلاثة أجزاء صغار ، عنوانه على الاول : كتاب السنة للامام احمد بن حنبل ، عني بتصحيحه والاشراف على طبعه لجنة من العلماء تحت رئاسة الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ ، أمر بطبعه على نفقته وجعله وقفاً لله تعالى الملك عبد العزيز آل سعود بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة لصاحبيها عبد الفتاح قتلان ومحمد صالح نصيف سنة ١٣٤٩ هـ ، وعنوانه على الثاني كتاب « السنة » تأليف عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ، وأهملا الثالث من العنوان •

Marfat.com

ردّ العلّامة شهابُ الدّين أحمد بن يحيى الحلبي

على ابن تيمية في الجهة

ذكر التاج السبكي في ترجمة العلامة شهاب الدين احمد بن يحيى بن جبريل الكلابي الحلبي المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة رسالة له نفيسة في الرد على ابن تيمية في مسألة الجهة ، وساقها كلها = وهي في نحو ثلاثين صفحة مقدمته في نحو ست صفحات اقتطفت منها ما يأتي : قال : (فأقول) ادعى أولاً انه يقول بما قاله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ، ثم انه قال ما لم يقله الله تعالى ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ولا شيئاً منه • فأما الكتاب والسنة فسنبين مخالفته لهما ، وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنطار ، فذكره لهم في هذا الموضع استعارة للتهويل والا فهو لم يورد من أقولهم كلمة واحدة ، لا نفياً ولا اثباتا ، واذا اتصفحت كلامه عرفت ذلك ، اللهم الا أن يكون مراده بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مشايخ عقيدته دون الصحابة • وأخذ بعد هذه الدعوى في مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي مدح دينه وان أصحابه أعلم الناس بذلك ، والأمر كما قاله وفوق ما قاله ، وكيف المدائح تستوفي مناقبه ، ولكن كلامه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : كلمة حق أريد بها باطل •

ثم أخذ بعد ذلك في ذم الأئمة وأعلام الأمة ، حيث اعترفوا بالعجز عن ادراكه سبحانه وتعالى ، مع أن سيد الرسل صلى الله تعالى عليه وسلم قال : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وقال الصديق رضي الله تعالى عنه : العجز عن درك الادراك ادراك ، وتجاسر المدعي على دعوى المعرفة وان ابن الحيض قد عرف القديم على ما هو عليه ولا غرور ولا جهل اعظم ممن يدعي ذلك ، فنعوذ بالله تعالى من الخذلان • ثم أخذ

Marfat.com

بعد ذلك في نسبة مذهب جمهور امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى أنـه مذهب فراخ الفلاسفة وأتباع اليونان واليهود ، ستكتب شهادتهم ويسألون •

ثم قال كتاب الله تعالى من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة ، مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في الله تعالى ، انه فوق كل شيء وعلى كل شيء وانه فوق العرش وانه فوق السماء •

ابطال زعم ابن تيمية : ان الله فوق العرش حقيقة

وقال في أثناء كلامه وأواخر ما زعمه : انه فوق العرش حقيقة ، وقاله في موضع آخر عن السلف فليت شعري أين هذا في كتاب الله تعالى على هذه الصورة التي نقلها عن كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ، وهل في كتاب الله تعالى كلمة مما قاله حتى يقول إنه فيه نص ، والنص هو الذي لا يحتمل التأويل ألبتة ؟ وهذا مراده ، فانه جعله غير الظاهر لعطفه له عليه واي آية في كتاب الله تعالى نص بهذا الاعتبار ؟ ، فأول ما استدل به قوله تعالى « اليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ » ، فليت شعري أي نص في الآية أو ظاهر على أن الله تعالى في السماء أو على العرش ؟ ، ثم نهاية ما يتمسك به أنه يدل على علو يفهم من الصعود ، وهيهات زل حمار العلم في الطين ، فان الصعود في الكلام كيف يكون حقيقة ، مع أن المفهوم في الحقائق ان الصعود من صفات الاجسام؟ فليس المراد الا القبول ، ومع هذا لا حد ولا مكان •

ثم أفاض العلامة المذكور في نقض ما احتج به ابن تيمية من المتشابه ، وزعم أنه نص في أن الله تعالى فوق العرش حقيقة ، وفي السماء ، وعلى السماء ، في نحو احدى عشرة صفحة ، ثم قال : فنقول له ما تقول فيما ورد من ذكر العيون بصفة الجمع وذكر

Marfat.com

الجنب وذكر الساق الواحد وذكر الأيدي ؟ ؟ فان أخذنا بظاهر هذا يلزمنا اثبات شخص له وجه واحد عليه عيون كثيرة وله جنب واحد عليه أيد كثيرة ، وله ساق واحد وأي شخص يكون في الدنيا أبشع من هذا ؟ وان تصرفت في هذا بجمع وتفريق بالتأويل فلم لا ذكره الله تعالى ورسوله وسلف الأمة ؟

وقوله تعالى في الكتاب العزيز « اللهُ نورُ السَّمَوات والأرضِ » ، فكل عالم يعلم أن النور الذي على الحيطان والسقوف وفي الطرق والحشوش ، ليس هو الله تعالى ولا قالت المجوس بذلك • فان قلت بأنه هادي السموات والأرض ومنورهما ، فلِمَ لا قاله الله تعالى ولا رسوله ولا سلف الامة ؟ •

ثم أفاض معه أيضاً في الآيات والأحاديث المتشابهة التي تمسك بها على مدعاه ، ثم قال له : هل تأمن من المجسّم أن يقول لك ظواهر هذه كثيرة تعدت الحصر أضعاف أحاديث الجهة ؟ ، فان كان الأمر كما يقولون في نفي الجسمية مع أنه لم يأت في شيء من هذه ما بيّن خلاف ظواهرها لا عن الله تعالى ولا عن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن سلف الامة ، فحينئذ يكيل لك المجسم بصاعك ويقول لك لو كان الأمر كما قلت لكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم •

وان قلت : ان العمومات قد بيّنت خلاف ظواهر هذه ، لم تجد منها نافياً للجسمية الا وهو ناف للجهة ، ثم ما يؤمنك من تناسخي يفهم من قوله تعالى : « في أيِّ صُورةٍ ما شاءَ ركّبَكَ » مذهبه ، ومن معطل يفهم من قوله تعالى : « ممَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ » مراده ، فحينئذ لا تجد مساغاً لما نقض به من ذلك إذ الأدلة الخارجة عن هذه الألفاظ •

Marfat.com

الزامه له في قوله : ان مقالة الشافعية والحنفية والمالكية يلزمهـا ان يكون ترك النـاس بلا كتـاب ولا سنة اهـدى لهم منها ، بالكفر

ثم صار حاصل كلامك : أن مقالة الشافعية والحنفية والمالكية يلزمها ان يكون ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم ، أفتراهم يكفرونك بذلك أم لا ، ثم جعلت أن مقتضى كلام المتكلمين أن الله تعالى ورسوله وسلف الأمة تركوا العقيدة حتى بينها هؤلاء فقل لنا إن الله ورسوله وسلف الامة بيَّنوها ثم انقل عنهم أنهم قالوا كما تقول إن الله تعالى في جهة العلو لا في جهة السفل ، وان الاشارة الحسية جائزة اليه ، فاذا لم تجد ذلك في كتاب الله ولا في كلام رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا في كلام أحد من العشرة ولا في كلام أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ، فَعُدَّ على نفسك باللائمة ، وقل لقد ألزمتُ القوم بما لا يلزمهم •

ثم قلت عن المتكلمين إنهم يقولون ما يكون على وفق قياس العقول فقولوه والا فانفوه ، والقوم لم يقولوا ذلك بل قالوا صفة الكمال يجب ثبوتها لله تعالى وصفة النقص يجب نفيها عنه كما قاله الامام أحمد رضي الله تعالى عنه ، قالوا : وما ورد من الله تعالى ومن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فليعرض على لغة العرب التي أرسل الله تعالى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بلغتها كما قال تعالى : « وما أرسَلْنَا مِنْ رسُول إلاَّ بلِسَانِ قوْمِهِ » فما فهمت العرب فافهمه ومن جاءك بما يخالفه فانبذ كلامه نبذ الحذاء المرقّع واضرب بقوله حائط الحش •

Marfat.com

عقيدة ابن تيمية التي خالف بها جماعة المسلمين

وأساء القول فيهم في تلقفها من حثالة الملاحدة الطاعنين في القرآن

ثم نعقد فصلاً ان شاء الله تعالى بعد افساد ما نزع به في سبب ورود هذه الآيات على هذا الوجه ، فانه انما تلقف ما نزع به في مخالفة الجماعة وأساء القول على المسألة من حثالة الملاحدة الطاعنين في القرآن ، وسنبين ان شاء الله تعالى ضلالهم ، ويعلم إذ ذاك من هو من فراخ الفلاسفة واليهود ، ثم لو استحيى الغافل لعرف مقدار علماء الأمة رحمهم الله تعالى ، ثم هل رأى من رد على الفلاسفة واليهود والروم والفرس غير هؤلاء الذين جعلهم فراخهم ؟ ، وهل اتكلوا في الرد على هذه الطوائف على قوم لا عقل لهم ولا بصيرة ولا إدراك ؟ ، ثم يدرونهم يستدلون على اثبات الله تعالى في الحجاب على منكره بالنقل ، وعلى منكري النبوة بالنقل ، حتى يصير مضغة للماضغ وضحكة للمستهزيء ، وشماتة للعدو وفرحاً للحسود إ هـ .

ثم قال العلامة المذكور : ثم أفاد المدعى وأسند أن هذه المقالة (يعني في نفي الجهة لله تعالى) مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركين ، وذكر ابن تيمية اسنادها إلى لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال العلامة الراد : فيقال له : أيها المدعي أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود قد خالفت الضرورة في ذلك ، فانه ما يخفى على جميع الخواص وكثير من العوام أن اليهود مجسمة مشبهة ، فكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذاً عنهم ؟ ، وأما المشركون فكانوا عباد أوثان ، وقد بيّنت الأئمة ان عبدة الاصنام تلامذة المشبهة وأن أصل عبادة الصنم التشبيه ، فكيف يكون نفيه مأخوذاً عنهم ، وأما الصابئة فبلدهم معروف واقليمهم مشهور ، وهل نحن منه أو خصومنا ؟ ، واما كون الجعد بن درهم من أهل حرّان ، فالنسبة صحيحة ، وترتيب هذا السند الذي ذكره سيسأله الله تعالى عنه ، والله من ورائه بالمرصاد ؛ وليت لو أتبعه أن سند دعواه وعقيدته أن فرعون ظن أن إله موسى في السماء .

Marfat.com

مخالفة ابن تيمية لعلماء الاسلام قاطبة

في تفسير قول الامـام مالك (الاستواء معلوم والكيف مجهول)

ثم قال العلامة : ثم أخذ بعد ذلك في تصديق عزوته الى المهاجرين والأنصـار رضي الله تعالى عنهم ، وشرع في النقل عنهم فقال : قال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ، فنقول له أول ما بدأت به الأوزاعي وطبقته ومن بعدهم ، فأين السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؟ ، وأما قول الأوزاعي فأنت قد خالفته ولم تقل به ، لأنك قلت إن الله ليس فوق عرشه لأنك قررت أن العرش والسماء ليس المراد بهما إلا جهة العلو ، وقلت المراد من فوق عرشه والسماء ذلك ، فقد خالفت قول الأوزاعي صريحاً مع أنك لم تقل قط ما يفهم ، فان قررت أن السماء في العرش كحلقة ملقاة في فلاة فكيف تكون هي بعد ؟ .

ثم من أين لك صحة النقل عن الأوزاعي ؟ ، وبعد مسامحتك في كل ذلك ما قال الأوزاعي : الله فوق العرش حقيقة ، فمن أين لك هذه الزيادة ؟ .

ونقل عن مالك بن أنس والثوري والليث والأوزاعي أنهـم قالـوا في أحاديث الصفات أقِروها كما جاءت ، فيقال له لِمَ لا أمسكت على ما أمرْت به الأئمة بل وصفت الله تعالى بجهة العلو ولم يرد بذلك خبر ؟ ، ولو بذلت قراب الأرض ذهبـاً عـلى أن تسمعها من عالم رباني لم تفرح بذلك ، بل تصرفت ونقلت على ما خطر لك وما أمررت ولا أقررت ولا امتثلت ما نقلته عن الأئمة .

وروى قول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول فليت شعري من قال إنه مجهول بل أنت زعمت أنه لمعنى عيَّنته وأردت أن تعزوه إلى الامامين ؟ ، ونحن لا نسمح لك بذلك ، ثم نقل عن مالك انه قال للسائل : الايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به فأخرج ، فيقال له ليت شعري من امتثل منا قول مالك ؟ ، هل امتثلناه

Marfat.com

نحن حيث أمرنا بالامساك وألجمنا العوام عن الخوض في ذلك ؟ ، أو الـذي جعله دراسته يلقيه ويلفقه ويلقنه ويكتبه ويدرسه ويأمر العوام بالخوض فيه ، وهل أنكر على المستفتي في هذه المسألة بعينها وأخرجه كما فعل مالك رضي الله تعالى عنه فيها بعينها ؟ ، وعند ذلك يعلم أن ما قاله عن مالك حجة عليه لا له إ هـ •

منشأ اعتقاد الجهة لله تعالى قياس الخالق على المخلوق

واول من قاس قياسا فاسدا ابليس

قد تقرر فيما تقدم أن هذه الطائفة مقلدي محمد بن عبد الوهاب مجسمة مكفرة ، وأن مقلدهم محمد بن عبد الوهاب مقلِد فيهما أحمد بن تيمية ، وهـذا مقلـد فيهما الكرامية وطائفة من الحنابلة ، وهذه الطائفة قـال فيها ابن الجوزي الحنبلي : أنهـم شانوا مذهب أحمد ، وفضحوا ذاك الامام بجهلهم ، وان مذهبه التنزيه ولكنهم اختلوا وأنه أدرك منهم مشايخا ، واكثر من أدركه لا عقل له وصاحب الدار أدرى بما فيها •

وتحقق من رسالة العلامة أحمد بن يحيى الكلابي الحلبي في رده على ابن تيمية ان ابن تيمية جازم بأن الله تبارك وتعالى في جهة العلو فوق العرش حقيقة مؤول للسماء بجهة العلو ، وقد صرح بجهة العلو لله تبارك وتعالى في كتابه : « منهاج السنة » ، مفسراً لقول الامام مالك في : (الرحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى)، الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، بأنه معلوم جلوسه تبارك وتعالى على العرش وكيفية جلوسه مجهولة ، شاذاً عن علماء الاسلام الأعلام الذين فسروه بأنـه معلوم في لغة العرب ، ولكن حيث كان الاستواء متعلقاً بالله جل جلاله فكيفيته مجهولة ، وقد صرح بالجسمية لله تعالى في كتابه العرش ، كما ذكره صاحب « كشف الظنون » ناقلاً له عن أبي حيان قال : ذكر فيه أن الله سبحانه وتعالى يجلس على العرش وقـد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما ذكر ذلك أبو حيان

Marfat.com

في النهر في قوله سبحانه وتعالى (وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ) قال التقي السبكي : وكتاب العرش من أقبح كتبه إ هـ •

ومن تجرد عن العاطفة وطالع تآليفه وتآليف تلميذه ابن القيم ، وقد طبعت بانصاف ، يجد فيها هذه المصائب كلها ، التجسيم واعتقاد الجهة لله وتكفير المسلمين المخالفين لرأيه ، وغير ذلك كما يجدها مملوءة بنسبة هذا الوضر إلى السلف الصالح افتراء وتلبيسا وتهويلاً على البسطاء فلو اجتمع معه الثقلان على إثبات التصريح بالجهة لله تعالى باسناد صحيح عن أتباع التابعين لم يستطيعوا ذلك ، فضلاً عن اثباته عن التابعين فضلاً عن اثباته عن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، فضلاً عن اثباته عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

ومن أثنى على هذا الرجل من المعاصرين له والمتأخرين عنه ونسبه الى مذهب السلف الصالح ، كالملا ابراهيم الكوراني على قاعدة وجوب تحسين الظن بالمسلم لا سيما من انتسب الى العلم ، لم يطلع على تآليفه ، وتضارب كلامه وتخليطه فيها ، ومن دافع عنه وبرأه وجهّل العلماء الذين ناظروه فأفحموه وردوا عليه بالتآليف فأجادوا فهو إما جاهل مؤجّر ، كنعمان الالوسي في كتابه « جلاء العينين في محاكمة الأحمدين واما جاهل مفتتِن به ، كصديق حسن خان ملك يهوبال ، فانه افترى على أهل الحديث كلهم وعلى الأشاعرة بأنهم تيمية ، أي يعتقدون أن الله تبارك وتعالى في جهة العلو في كتابه : (الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح) ، الذي شرح به في زعمه عقيدة المحدث شاه ولي الله الدهلوي المطبوع على هامش ، (جلاء العينين) قال فيه : ومن الذين أثبتوها (يعني الجهة لله) بالنقل أهل الحديث بأجمعهم والأشاعرة ، وتسمية المتكلمين إياهم بالمجسّمة والمشبهة تعصب منهم وتحكم إ هـ • وقد بلغني أن صديق حسن هذا كان يجمع عنده طلبة العلم فيُغْدِقُ عليهم المالَ ، فيكتبون له ما يريد وينسبون اليه ومحمد بن علي الشوكاني وسيأتي بسط حاله •

Marfat.com

جمهور الامة الاسلامية على تنزيه الله تعالى

عـن مشابهـة الحوادث

اتفق العقلاء من اهل السنة الشافعية والحنفية والمالكية وفضلاء الحنابلة وغـيرهم على أن الله تبارك وتعالى منزه عن الجهة والجسمية والحد والمكان ومشابهة مخلوقاته •

كلام أبي المعالي امام الحرمين

في «لمع الادلة» في تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث كلام شارحها شرف الدين بن التلمساني

قال أبو المعالي امام الحرمين في كتابه : « لمع الأدلة في قواعد عقائد اهل السنة » ، الرب سبحانه وتعالى تقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحـاذاة ، لا تحـده الأفكار ولا تحويه الأقطار ولا تكتنفه الأقدار ، ويجل عن قبول الحد والمقدار ، والدليل على ذلك أن كل مختص بجهة شاغل لها ، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها ، وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق حادث كالجواهر •

وأطال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرحها الكلام على ذلك إلى أن قال : بالجواب الجملي عن الجميع ، أي جميع متشابهات الكتاب والسنة التي تمسك بها مثبتو الجهة لله تعالى ، ان الشرع انما يثبت بالعقل فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فانـه شاهده ، فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل معاً إ هـ •

وقال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصـد : واما القائلـون بحقيقـة الجسمية والحَيِّز والجهة ، فقد بنوا مذهبهم على قضايا وهمية كاذبة تستلزمها وعلى ظواهر آيات وأحاديث تشعر بها ، أما الاول فكقولهم : كل موجود فهو إما جسم أو حال في جسم ، والواجب يمتنع أن يكون حالاً في الجسم لامتناع احتياجه ، فتعين كونه جسماً وكقولهم : كل موجود إما متحيز أو حالّ في المتحيز ، ويتعين كونه متحيزاً لما مر" ، وكقولهم : الواجب اما متصل بالعالم وإما منفصل عنه ، وأياً ما كان يكون في جهة منه ، وكقولهم : الواجب اما داخل في العالم فيكون متحيزاً أو خارج عنه فيكون في جهة

Marfat.com

منه ويدعون في صحة هذه المنفصلات وتمام انحصارها الضرورة ، والجواب : المنع كيف وليس تركيبها عن الشيء ونقيضه أو المساوي لنقيضه ، وأطبق اكثر العقلاء على خلافها وعلى ان الموجود إما جسم أو جسماني ، أو ليس بجسم ولا جسماني ، وكذا باقي التقسيمات المذكورة والجزم بالانحصار في القسمين انما هو من الأحكام الكاذبة للوهم ، ودعوى الضرورة مبنية على العناد والمكابرة أو على أن الوهميات كثيراً ما تشتبه بالأوليات.

واما الثاني فكقوله تعالى : (هل ينْظُرُونَ إلا أنْ يأتِيَهُمُ اللهُ)،(الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى) ، (اليْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ) ، (ويَبْقَى وجْهُ ربِّكَ) ، (يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ) ، (ولتصْنَعَ على عَيْني) ، (لما خلقت بيدي) ،(والسَّمَواتُ مَطْوِيَّاتٌ بيَمِينِهِ) ، (يا حَسْرَتا على ما فرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ) الى غير ذلك ، وكقوله عليه الصلاةوالسلام للجارية : (أين الله) فقالت : في السماء ، فلم ينكر عليها وحكم باسلامها ، وكقوله عليه الصلاة والسلام : (ان الله ينزل الى سماء الدنيا ـ الحديث) ، (ان الله خلق آدم على صورته) ، (ان الجبار يضع قدمه في النار) ، (انه يضحك إلى أوليائه) ، (ان الصدقة تقع في كف الرحمن) الى غير ذلك .

والجواب أنها ظنيات سمعية في معارضة قطعيات عقلية ، فيقطع بأنها ليست على ظواهرها ، ويفوض العلم بمعانيها الى الله تعالى مع اعتقاد حقيقتها جرياً على الطريق الأسلم الموافق للوقف على « إلاَّ الله » في قوله تعالى : « وما يَعْلَمُ تأويلَهُ إلاَّ الله » ، أو تؤول تأويلات مناسبة موافقة لما عليه الأدلة العقلية ، على ما ذكر في كتب التفاسير وشروح الأحاديث ، سلوكاً للطريق الأحكم الموافق للعطف في (إلا اللهُ والراسخُونَ في العِلْم) .

فان قيل : اذا كان الدين الحق نفى الحيّز والجهة ، فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشحونة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك ، من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك وتحقيق ؟ ، كما كررت الدلالة على وجود الصانع ووحدتهوعلمه وقدرته وحقيقة المعاد وحشر الأجساد في عدة مواضع ، وأكدت غاية التأكيد مع أن هذا

Marfat.com

أيضا حقيق بغاية التأكيد والتحقيق ، لما تقرر في فطرة العقلاء ، مع اختلاف الأديان والآراء من التوجه الى العلو عند الدعاء ورفع الأيدي الى السماء •

اجيب : بأنه لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصر عنه عقول العامة ، حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب الى صلاحهم والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهراً في التشبيه ، وكون الصانع في أشرف الجهات ، مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق عما هو من سمات الحدوث ، وتوجه العقلاء الى السماء ليس من جهة اعتقادهم انه في السماء بل من جهة أن السماء قبلة الدعاء ، إذ منها تتوقع الخيرات والبركات وهبوط الأنوار ونزول الأمطار إ هـ •

وقال بعضهم : ليس في ذلك دليل على كونه في الجهة ، وهذا لأنهم أمروا بالتوجه في الصلاة الى الكعبة وليس هو في جهة الكعبة ، وأمروا برمي أبصارهم إلى موضع سجودهم حالة القيام في الصلاة وليس هو في الأرض ، وكذا حال السجود أمروا بوضع الوجوه على الأرض وليس هو تحت الأرض ، فكذا هنا بل تعبد محض وخضوع وخشوع إ هـ •

تحقيق نفيس في نفي الجهة عن الله تعالى

للامام حجة الاسلام الغزالي

وقال حجة الاسلام الغزالي : في كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » إنه تعالى ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست ، ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص، فهم قطعاً استحالة الجهة على غير الجواهر والاعراض ، إذ الحيِّز معقول وهو الذي يختص الجوهر به ، ولكن الخير انما يصير جهة إذا أضيف الى شيء آخر متحيز • فان قيل نفي الجهة مؤد الى محال ، وهو اثبات موجود تخلو عنه الجهات الست ويكون لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه وذلك محال ، قلنا : مسلم أن كل موجود يقبل الاتصال فوجوده لا منفصلا ولا متصلا به محال ، وأن كل موجود

Marfat.com

يقبل الاختصاص بجهة فوجوده مع خلو الجهات الست عنه محال ، فاما موجود لا يقبل الاتصال ولا الاختصاص بجهة فخلوه عن طرفي النقيض غير محال وهو كقول القائل : يستحيل موجود لا يكون عاجزاً ولا قادراً ولا عالماً ولا جاهلاً ، فان المتضادين لا يخلو الشيء عنهما فيقال له : ان كان ذلك الشيء قابلاً للمتضادين فيستحيل خلوه عنهما ، أما الجدار الذي لا يقبل واحداً منهما لأنه فقد شرطهما وهو الحياة فخلوه عنهما ليس بمحال ، فلذلك شرط للاتصال والاختصاص بالجهات التحيز والقيام بالمتحيز ، فاذا فقد هذا لم يستحل الخلو عن مُضَادِّيْهِ إ هـ •

جواب نفيس للعلامة ابي عبد الله بن جلال

عن قولهم : انه لا داخل العالم ولا خارج العالم

وسئل العلامة أبو عبد الله محمد بن جلاّل هل يقال : المولى تبارك وتعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم • فأجاب بأنا نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم ، والعجز عن الادراك ادراك ، لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلاً ونقلاً • أما النقل : فالكتاب والسنة والاجماع • أما الكتاب فقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ) • فلو كان في العالم أو خارجاً عنه لكان مماثلاً وبيان المماثلة واضح • أما في الأول فلأنه ان كان فيه صار من جنسه فيجب له ماوجب له وأما الثاني فلأنه ان كان خارجاً لزم إما اتصاله واما انفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية وذلك كله يؤدي لافتقاره الى مخصص • واما السنة فقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه » • واما الاجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له ، فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف • وأما العقل فقد اتضح لك اتضاحاً كلياً مما مرّ في بيان الملازمة في قوله تعالى (ليس كمثله شيء) • والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط ، لأن التناقض انما يتحقق حيث يتصف المحل بأحد النقيضين ويتواردان عليه ، وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض كما يقال مثلا : الحائط لا أعمى ولا

Marfat.com

بصير ، فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية ، وكما يقال في الباري أيضاً : لا فوق ولا تحت ، وقس على ذلك إ هـ •

وقال الشيخ أبو حفص الفاسي في حواشي الكبرى : لا شك أن المعتقد هو أن الله تعالى سبحانه ليس في جهة ، وقد أوضح الأئمة تقريره في الكتب الكلامية بما لا مزيد عنه ، فهو سبحانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ، وتوهم أن في هذا رفعاً للنقيضين وهو محال ، باطل ، إذ لا تناقض بين داخل وخارج ، وانما التناقض بين داخل ولا داخل وليس خارج مساوياً للاداخل وانما هو أخصّ منه ، فلا يلزم من نفيه نفيه لأن نفي الأخص أعم من نفي الأعم ، والأعم لا يستلزم الأخص • فان قيل بِمَ ينفرد هذا الأعم الذي هو داخل عن الاخص الذي هو خارج • قلنا : ينفرد في موجود لا يقبل الدخول ولا الخروج ولا الاتصال ولا الانفصال ، وهذا يحمله العقل ولكن يقصر عنه الوهم ، وقصور الوهم منشأ الشبهة ومثار دعوى الاستحالة إ هـ •

احتجاج ابن تيمية على اثبات الجهة لله تعالى

وقد احتج ابن تيمية على اثبات الجهة لله تعالى مقلداً سلفه المجسمة بقوله تعالى حكاية عن فرعون : (يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لعلّي أَبْلُغُ الأسبابَ أسبابَ السمواتِ فأطّلعَ إلى إلهِ موسى وإنيّ لأظنّهُ كاذباً) ، وقد ذكر ذلك في رسالته التي نقضها عصريّه أحمد بن يحيى الكلابي مجملاً فقال العلامة المذكور رادّاً عليه : ليت شعري كيف فهم من كلام فرعون ان الله تعالى فوق السموات وفوق العرش ، أما أن إله موسى في السموات فما ذكره ، وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون مع اخبار الله تعالى عنه بأنه زين له سوء عمله وانه حاد عن سبيل الله وأن كيده في ضلال ، مع أنه لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام بقوله : (وما رب العالمين) لم يتعرض موسى للجهة بل لم يذكر إلا أخص الصفات وهي القدرة على الاختراع ولو كانت الجهة ثابتة لكان التعريف بها أولى لأن الاشارة الحسية من أقوى

Marfat.com

المعرفات حساً وعرفاً ، وفرعون سأل بلفظ ما فكان الجواب بالتحيز أولى من الصفة . وغاية ما فهمه من هذه الآية واستدل به فهم فرعون فيكون عمدة هذه العقيدة كون فرعون ظنها وهو مشيدها ، فليت شعري لِمَ لا ذكر النسبة إليه كما ذكر أن عقيدة سادات أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذين تبزهم بالجهمية لمخالفتهم هواه مُتَلَقَّاةٌ من لبيد بن الأعصم اليهودي إ هـ .

وقد بين عقيدته فاراً من شناعة مشيخة فرعون عليه وعلى أسلافه محاولاً إلصاقها بموسى ، برأه الله تعالى من ذلك ، وصلى عليه في رسالته : « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » ص ١٣٤ قال : فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال : (أطَّلِعُ إلى إلـهِ موسى) ، وفي ص ١٤٤ منها قال : وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون ، وترتر إلى أن قال : وكان ينكر أن يكون الله كلَّم موسى ، أو لا يكون لموسى إله فوق السموات . وقال في رسالته : « صفات الله وعلوه على خلقه » ص ٢١١ كذب فرعون موسى في قوله : « إن الله فوق السموات » ، والمفسرون متفقون على ان معنى قوله (واني لأظنه كاذباً) في أن له إلهاً غيري بدليل قوله : (ما عَلِمْتُ لكُمْ مِنْ إله غَيْرِي) .

قد تحقق عن علماء الاسلام ان معتقدي الجهة لله تعالى قاسوا الخالق على المخلوق

وقد تحقق بما نقلته عن علماء الاسلام المحققين ان معتقدي الجهة لله تعالى قاسوا الخالق على المخلوق ، وأنهم من العوام لم تستسغ عقولهم استحالة الجهة على الله تبارك وتعالى ، وأنهم مؤولون كلَّ ما يوهم جهة العلو لله تعالى من ظواهر الكتاب والسنة بما يوافق هواهم فيقولون : (استَوَى على العَرْشِ) جلس عليه واستوى على العرش بذاته ، وحقيقته ، وعلى عرشه بائن من خلقه ، (وهو القاهِرُ فوْقَ عِبَادِهِ) ، (ويخافونَ رَبَّهُمْ من فَوْقِهم) بفوقية حقيقية و (آمنتم مَنْ في السَّمَاء) بأن

Marfat.com

« مَنْ » معناها « الله » و « في » بمعنى « على » و « السماء » بمعنى « العرش » يعني « آمنتم الله على العرش » فطفروا في التأويل ثلاث طفرات ، وهكذا مفوضون فيما جاء من ذلك ضدّ رأيهم كقوله تعالى : (يحسبُهُ الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شيئاً ووجد الله عنده) ، وقوله تعالى :(تحيتُهم يوم يلقونَهُ سلامٌ)و(ملاقو ربّهم) و (يدُ اللهِ فوقَ أيديهمْ) وقوله تعالى : (فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) وقوله تعالى : (وجاء ربّكَ) ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا قام أحدكم في صلاته فلا يبصقن في قبلته فان ربه بينه وبين الجدار » ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث القدسي : « إذا تقرب مني عبدي شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا أتاني يمشي أتيته هرولةً » .

وهكذا فهم مؤولون مفوضون ، والتأويل مباح لهم محظور على غيرهم ، ومع هذا الخبط ينبزون المنزهين لله تعالى عن مشابهة الحوادث بالجهمية ، سبحان واهب العقول .

ثبت ثبوتاً لا يكابر فيه الا غبي ان الارض كروية

وان السماء محيطة بها من جميع جوانبها

على أنه قد ثبت ثبوتاً لا يكابر فيه الا غبي أن الأرض كروية ، وأن السماء محيطة بها من جميع جوانبها ، وعليه فالعلو غير حقيقي بل هو نسبي ، فما من علو لقوم إلا وهو سفل لآخرين ، لأن الجهات التي هي الفوق والتحت واليمين الى آخرها حادثة باحداث الانسان ونحوه مما يمشي على رجلين ، فان الفوق ما يحاذي رأسه من فوق والباقي ظاهر ، ولما يمشي على أربع أو على بطنه ما يحاذي ظهره من فوقه ، وان النملة اذا مشت على سقف كان الفوق بالنسبة اليها جهة الأرض لأنه المحاذي لظهرها ، والعجز عن إدراكه تعالى إدراك مأثور عن الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وقد نقله العلماء في كتبهم : (والعجز عن إدراكه الصديق . قال هو الادراك والتحقيق) وقال آخر : (وكلما تخطره ببالك . فربنا منزّه عن ذلك) .

Marfat.com

الفصل الثاني

في توحيد الألوهيّة، وتوحيد الربوبيّة

توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية الذي اخترعه ابن تيمية وزعم أن جميع فرق المسلمين من المتكلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية وهو الاقرار بأن الله خالق كل شيء وزعم أن هذا اعترف به المشركون، فكفّر به جميع المسلمين وقلّده فيه محمد بن عبد الوهاب كما قلّده في غيره ، لم يطلع عليه العلماء المعاصرون له والمتأخرون عنه الرّادون عليه رداً سديداً في كثير من شواذه ، ولو اطلعوا عليه لرشقوه بسهام علومهم الصائبة • وقد كتب فيه العلامة المرحوم السيد احمد بن زيني دحلان المتوفي سنة أربع وثلاثمائة والف في رسالته (الدرر السنيّة في الرد على الوهابية) نبذةَ وكتب فيه العلامة الشيخ ابراهيم السمنودي المنصوري المتوفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة والف في كتابه (سعادة الدارين في الرّدّ على الفرقتين الوهابية والظاهرية) كلاماً جيداً •

وكتب فيه العلامة المرحوم الشيخ سلامة العزامي المتوفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف في كتابه (البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة) كلاماً نفيساً نصه : (بيان أن منشأ الشبه الجهل بمعنى الايمان والعبادة شرعاً) فاعلم أن الايمان هو التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به واشتهر بين الخاصة والعامة اشتهاراً يلحقه بالضروريات ، وان الكفر ــ نعوذ بالله منه ــ هو انكار شيء من ذلك بعد أن يعلم المنكر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاء به ، وأن معنى العبادة شرعاً هو الاتيان بأقصى الخضوع قلباً وقالباً ، فهي إذن نوعان قلبية وقالبية ؛ فالقلبية هي اعتقاد الربوبية أو خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع أو الضر ونفوذ المشيئة لا محالة لمن اعتقد فيه

Marfat.com

ذلك ، والقالبية هي الاتيان بأنواع الخضوع الظاهرية من قيام وركوع وسجود وغيرها مع ذلك الاعتقاد القلبي فان آتى بواحد منها بدون ذلك الاعتقاد لم يكن ذلك الخضوع عبادة شرعاً ولو كان سجوداً ، وانما قال العلماء بكفر من سجد للصنم ، لأنه أمارة على ذلك الاعتقاد لا لأنه كفر من حيث ذاته ، اذ لو كان لذاته كفراً لما حل في شريعة قط فانه حينئذ يكون من الفحشاء والله لا يأمر بالفحشاء •

وقد كان السجود لغير الله عز وجل على وجه التحية والتكريم مشروعاً في الشرائع السابقة وانما حرم في هذه الشريعة ، فمن فعله لأحد تحية وإعظاماً من غير أن يعتقد فيه ربوبية كان آثماً بذلك السجود ، ولا يكون به كافراً الا اذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له ، ويرشدك الى ذلك قوله عز وجل في يعقوب نبي الله وامرأته وبنيه حين دخلوا على يوسف : (وخروا له سُجَّداً) •

قال ابن كثير في تفسيرها : اي سجد له أبواه واخوته الباقون وكانوا احد عشر رجلاً ، وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم اذا سلموا على الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم الى شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام ، فحرم هذا في هذه الملـة إ هـ •

المقصود منه ، ويوضح لك ذلك ايضاً أمره عز وجل الملائكة بالسجود لآدم ، فكان سجودهم له عليه الصلاة والسلام عبـادة للآمر عز وجل ، واكرامـاً لآدم عليه الصلاة والسلام •

بيان خطأ من قال من الملاحدة

ان تعظيم الكعبة والحجر الاسود من الوثنية وجهل من قال بعدم التلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وعدم كفاية الاول في النجاة

ومن هذا تعلم ان تعظيم البيت بالطواف حوله ، وتعظيم الحجر الاسود باستلامه وتقبيله والسجود عليه ليس عبادة شرعاً للبيت ولا للحجر وانما هو عبادة للآمر بذلك عز وجل الذي اعتقد الطائف ربوبيته سبحانه ، فليس كل تعظيم الشيء عبادة له شرعاً

Marfat.com

حتى يكون شركاً ، بل منه ما يكون واجباً أومندوباً اذا كان مأموراً به أو مرغبا فيه ومنه ما يكون مكروهاً أو محرماً ، ومنه ما يكون مباحاً ، ولا يكون التعظيم لشيء شركاً حتى يقارنه اعتقاد ربوبية ذلك الشيء أو خصيصة من خصائصها له ، فكل من عظم شيئاً فلا يعتبر في الشرع عابداً له الا اذا اعتقد فيه ذلك الاعتقاد •

وقد استقر في عقول بني آدم ما داموا على سلامة الفطرة أن من ثبتت له الربوبية فهو للعبادة مستحق ، ومن انتفت عنه الربوبية فهو غير مستحق للعبادة ، فثبوت الربوبية واستحقاق العبادة متلازمان فيما شرع الله في شرائعه وفيما وضع في عقول الناس ، وعلى أساس اعتقاد الشركة في الربوبية بنى المشركون استحقاق العبادة لمن اعتقدوهم أرباباً من دون الله تعالى سبحانه ، ومتى انهدم هذا الاساس من نفوسهم تبعه ما بني عليه من استحقاق غيره للعبادة ، ولا يسلم المشرك بانفراد الله تعالى باستحقاق العبادة حتى يسلم بانفراده عز وجل بالربوبية ، وما دام في نفسه اعتقاد الربوبية لغيره عز وجل استتبع ذلك اعتقاده في هذا الغير الاستحقاق للعبادة ، ولذلك كان من الواضح عند اولي الالباب ان توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر في الوجود وفي الاعتقاد ، فمن اعترف بانه لا رب الا الله كان معترفاً بانه لا يستحق العبادة غيره ، ومن أقر بانه لا يستحق العبادة غيره كان مذعناً بأنه لا رب سواه ، وهذا الثاني هو معنى (لا اله الا الله) في قلوب جميع المسلمين •

ولذلك نرى القرآن في كثير من المواضع يكتفي باحدهما عن الآخر ، ويرتب اللوازم المستحيلة على انتفاء اي واحد منهما ، ليستدل بانتفائها على ثبوته فانظر الى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهةٌ الا الله لفَسَدَتا) ، وقوله تعالى : (وما كان معه مِن إله اذاً لذَهَبَ كُلُّ إله بما خَلَقَ ولعلا بعضُهُمْ على بعض) حيث عبر بالاله ولم يعبر بالرب •

وكذلك في الميثاق الاول قال سبحانه : (ألستُ بربِّكُمْ) ولم يقل بالهكم

87409

Marfat.com

واستفاض عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ان الملكين يقولان للميت في قبره (من ربك) ؟ ويكتفيان بالسؤال عن توحيد الربوبية ويكون جوابه بقوله : (الله ربي) كافياً ، ولا يقولان له انما اعترفت بتوحيد الربوبية وليس توحيد الربوبية كافياً في الايمان.

وهذا خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام يقول لذلك الجبار (ربي الذي يُحيي ويُميت) ، فيجادله بانه كذلك يحيي ويميت الى أن حاجه خليل الله بما يكذب دعوى ربوبيته فتدحض دعوى استحقاقه للعبادة . وفيما حكى الله عن فرعون انه قال مرة : (ما عَلِمْتُ لكم مِنْ اله غيري) ، ومرة اخرى : (أنا رَبُّكُمُ الأعلى) .

وبالجملة فقد آوما القرآن العظيم والسنة المستفيضة الى ان تَلازُم توحيد الربوبية والالوهية مما قرره رب العالمين ، واكتفى سبحانه من عبده باحدهما عن صاحبه لوجود هذا التلازم ، والملائكة المقربون ، وفهم الناس هذا التلازم حتى الفراعنة الكافرون ، فما هذا الذي يفتريه اولئك المبتدعة الخراصون ، فيرمون المسلمين بانهم قائلون بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة وانه لا يكفيهم ذلك في اخراجهم من الكفر وادخالهم في الاسلام حتى تحقن دماؤهم ؟ بل يستبيحون ذبح المسلم المسالم لهم وهو يقول : « لا اله الا الله » ويقولون فيه انه ما اعترف بتوحيد الألوهية ، وانما يعني توحيد الربوبية وهو غير كاف ، فلا يقبلون ما دل عليه صريح كلامه ، ويرفضون الاكتفاء بما اكتفى به الله من عبده يوم الميثاق الاول ، وارتضته ملائكته حين يسأل العبد في قبره من الاعتراف بتوحيد الربوبية ، حيث كان مستلزما لتوحيد الالوهية ، وكان التصريح بما يفيد احدهما تصريحاً بما يدل على الآخر ، فالناطق بلا اله الا الله معترف بالتوحيد لله في الوهيته وربوبيته جميعاً ، والقائل ربي الله معترف بكلا التوحيدين جميعاً .

والآن الفت نظرك أيها المحقق الى قوله تعالى : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ..) الآية وهي في موضعين من كتاب الله تعالى ولم يقل إلهنا ، وقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن وصية جامعة : (قل ربي الله ثم استقم) ، ولم يقل الهي بكفاية توحيد الربوبية في النجاة والفوز لاستلزامه توحيد الالوهية بشهادة الله رسوله . والى قوله تعالى : (وإلهكُمْ إله واحد لا إله إلاّ هو) ، وقول

Marfat.com

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله) .

والى قوله صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد حين قتل من قال لا اله الا الله اذ آهوى اليه بالسيف ظنه قالها تعوذاً ، والقرائن قوية على هذا الظن كما يعلم من تفصيل القصة ، (يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا اله الا الله أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟) ولم يعتذر اسامة بانه انما عنى توحيد الربوبية ، وهو غير كاف في الدخول في الاسلام وحقن الدم به ولم يعن توحيد العبادة ، ففي ذلك كله وغيره مما لم نذكره أبين البيان ، لأن القول بأحد التوحيدين قول بالآخر ، وانما جر هذا المبتدع ومن انخدع بأباطيله هذه أنه لم يحقق معنى العبادة شرعاً كما يدل عليه استقراء موارد هذه اللفظة في كلام الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فظن ان التوسل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الصالحين والاستغاثة بهم مع استقرار القلب على انهم اسباب لا استقلال لهم بنفع ولا ضر وليس لهم من الربوبية شيء ولكن الله جعلهم مفاتيح لخيره ومنابع لبره وسحباً يمطر منها على عباده أنواع خيره ، ظن أن ذلك وما اليه من الشرك المخرج عن الملة .

ومن ارفقه التوفيق وفارقه الخذلان ونظر في المسألة نظر الباحث المنصف علم يقيناً لا تخالطه ريبة أن مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء مما عده من توسل واستغاثة وغيرهما ، بل لا يشتبه بالعبادة أصلاً فان كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة الا اذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم أو صفة من صفاتها الخاصة بها . ألا ترى الجندي يقوم بين يدي رئيسه ساعة وساعات احتراماً له وتأدباً معه فلا يكون هذا القيام عبادة للرئيس شرعاً ولا لغة ، ويقوم المصلي بين يدي ربه في صلاة بضع دقائق أو بعضها قدر ما يقرأ الفاتحة فيكون هذا القيام عبادة شرعاً ، وسر ذلك ان هذا القيام وان قلت مسافته مقترن باعتقاد القائم ربوبية من قام له ، ولا يقارن ذاك القيام هذا الاعتقاد إ هـ .

Marfat.com

نص كلام ابن تيمية

في توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية في كتبه في اربعة مواضع

وقد اطلعت على كلام لابن تيمية في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهيـة مفرق في اربعة مواضع من كتبه أذكره كله ليراه القراء ثم أبطله :

(١) ـ قال في الجزء الاول من فتاواه ص ٢١٩ في تفسير قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) والمعنى ان صاحب الجد لا ينفعه منك جده ، أي لا ينجيه ويخلصه منك جده وانما ينجيه الايمان والعمل الصالح ، والجد هو الغنى وهو العظمة وهو المال ، (الى ان قال) فبين في هذا الحديث أصلين عظيمـين احدهما توحيد الربُوبية وهو ان لا معطي لما منع الله ولا مانع لما أعطاه ولا يتوكل الا عليه ولا يسأل الا هو • والثاني توحيد الالهيَّة وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع وأنه ليس كل من أعطى مالاً او دُنيْا او رئاسة كان ذلك نافعاً له عند الله منجياً له من عذابه ، فان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب (الى ان قال) : وتوحيد الالهية ان يعبد الله ولا يشرك به شيئاً فيطيعه ويطيع رسلـه ويفعـل ما يحبـه ويرضاه ، وأما توحيد الربوبية فيدخل ما قدره وقضاه ، وان لم يكن مما أمر به وأوجبه وأرضاه ، والعبد مأمور بأن يعبد الله ويفعل ما أمر به وهو توحيد الالهية ويستغفر الله على ذلك وهو توحيد له فيقول : (إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ) إ هـ •

(٢) ـ وقال في الجزء الثاني من فتاواه ص ٢٧٥ : فان المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله تعالى الذي يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه ، ويحقق قوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية وان كانت الالهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الالهية فان احدهما اذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله : (قل أعُوذُ بربِّ النَّاسِ الخ) ، فجمع بين الاسمين فان الاله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد ، والرب هو الذي يرب عبده إ هـ •

Marfat.com

(٣) ــ وقال في الجزء الثاني من منهاج السنة ص ٦٢ بعد ثرثرة ذم فيها جميع فرق المسلمين من المتكلمين مصرحاً بأنهم عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الالوهية واثبات حقائق أسماء الله ، ما نصه : فانهم قصروا عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله في كتابه فعدلوا عنها الى طرق اخرى مبتدعة فيها من الباطل ما لأجله خرجوا عن بعض الحق المشترك بينهم وبين غيرهم ، ودخلوا في بعض الباطل المُبْدَعِ ، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الالهية ، واثبات حقائق أسماء الله وصفاته ، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية ، وهو الاقرار بأن الله خالق كل شيء وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم : (ولئِنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات والارضَ ليقولُنَّ اللهُ) ، وقال تعالى : (قُلْ مَنْ ربُّ السموات السبع وربُّ العَرْشِ العَظِيمِ سيقولونَ الله ، الآيات) .

وقال عنهم : (ومَا يؤْمِنُ اكثَرُهُمْ بالله الا وهُمْ مُشرِكون) ، فالطائفة من السلف تقول لهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله ، وهم مع ذلك يعبدون غيره ، وانما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الالوهية المتضمن توحيد الربوبية، بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فيكون الدين كله لله إهـ .

(٤) : وقال في رسالة أهل الصفة ص ٣٤ : توحيد الربوبية وحده لا ينفي الكفر ولا يكفي إ هـ .

أقول : قد لَبَّسَ ابن تيمية في تآليفه على العامة وأشباههم من المتفقهة كثيراً بالسلف الصالح والكتاب والسنة لترويج هواه في سوقهم ولكنه في هذا الكلام صرح بهواه ولم يلصقه بهما ولا بالسلف واني بحول الله وتوفيقه أكيل له بصاعه الذي لبس به على البسطاء كيلاً حقيقياً وافياً ، مبرهناً فأقول كلامه هذا في الأربعة المواضع باطل باثنين وثلاثين وجهاً .

Marfat.com

الوجه الأول

الأول : لم يقل الامام احمد بن حنبل الذي انتسب اليه كذباً لاصحابه : إن التوحيد قسمان : توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، وان من لم يعرف توحيد الالوهية لا تعتبر معرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون ، وهذه عقيدة الامام احمد مدونة في مصنفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي وفي غيره ليس فيه هذا الهذيان •

الوجه الثاني

الثاني : لم يقل أي واحد من أتباع التابعين لأصحابه ان التوحيد قسمان : توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، وان من لم يعرف توحيد الالوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية ، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون •

الوجه الثالث

الثالث : لم يقل اي واحد من التابعين لأصحابه ان التوحيد ينقسم الى توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون •

الوجه الرابع

الرابع : لم يقل اي صحابي من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم أن التوحيد ينقسم الى توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وان من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية لان هذا يعرفه المشركون ، واني اتحدى كل من له إلمام بالعلم أن ينقل لنا هذا التقسيم المخترع عنهم ولو برواية واهية •

Marfat.com

الوجه الخامس

الخامس : لم يأت في سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عز وجل من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم ، ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لأصحابه ويعلمهم أن التوحيد ينقسم الى توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، وان من لم يعرف توحيد الالوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية ، لأن هذا يعرفه المشركون ، فلو اجتمع معه الثقلان على اثبات هذا الهذيان عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد ولو واهياً لا يستطيعون •

الوجه السادس

السادس : بل كُتُب السنة طافحة بأن دعوته صلى الله عليه وسلم الناس الى الله كانت الى شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وخلع عبادة الأوثان ، ومن أشهرها حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن فقال له : (ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فان هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ـ الحديث) ، وروى الخمسة وصححه ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم أخبره أعرابي برؤية الهلال ، فأمر بالصيام ولم يسأله النبي صلى الله عليه وسلم إلا عن الإقرار بالشهادتين ، وكان اللازم على هذيانه هذا أن يدعو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس الى توحيد الالوهية الذي جهلوه واما توحيد الربوبية فقد عرفوه ويقول لمعاذ ادعهم الى توحيد الالوهية ، ويقول للأعرابي الذي رأى هلال رمضان هل تعرف توحيد الالوهية ؟ •

الوجه السابع

السابع : لم يأمر الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عباده بتوحيد الالوهية ، ولم يقل لهم ان من لم يعرفه لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية ، بل أمر وهو :

Marfat.com

الوجه الثامن

الثامن : بكلمة التوحيد مطلقة ، قال الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاعلم انه لا اله الا الله) وهكذا جميع آيات التوحيد المذكورة في القرآن مع سورة الاخلاص التي تعدل ثلث القرآن •

الوجه التاسع

التاسع : يلزم على هذا الهذيان على الله تبازك وتعالى لعباده حيث عرفوا كلهم توحيد الربوبية ولم يعرفوا توحيد الالوهية ـ أن يبينه لهم ولا يضلهم ولا يعذبهم على جهلهم نصف التوحيد ولا يقول لهم : (اليـوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعْمَتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) نَعُوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان •

الإلٰه هو الربّ ، والربّ هو الإلٰه

الوجه العاشر

العاشر : الاله هو الرب والرب هو الاله فهما متلازمان يقع كل منهما في موضع الآخر ، وكتاب الله تعالى طافح بذلك ، وكذلك سنته عليه الصلاة والسلام • قال الله تبارك وتعالى:(يا ايها الناسُ اعْبُدُوا ربَّكُمُ الذي خَلقكُمْ والذينَ من قَبْلِكُمْ)، وكان اللازم = على زعمه = حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبية ولا يعرفون توحيد الالوهية أن يقول الله : (اعبُدُوا إلهكم) ، وقال الله تعالى : (ألَمْ تَرَ الى الذي حاجَّ ابراهيمَ في ربِّهِ ـ الآية) ، وكان اللازم = على زعمه = حيث كان النمرود يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الألوهية ان يقول الله تعالى : (ألم تر الى الذي

Marfat.com

حاجّ ابراهيم في إلهه) وكان اللازم = على زعمه = أن يقول الله في قولـه تعالى : (يا ايها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْس وَاحدة) اتقوا الهكم •

وكان اللازم = على زعمه = ان يقول الله في قوله تعالى : (إذ قالَ الحواريّونَ يا عيسى بنَ مريمَ هل يستطيعُ ربكَ أن ينَزّل علينا مائدةً من السماء) ، هل يستطيع الهك ، وكان اللازم = على زعمه = أن يقول الله في قوله تعالى : (ثم الذين كفروا بربِّهمْ يَعْدِلُون) ثم الذين كفروا بالههم يعدلون لأن الرب يعرفونه ، وهو شيء كثير في القرآن •

الوجه الحادي عشر

الحادي عشر : يلزم = على زعمه = عدم تبيين الذي لا ينطق عن الهوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للناس في دعوته لهم الى الله تبارك وتعالى توحيد الألوهية الذي جهلوه وعدم تبيينه صلى الله عليه وسلم لهم ذلك ، لا يخلو من أن يكون جهلاً له أو كتماناً ، وكلاهما مستحيل في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وكفر ، نَعُوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان •

الوجه الثاني عشر

الثاني عشر : زعمه أن المشركين يعرفون توحيد الربوبية ، أي يعرفون أن الرب هو الخالق الرازق المحيي المميت غير صحيح في مشركي العرب وحدهم فضلاً عن مشركي جميع الامم ، وقد أخبر الله عنهم في آيات كثيرة بأنهم انكروا البعث أشد الانكار وانهم ما يهلكهم الا الدهر ، مرور الزمان ، وقد اشتهر ذلك في أشعارهم •

قال احدهم : (أشاب الصغير وافني الكبير كَرّ الغداة ومر العشي) ، واشتهر قولهم : (أرحام تدفع وأرض تبلع) ، أيقول عاقل في هؤلاء مع هذا الكفر انهم يعرفون توحيد الربوبية ؟ ، ولو سلم أنهم يقرون بتوحيد الربوبية فان مجرد الاقرار به لا يسمى توحيداً عند علماء الاسلام ، ولو كان الاقرار بالربوبية توحيداً = كما زعم =

Marfat.com

لكان تصديق عتاة قريش النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيبهم بآيات الله تعالى توحيداً ولا يقول بهذا عاقل •

قال الله تعالى : (فانَّهُمْ لا يكذبونَكَ ولكن الظالمينَ بآياتِ الله يجحدون) ولو كان الاقرار بالربوبية توحيداً = كما زعم = لكان علم عاد بالخَالق لهم مع تكذيبهم آياته ورسوله هوداً عليه الصلاة والسلام لَمَّا هدَّدهم بالعذاب توحيداً ، زاجراً لهم عن قولهم : (مَنْ اشدُ منَّا قوةً او لم يروا أنَّ اللهَ الذي خلقهُمْ هو اشدُ منهمْ قوةً وكانوا بآياتنا يجحدونَ) ، ولا يقول بهذا عاقل ، أيقول عاقل في فرعون الذي قال : (انا ربكم الاعلى) وقال : (يا أيها الناس ما علمتُ لكُمْ من اله غيري) وقال لملأه : (ان رسولكُمُ الذي ارسِلَ اليكمْ لمجنونٌ) ، لَمَّا اجابه موسى عليه الصلاة والسلام عن سؤاله عن حقيقة رب العالمين قائلاً هو : (ربُّ السموات والارضِ وما بينهما ان كنتُمْ موقنينَ) ، وَ (ربكُمْ وربُّ آبائكمُ الاَوَّلينَ) ، انه يعرف توحيد الربوبية ، أيقول عاقل في النمرود بن كنعان الذي ادعى الربوبية وحاجَّ خليلَ الله عليه الصلاة والسلام في ربه وزعم أنه يحيي ويميت ، انه يعرف توحيد الربوبية ؟ ، أيقول عاقل في الدهريين المنكرين وجود الاله وفي الثنوية المنكرين وجودَ اله واحد وفي الوثنية القائلين بكثرة الأرباب والالهة وفي التناسخية وفي المَزْدَكِيَّة والخرَّمية والبابية والماركسية ، ويدعي في هذه الطوائف الضالة كلها انها تعرف توحيد الربوبية ؟ ، وكثير من سكان المعمورة دهريون طبائعيون إباحيون ملاحدة ينكرون وجود الرب ، حتى من كان منهم متديناً بالمسيحية واليهودية كأهل أوربا انسلخ اكثرهم منهما الى الالحاد والاباحة ولا زال الالحاد والاباحة منتشرين في الارضِ من بعد نوح عليه الصلاة والسلام ، وعليهما اكثر سكان الربع العامر الآن •

الوجه الثالث عشر

الثالث عشر : قوله في تفسير قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ، فبيَّن في هذا الحديث أصلين عظيمين أحدهما : توحيد الربوبية والثاني توحيد الالهية ، كذب مكشوف يجوز على الاغبياء ، ولا يخلو فاعلُ بيَّنَ من كونه

Marfat.com

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، بيّن أن التوحيد ينقسم الى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، أو الحديث نفسه بيّن نفسه ، او فهمه من الحديث ذلك ، ولا شك انه كذب مكشوف في الأول والثاني قطعاً فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبين في هذاالحديث أصلين عظيمين الى آخر الهذيان ، ولا الحديث بيّن ذلك ، فانحصر فاعل بيّن فيفهمه وكان الواجب عليه للعامة وأشباههم التصريح بفهمه ، بأن يقول لهم فهمت من هذا الحديث أصلين عظيمين الخ ... ولا يلبس عليهم بهذا الهُراء ، وباقي كلامه هنا ترتر لا تحتاج الى تعليق •

الوجه الرابع عشر

الرابع عشر : يقال في قوله في الموضع الثاني (وان كانت الالهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الالهية) هل قال الامام احمد بن حنبل الـذي يقدسه عند غرضه هـذا الكلام ؟ •

الوجه الخامس عشر

الخامس عشر : هل قاله أحد من أتباع التابعين رحمهم الله تعالى ؟ •

الوجه السادس عشر

السادس عشر : هل قاله احد من التابعين رحمهم الله تعالى ؟ •

الوجه السابع عشر

السابع عشر : هل قاله احد من الصحابة رضوان الله عليهم ؟ •

الوجه الثامن عشر

الثامن عشر : هل قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ •

Marfat.com

الوجه التاسع عشر

التاسع عشر : هل قاله الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز ؟ •

كتاب في تحريم علم المنطق

الوجه العشرون

العشرون : التضمن والالتزام من علم المنطق ، وهو قد الَّف كتاباً في تحريمه ، فقد صدق من قال فيه : انه لا يدري ما يقول ، وهو كثير التناقض في كلامه ولا يشعر •

الوجه الحادي والعشرون

الحادي والعشرون : يقال للمفتونين به وضحوا لنا هذا الكلام : (وان كانت الالهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الالهية ، فان احدهما اذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله : قل اعوذ برب الناس الخ • وهل كان السلف الصالح الذين يلبس بهم على البسطاء يقولون هذا الهذيان ويعلمونه تلامذتهم ؟ ، وهل قاله علماء الاسلام والمفسّرون ؟ •

الوجه الثاني والعشرون

الثاني والعشرون : قوله في الموضع الثالث (فانهم قصروا عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله في كتابه) ، دعوى كاذبة مقلوبة عليه فيقال له : انما المقصر عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه أنت وأشياخك المجسمة ، مبنية على اعجابه بنفسه وتأليهه هواه وازدرائه علماء الاسلام ، وكل مائق يمكنه أن يقول : إن الناس

Marfat.com

كلهم مخطئون أو أن المتكلمين جميعا قصروا عن معرفة الأدلة العقلية الخ ... ، لأن الشيء لا معرفة عليه ، ولكن هل يضمن لهذه الصواب عالما ؟ وكل من تصفح تآليفه يجد أخطاءه تزيد وإقدامه للعلماء ماثلين أمام عينه في كل صفحة ، والاعجب واحتقار عباد الله من أولياء ابليس .

الوجه الثالث والعشرون

الثالث والعشرون : يقال له في قوله : (فعدلوا عنها الى طرق اخرى مبتدعة) ، من أين لك ان علماء الاسلام كلهم عدلوا عن الأدلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه الى طرق اخرى مبتدعة ، ومشيت انت وحدك عليها فسلمت من الطرق المبتدعة ؟ ، أبعض صريح من كتاب الله تعالى أو من سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ، فلو استظهر بالثقلين على أن يجد فيهما ما يصوب رأيه ويخطيء علماء الاسلام، لم يظفر بذلك.

الوجه الرابع والعشرون

الرابع والعشرون : قوله (فيها من الباطل ما لأجله خرجوا عن بعض الحق المشترك بينهم وبين غيرهم ودخلوا في بعض الباطل المبتدع وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الالهية واثبات حقائق اسماء الله وصفاته) ، كلام معمى ملبس فاسد مشتمل على خمسة أوجه كلها فاسدة :

(الاول) ، فيها ، اي في الطرق التي ابتدعها علماء الاسلام = على زعمه = من الباطل اي الكفر ومن للتبعيض اي بعض الكفر ، ما اي الذي لأجله خرجوا عن بعض الحق المشترك بينهم وبين غيرهم ، اي خرجوا عن توحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات اللذين هما مع توحيد الربوبية مجموع الحق المشترك بينهم يعني جميع المسلمين ، وبين غيرهم يعني نفسه ، ودخلوا في بعض الباطل المبتدع ، أي دخلوا في بعض الكفر المبتدع ، (واخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الالهية واثبات حقائق اسماء الله وصفاته) ، أي اخرجوا هذين القسمين من مجموع التوحيد الذي هو توحيد

Marfat.com

الربوبية وتوحيد الالوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، وقد قلده محمدُ بن عبد الوهاب في هذا الموضع أيضاً ، فقسم التوحيد في بعض رسائله الى ثلاثة اقسام ، وتقدم في الموضع الأول والثاني والرابع من كلامه ما يدل صريحاً على ان التوحيد ينقسم الى قسمين فقط : توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، فليتأمل الألباء هذا الخبط •

(الثاني) : الحق معنى من المعاني لا يصح تبعيضه والباطل كذلك ، فتقويم كلامه هذا = على مقتضى زعمه = أن يقول : علماء الاسلام قاطبة خرجوا عن الحق الذي هو الايمان ، ودخلوا في الباطل الذي هو الكفر ، أي كفروا ، والعياذ بالله ، وماذا بعد الحق الا الضلال ، ولم يقل عاقل من المسلمين ان الايمان والكفر يتجزآن لذاتهما ، فقد كفرّ المسلمين في اول هذا الكلام ، وليس تكفيرهم بالتعبير بلفظ بعض في وسطه ، وصرح بتكفيرهم في آخره كما سأحلله •

(الثالث) : قوله : (خرجوا عن بعض الحق المشترك بينهم وبين غيرهم) كلام يضحك منه المجانين قبل العقلاء ، لأن معناه توحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات بضاعة مشتركة بينه وبين علماء الاسلام فخرجوا هم عن هذه الشركة باختيارهم وتركوها له خالصة •

(الرابع) : وهو أشد فساداً مما قبله قوله : (وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الالوهية وإثبات حقائق اسماء الله وصفاته) ، فانه يدل على أن علماء الاسلام كلهم يعرفون اقسام التوحيد الثلاثة حق المعرفة ، ومع ذلك أخرجوا منه قسمين عمداً وهما : توحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات ، وأبقوا لأنفسهم توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون •

(الخامس) قوله : (واثبات حقائق أسماء الله وصفاته) تلبيس فاسد فان الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده بمعرفة (إثبات حقائق أسماء الله وصفاته) ، ورسوله المبعوث رحمة للعالمين لم يأمر الناس لما دعاهم الى الله بذلك ، وانما أمر الله عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وأمرنا تعالى أن ندعوه بأسمائه الحسنى ولم يأمرنا باثبات حقائقها ، وأمرنا باتباع نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع ما اتانا به من الأوامر واجتناب ما نهانا

Marfat.com

عنه ، وسلفنا الصالح الصحابة وأتباعهم واتباع أتباعهم لمَّا نشروا محاسن الدين الاسلامي على المعمورة لم يأمروا الناس باثبات حقائق أسماء الله وصفاته ، ومن شك في هذا أو كابر فليبرز لنا نقلاً صحيحاً عنهم يدل لهذيانه هذا ، ومقصوده به حقائق صفات الله فقط ، لأنه يعتقد في ظواهر القرآن والسنة المتشابهة أنها صفات لله حقيقية ، فيقول : انه تعالى استوى على عرشه حقيقة ، وفوق العرش حقيقة ، تقليداً لسلفه المجسمة ، وقد تقدم ردّ ابن الجوزي عليهم بأن تسميتها صفات بدعة لم يقلها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أصحابه ، فأسماء الله تعالى مقحم بين المضاف والمضاف اليه •

الوجه الخامس والعشرون

الخامس والعشرون : قوله (ولم يعرفوا من التوحيد الا توحيد الربوبية وهو الاقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء ، وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم : (ولئن سألتَهُمْ من خلقَ السموات والارضَ ليقولُنَّ الله) وقال تعالى : (قل من ربُّ السَّموات السبع وربُّ العرشِ العظيم سيقولون الله ــ الآيات) وقال عنهم (وما يؤمن أكثرُهُم بالله الا وهم مشركون) ، صريح في تكفير المتكلمين ، متناول أيضاً للصحابة فمن بعدهم الى يوم القيامة الا من قال برأيه ، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله (أي ومحمَّد رسول الله) فاذا قالوها عصموا منيّ دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله) ، وصح عنه أيضا انه قال (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا) ، وصح عنه أيضا انه قال لمولاه أسامة بن زيد رضي الله عنهما : (أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله) فقال يا رسول الله انما قالها خوفاً من السيف فقال له (فهلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك) ، وصحّ عنه أيضاً أنه قال : (إني لم أُومَرْ أن أنقّب عن قلوبِ الناسِ ولا أشقّ بطونهم) ، وصح عنه أيضا أنـه قال : (اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) • ودلت نصوص الشريعة المستفيضة

Marfat.com

على أن الكفر أمرٌ باطنيّ لا يعلمه الا الله فالحكم به على واحد من المسلمين خطير جداً ، فكيف الحكم به على الأمة الاسلامية كلها ؟ ، فهذا لا يتفوه به إلا من نزع من قلبه مخافة المنتقم الجبار ، فقد برهن بهذا الكلام ، على انه مقتد بأسلافه الحروريّين الذين كفّروا كثيراً من سادات المسلمين الصحابة رضوان الله عليهم والأمة الاسلامية جمعاء إلاّ من وافقهم على هواهم ، ولذلك جاء في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال فيهم : (هم شرار الخلق عمدوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين) ، فهو في المائة الثامنة مجدّد الربوع البالية يحمل الآيات الواردة في الكفار على المؤمنين كما حملها عليهم أسلافه كلاب النار ، فالذي قال من العلماء انه كفر ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين فقط ، والذي قال منهم انه طعن في الشريف أبي الحسن الشاذلي، والذي قال انه طعن في رجال الصوفية جميعاً ، والذي قال انه كفر امام الحرمين أبا المعالي الجويني وتلميذه أبا حامد الغزالي ، كلهم صادقون ، لأن كلاً منهم اطلع على قبيحة من قبائحه المدسوسة المفرقة في كتبه ورسائله ، ولم يطلعوا على كلامه هذا ولو اطلعوا عليه لتحققوا انه كفر الامة الاسلامية جمعاء ، متكلمين وفقهاء ومحدثين وصوفية ، في مقدمتها سلفها الصالح الصحابة والتابعون وأتباعهم رضوان الله عليهم •

فان قيل : منطوق كلامه في حكمه بالشرك خاص بفرق المتكلمين فكيف عممته في الأمة الاسلاميّة كلها ، فادعيت انه متناول للصحابة والتابعين وأتباعهم وللفقهاء والمحدثين والصوفية ؟ • قلت : الصّحابة وعلماء التابعين وأتباعهم ومن بعدهم من علماء المسلمين كلهم متكلمون ، والدليل عليه عشرة أوجه :

(الاول) علم الكلام علم قرآني فانه مبسوط في كلام الله تعالى بذكر الالهيات والنبويات والسمعيات والثلاثة مجموعة ، مع ذكر ما يتوقف عليه وجود الصانع من حدوث العالم المشار اليه بخلق السموات والارض والنفوس وغيرها والاشارة الى مذاهب المبطلين والطبائعيين وانكار ذلك عليهم والجواب عن شبه المبطلين المنكرين لشيء من ذلك ، امكانا أو وجوداً ، كقوله تعالى : (كما بدأنا أوّلَ خَلْق نُعيدُهُ) ، وقوله

Marfat.com

تعالى : (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)، وقوله تعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً) ، وذكر حجج ابراهيم وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحكم لقمان وغير ذلك مما يطول ذكره ، وتكلم فيه النبي صلى الله عليه وسلم كابطاله اعتقاد الاعراب في الأنواء وفي العدوى وفي جوابه للأشعريين عن سؤالهم عن أول هذا الأمر ، قال (كان الله ولم يكن شيء غيره ـ الى آخر الحديث) وغير ذلك ، وهو كسائر العلوم مركوز في طباع الصحابة الناصعة الصافية ، ولاتفاقهم جميعاً في العقيدة الاسلامية لم يحتاجوا الى الكلام فيه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين •

تحقيق مطنب فيه للعلامة سعد الدين

التفتازاني في شرح المقاصد

قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد : الأحكام المنسوبة الى الشرع منها ما يتعلق بالعمل وتسمى فرعية وعملية ومنها ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ، وكانت الأوائل من العلماء ببركة صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقرب العهد بزمانه وسماع الأخبار منه و. ماهدة الآثار مع قلة الوقائع والاختلافات مستغنين عن تدوين الأحكام وترتيبها أبواباً وفصولاً وتكثير المسائل فروعاً واصولاً الى أن ظهر اختلاف الآراء والميل الى البدع والاهواء ، وكثرت الفتاوى والواقعات ومست الحاجة فيها الى زيادة نظر والتفات فأخذ أرباب النظر والاستدلال في استنباط الأحكام وبذلوا جهدهم في تحقيق عقائد الاسلام ، وأقبلوا على تمهيد أصولها وقوانينها وتلخيص حججها وبراهينها وتدوين المسائل بأدلتها والشبه بأجوبتها ، وسموا العلم بها فقهاً وخصوا الاعتقاديات باسم الفقه الاكبر ، والاكثرون خصوا العمليات باسم الفقه والاعتقاديات بعلم التوحيد والصفات ، تسمية بأشهر أجزائه وأشرفها ، وبعلم الكلام ، لأن مباحثه كانت مصدّرة بقولهم الكلام في كذا وكذا ، ولأن أشهر الاختلافات فيه كانت مسألة كلام الله تعالى أنه قديم أو حادث ، ولأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات ، كالمنطق في الفلسفيات ، ولأنه كثر فيه من الكلام مع المخالفين والرد عليهم

Marfat.com

ما لم يكثر في غيره ، ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه ، كما يقال للأقوى من الكلامين هذا هو الكلام ، واعتبروا في أدلتها اليقينَ لأنه لا عبرة بالظن في الاعتقاديات بل في العمليات ، فظهر انه العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية ، وهذا هو معنى العقائد الدينية ، اي المنسوبة الى دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، سواء توقف على الشرع أم لا وسواء كان من الدين في الواقع ككلام أهل الحق أم لا ككلام المخالفين ، وصار قولنا هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية مناسباً لقولهم في الفقه انه العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية ، وموافقاً لما نقل عن بعض عظماء الملّة ان الفقه معرفة النفس مالها وما عليها ، وان ما يتعلق منها بالاعتقاديات هو الفقه الأكبر ، وخرج العلم بغير الشرعيات وبالشرعية الاعتقادية الشرعية الفرعية ، وعلم الله تعالى ، وعلم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالاعتقاديات ، وكذا اعتقاد المقلد فيمن يسميه علماً ، ودخل علم علماء الصحابة بذلك فانه كلام وان لم يكن ، وسمي في ذلك الزمان بهذا الاسم ، كما أن علمهم بالعمليات فقه وان لم يكن ثمة هذا التدوين والترتيب ، وذلك اذا كان متعلقا بجميع العقائد بقدر الطاقة البشرية مكتسباً من النظر في الأدلة اليقينية ، أو كان ملكة يتعلق بها بأن يكون عندهم من المآخذ والشرائط ما يكفيهم في استحضار العقائد على ما هو المراد بقولنا العلم بالعقائد عن الأدلة ، والى المعنى الأخير يشير قول المواقف انه علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه ، ومعنى اثبات العقائد تحصيلها واكتسابها بحيث يحصل الترقي من التقليد الى التحقيق ، أو اثباتها على الغير بحيث يتمكن من الزام المعاندين ، أو اتقانها وإحكامها بحيث لا تزلزلها شبه المبطلين إ هـ •

اقام الحجة على أربعين رجلا من اليهود المجسمة

(الثاني) : قد تكلم الفاروق رضي الله تعالى عنه في علم الكلام • ناظر أبا عبيدة ابن الجراح بسَرْغ في القدر ، لما أراد أن يرجع الى المدينة بمن معه من أجل طاعون عَمْواس ، فحجه ومناظرتهما مسطرة في صحيح البخاري ، وقطع حيدرة كرم الله وجهه الخوارج بالحجة وقطع دهرياً وأقام الحجة على أربعين رجلاً من اليهود المجسمة بكلام

Marfat.com

نفيس مطنب ، رواه الحافظ أبو نعيم الاصبهاني في الحلية ، وقطع ابن عمه الحبر ابن عباس رضي الله عنهما الخوارج بالحجة أيضاً ، ولا يقول من له مسكة من عقل ودين في هؤلاء السّادة من الصحابة انهم ليسوا بمتكلمين أو ليسوا بفقهاء أو ليسوا بمحدثين •

والعلم = كما قال امام دار الهجرة مالك بن أنس = ليس بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده •

قطع اياس بن معاوية القدرية

(الثالث) : قد قطع اياسُ بن معاوية القاضي القدرية ، وقطع الخليفةُ العادل عمرُ بن عبد العزيز أصحابَ شوذب الخارجي ، وقطع ربيعةُ الرأي شيخ الامام مالك غيلانَ القدري ، وقطعه أيضاً داودُ بن أبي هند ، وقطع الامامُ أبو حنيفة الضحاكَ الخارجي حين دخل الكوفة وأمر بقتل الرجال واسترقاق النساء والصبيان ، وقطع أيضا سبعين من الخوارج دخلوا عليه وأرادوا قتله فتابوا من مذهبهم ، وقطع أيضا جماعة من الدهريين دخلوا عليه ، وقطع ايضا شيخ الرافضة المسمى بشيطان الطاق ، وناظر جهم ابن صفوان فألزمه الحجة • ولا يقول من له مسكة من عقل ودين في هؤلاء السادة من التابعين أنهم ليسوا بمتكلمين أو ليسوا بفقهاء أو ليسوا بمحدثين •

(الرابع) : قد قطع الامام أبو عمرو الأوزاعي غيلان القدري أيضا ، والّف الامام مالك رسالة في القدر في الرد على القدرية ، قالوا وهي من خيار الكتب الدالة على سعة علمه ، وناظر الامام الشافعي حفصاً الفرد المعتزلي فقطعه ، وناظر ايضاً بشراً المريسي فقطعه ، ولا يقول من له مسكة من عقل ودين في هؤلاء الأئمة انهم ليسوا بمتكلمين أو أنهم ليسوا بفقهاء أو ليسوا بمحدثين •

(الخامس) : قد صنف سيد المحدثين في زمانه محمد بن اسماعيل البخاري المتوفي سنة ست وخمسين ومائتين كتاباً في خلق افعال العباد ، وصنف المحدث نعيم بن حماد الخزاعي وهو من أقران الامام احمد المتوفي في حبس الواثق سنة ثمان وعشرين ومائتين

Marfat.com

كتباً في الرد على الجهمية وغيرهم ، وصنف المحدث محمد بن اسلم الطوسي المتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو من أقران الامام أحمد أيضا في الرد على الجهمية •

ليس علم الكلام محظوراً على المحدث والفقيه

وناظر الامام احمد بن حنبل المعتزلة في خلق القرآن ، وقال الحنابلة إنه صنف كتاباً في الرد على الجهمية ، ولا يقول من له مسكة من عقل ودين في هؤلاء الأئمة انهم ليسوا بمتكلمين أو ليسوا بفقهاء ، وليس علم الكلام محظوراً على المحدث والفقيه ولا علم الحديث محظوراً على المتكلم والفقيه • فان قيل : قد ذمّ علم الكلام جماعة من السلف فروي عن الشعبي انه قال من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن حدث بغرائب الحديث كذب ، وروي مثله عن مالك الامام والقاضي أبي يوسف صاحب الامام أبي حنيفة ، وأجاب الحافظ أبو بكر البيهقي عنه بقوله : انما أرادوا بالكلام كلام أهل البدع ، لأن عصرهم انما كان يعرف بالكلام فيه أهل البدع ، وأما أهل السنة فقلما كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطروا اليه بعد ،ويحتمل ذمّهم له وجها آخر وهو ان يكون المراد به أن يقتصر على علم الكلام ويترك تعلم الفقه الذي يتوصل به الى معرفة الحلال والحرام ، ويرفض العمل بما أمر بفعله من شرائع الاسلام ولا يلتزم فعل ما امر به الشارع وترك ما نهى عنه من الأحكام ، قال : وقد بلغني عن حاتم الاصم ، وكان من أفاضل الزهاد وأهل العلم انه قال : الكلام أصل الدين والفقه فرعه والعمل ثمره فمن اكتفى بالكلام دون الفقه والعمل تزندق ، ومن اكتفى بالعمل دون الكلام والفقه ابتدع ، ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والعمل تفسق ، ومن تفنن في الأبواب كلها تخلص •

وقد روي مثل كلام حاتم هذا عن أبي بكر الوراق • وما ورد عن الامام الشافعي رضي الله عنه في ذم علم الكلام والمتكلمين ليس على اطلاقه وانما هو في المبتدعة القدرية وغيرهم الذين جانبوا نصوص الشريعة ، كتاباً وسنة ، وتعمقوا في الأهواء الفاسدة ، واما الكلام الموافق للكتاب والسنة الموضح لحقائق الاصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء قاطبة يستحيل ذم الشافعي له وقد كان يحسنه ويفهمه •

Marfat.com

وقد ناظر بشراً المريسي وحفصاً الفرد فقطعهما ، وناظر أيضا ابراهيم بن اسماعيل بن عُلَيَّة في خبر الواحد وكان هذا ينكره فقطعه ، وقال : ما ناظرت أحداً احببت أن يخطىء الا صاحب بدعة فاني أحب أن ينكشف أمره للناس رضي الله عنه •

رد على المعتزلة فأجاد ••

(السادس) : قد ردّ على المعتزلة فأجاد بالتأليف ثلاثة من علماء السنة من أقران الامام احمد بن حنبل الحارث المحاسبي والحسين الكرابيسي وعبد الله بن سعيد بن كُلاّب المتوفي بعد الاربعين ومائتين بقليل ، ويمتاز الأوّل بامامته أيضا في التصوف ولا يقول من له مسكة من عقل ودين في هؤلاء العلماء أنهم قصروا عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله في كتابه فعدلوا عنها الى آخر هذيانه ، أو انهم ليسوا بمحدثين ولا بفقهاء •

(السابع) : قد صنف إماما أهل السنة والجماعة في عصرهما وبعده الى يومنا هذا أبو الحسن الاشعري وأبو منصور الماتريدي المصنفات العظيمة في الردّ على طوائف المبتدعة والمخالفين للاسلام مملوءة بحجج المنقول والمعقول ، وامتاز الاول بمناظراته العديدة للمعتزلة بالبصرة التي فل بها حدهم وقلل عددهم ، وصنف أتباعهما من بعدهما المئات من المجلدات في الرد على المبتدعة والمخالفين للاسلام على تعاقب الأجيال •

قام بالرد على المبتدعة المخالفين للاسلام

وقام كثير من فحول الأشاعرة بالرد على طوائف المبتدعة والمخالفين للاسلام بالتآليف الكثيرة والمناظرات العديدة بزوا بهما المعتزلة الذين هم أفحل طوائف المبتدعة كما بزوا غيرهم من المبتدعة والدهريين والفلاسفة والمنجمين في الحلبتين ورفعوا لواء مذهب الاشعري على المعمورة ، أحسن قيام ، وأبرزهم في نشره ثلاثة الأستاذ أبو بكر بن فوُرَك وابو اسحق الاسفرائيني والقاضي الامام أبو بكر الباقلاني ، فالأولان نشراه في المشرق والقاضي نشره في المشرق والمغرب وتلامذتهم ، فما جاءت المائة الخامسة إلا والأمة الاسلامية أشعرية وماتريدية لم يشذ عنها سوى نزر من المعتزلة ونزر من المشبهة وطائفة من الخوارج ،

Marfat.com

فهما الأمة الاسلامية ، والاشعرية في عصره هم المقصودون المخصوصون بتكفيره هذا ، لأنه موتور منهم ، فقد قضوا على مذهب سلفه المجسمة ببغداد بمحاوراتهم ودروسهم ومحاضرهم وقضوا عليهم في مدن خراسان والمشرق بالمناظرات والدروس والتآليف ، وغضبوا غضبة مضرية لابن عبد السلام فقاموا على الأشرف الأيوبي فأرجعوه الى الحق خجلاً ، مستغفراً مما وقع منه في حق ابن عبد السلام من الجهل ، وقاموا عليه بدمشق لما جهر ببعض شواذه فناظروه فأفحموه وردّوا عليه بالتآليف فأجادوا وصدر في قمعه مرسوم السلطان محمد بن قلاوون ، واحتمى بالأمراء لما طلب الى مصر لمناظرته ومحاكمته فيما صدر منه فلم يحضر عند قاضي المالكية زين الدين بن مخلوف ، وقد حقق أحدى علامتي سلفه الخوارج وهي حمل الآيات الواردة في الكفار على المسلمين ، والثانية وهي قتل أهل الايمان وترك أهل الأوثان وجدت فيه بالقوة ، فلو وجد أنصاراً يحاربون معه لاستحل دماء المالكية والشافعية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، وقد استعاض عنها لما فقدها بالبضاعة التي لا يرتكبها الا سفلة الناس ، وهي السب والقذف والتكفير .

فحول المحدثين من بعد ابي الحسن الاشعري

الى عصرنا هذا اشاعرة ، وكتب التاريخ والطبقات ناطقة بذلك

وفرق هذه البضاعة في كتبه ورسائله تضليلاً ملبساً على العامة وأشباههم بالسلف متقولاً عليهم وعلى الأشعري وأتباعه ، وفحول المحدثين من بعد أبي الحسن الى عصرنا هذا أشاعرة وكتب التاريخ والطبقات ناطقة بذلك .

ومن خصائص هذه الأمة المرحومة وتميزها عن جميع الأمم كثرة علمائها ومؤلفيها فلا تجد عالماً محققاً أو فقيهاً مدققا الا وهو أشعري أو ماتريدي ، وتآليفهم في العلوم المتنوعة من تفسير وحديث واصول وفروع وغيرها شاهدة لهم ، ولا تجد نفاجاً مهذاراً من المتأخرين الا وهو سارق من دُرَرهم متشبع به ، نعوذ بالله من نكران الجميل ، لم يسجل التاريخ لمجسم أنه ناظر قدرياً أو دهرياً او كتابياً ، كما سجل للأشعرية والماتريدية ذلك ، ولم يسجل للمجسمة أنهم ألّفوا كتاباً مبسوطة مبرهنة في الرد على مخالفيهم

Marfat.com

ومخالفي دين الاسلام كما سجل ذلك للأشعرية والماتريدية ، ولم يسجل لهم انهم كانت لهم مجالس بالبحث والمناظرة في الفروع ومسائل الخلاف ، فضلاً عن مجالس البحث والمناظرة في الاصلين كما سجل ذلك لغيرهم من علماء المسلمين في مدائن المعمورة ، حينما كانت الأمة الاسلامية قويَّةً رافعةً ألوية مجدها على المشرق والمغرب ، ولم يسجل لفاضل حنبلي انه أثنى على مجسم ثناءً بليغاً كما سجل ذلك لأبي الفضل التميمي الحنبلي على القاضي الامام أبي بكر الباقلاني ، فقد قالوا حضر يوم موت القاضي أبي بكر الباقلاني ، أبو الفضل التميمي الحنبلي العزاء حافياً مع اخوته وأصحابه ، وأمر أن ينادي بين يدي جنازته : هذا ناصر السنة والدين : هذا امام المسلمين .. هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين .. هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة رداً على الملحدين ، وقعد للعزاء مع اصحابه ثلاثة ايام فلم يبرح ، وكان يزور تربته كل يوم جمعة ، فهل يقول من له مسكة من عقل ودين في الملايين من الأشاعرة والماتريدية من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة أنهم كلهم ليسوا بفقهاء أو ليسوا بمحدثين ؟ ، وانهم متكلمون قصروا عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه فعدلوا عنها ؟ ، الى آخر هذيانه ، وجاء هو وحده في القرون المتأخرة فعرفها ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان ومصارع الاعجاب بالنفس .

يلزم من كلامه هذا ان المعتزلة

عرفوا الادلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه

(الثامن) : يلزم من كلامه هذا أن المعتزلة الذين هم أفحل طوائف المبتدعة عرفوا الأدلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه ولم يعدلوا عنها الى طرق اخرى مبتدعة ، فانهم أول فرق المتكلمين نشأوا في آخر المائة الاولى للهجرة ، فان رأسهم عمرو ابن عبيد المتوفي سنة أربع وأربعين ومائة كان يجلس في حلقة سيد التابعين الحسن البصري الذي توفي سنة عشر ومائة ، وقد زجر رضي الله تعالى عنه عمرو بن عبيد لما تيقن ضلاله فاعتزل عمرو مجلسه وجعل لنفسه حلقة جهر هو وأصحابه بعقائدهم فيها وناضلوا عليها واعتمدوا على العقليات وتعمقوا فيها ورفضوا كثيراً من سنته عليه الصلاة

Marfat.com

والسلام ، وتأولوا الباقي منها مع كتاب الله على ما يوافق أهواءهم فقالوا بمنزلة بين المنزلتين وبخلق القرآن ، ونفوا صفات الله ونفوا رؤيته في الآخرة ، وأنكروا عذاب القبر والميزان والصراط وغير هذه من السمعيات الثابتة في السنة وسموا أنفسهم عدلية •

وفي صدر المائة الثالثة عضدهم المأمون على نشرها في الأمة بالقوة وبعده أخوه المعتصم وبعد هذا ابنه الواثق ، فاكرهوا العلماء على القول بخلق القرآن وامتحنوا كثيراً منهم بالحبس والضرب والقتل ، ولم يقاوموا المعتزلة بالمناظرات الحاسمة ، وقاومهم المحاسبي وابن كُلاّب ، وانهم محقون في عقائدهم وفيما صنعوه وأن الجماهير من علماء آخرون من أهل السنة دونهم في الشهرة بالتآليف الجيدة ، الحسين الكرابيسي والحارث المسلمين ، من نشأتهم الى زمن الأشعري مبطلون ، لأنهم لم يعرفوا الأدلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، فيوقفوا بها تيار ضلالهم الذي انتشر في الامة الاسلامية هذه المدة ، وقد قطع في اثنائها أبو محمد الأذرمي باطلهم ، بمناظرة وجيزة أمام الواثق ، لم ينحسم بها تيار ضلالهم ولا بمنع المتوكل لهم من امتحان العلماء وتعذيبهم ، وفسحه لأهل السنة بنشرها في الأمة ، فقد ارجعوا حربهم لأهل السنة بعدها الى حلبتين ؛ حلبة أقلام بالتآليف ، وحلبة مناظرات فردية نحو سبعين عاماً ، حتى جاء أبو الحسن الأشعري فخرب في البصرة وِكْرَهُم ، وصرع بالمناظرات والتآليف باطلهم ، وأجهز عليهم في كل مكان من الأرض تلامذته وتلامذة تلامذته وأتباعه ، فهل يقول من له مسكة من عقل ودين أنهم حيث مكثوا نحو مائتي سنة ينشرون ضلالهم أهانوا في أثنائها علماء الاسلام بالحبس والضرب والقتل عرفوا الأدلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه ؟ ، وأن الآلاف المؤلفة من علماء الامة في هذه المدة كلهم لم يعرفوها لأنهم لم يستطيعوا ايقاف تيار ضلالهم ، الا أبو محمد الأذرمي وأبو الحسن الأشعري واتباعه فانهم عرفوها ، نعوذ بالله تعالى من زلقات اللسان وفساد الجنان •

Marfat.com

لم يكفر الفقهاء ولا المحدثون المعتزلة

مع ضلالهم وانحرافهم عن نهج السواد الاعظم

ومع ضلالهم لم يكفرهم التابعون ولا أتباعهم ومع تعذيبهم للعلماء لم يكفرهم أيضا الفقهاء ولا المحدثون ، وأقصى ما قاله فيهم أهل السنة جميعاً : انهم مبتدعة ، وقد كان لهم مع انحرافهم عن نهج السواد الأعظم مواقف مشكورة في الرد على الملاحدة والزنادقة الذين كثروا ، فطعنوا في صدر الخلافة العباسية في الشريعة الاسلامية بشتى الوسائل ، بالمناظرات والتآليف ، وقد ظهر منهم في المذهبين الشافعي والحنفي أعيان من العلماء ، ففي الشافعية القاضي عبد الجبار الهمداني المتوفي سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وأبو لحسن الماوردي البصري المتوفي سنة خمسين واربعمائة ، وأبو يوسف القزويني المفسر المتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وفي الحنفية أبو بكر الجصاص الرازي المتوفي سنة سبعين وثلاثمائة ، والزمخشري المتوفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، والمُطَرِّزي المتوفي سنة عشر وستمائة .

(التاسع) : قد قصر هو عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله في كتابه وعدل عنها الى طرق اخرى مبتدعة فقسم التوحيد الى قسمين وثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، أو هما مع توحيد الأسماء والصفات ، ولم يقل الله هذا في كتابه العزيز ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا السلف الذين يلبس بهم وزعم أن متشابهات القرآن والسنة كلها حقائق ، وأن الله استوى على العرش حقيقة ، وأنه فوقه حقيقة ، وجوّز قيام الحوادث به جل وعلا ، وزعم أن كلامه تعالى قديم بالنوع حادث بالجزئيات وأن عرشه تعالى كذلك وكل هذا لم يقله الله تعالى في كتابه ولا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا المسلمون أجمعون .

(العاشر) : تحقق بجميع ما تقدم أنه جاهل بأصول الدّين جهلاً مركباً ، وأنّه قد حكم على نفسه بالشرك وعبادة غير الله وهو لا يشعر ، فصدق عليه المثل العربي (رمتني بدائها وانسَلَّتْ) .

* * *

Marfat.com

الوجه السادس والعشرون

السادس والعشرون : حمله قوله تعالى : (ولئن سألتَهم مَنْ خَلَقَ السموات والارضَ لَيَقُولُنَّ الله) ، الواردة في المشركين على المسلمين فاسد ، ودعواه أنَ المشركين ، مع إنكارهم البعث واتخاذهم الأنداد والولد له تعالى يعرفون توحيد الربوبية، تقدم ابطالها ، ومعنى الآية عند المفسرين ليسندُنَ خلقها في الحقيقة ونفس الأمر أي الفطرة التي فطر الله الناس عليها الى الله تعالى ، فلو استظهر بالثقلين على اثبات أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن ذلك فأجابوه بالقول لا يستطيعون •

الوجه السابع والعشرون

حمله قوله: تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم)

الواردة في المشركين على المسلمين فاسد

السابع والعشرون : حمله قوله تعالى : (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) الواردة أيضا في المشركين على المسلمين فاسد أيضا ، لأنهم لو كانوا يعرفون توحيد الربوبية ، = كما زعم = ما أمر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم عن الأرض ومن فيها لمن هي وعن رب السماوات السبع ورب العرش العظيم وعمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، ولكان الأمر بسؤالهم عن هذه الأشياء مع معرفتهم خالقها عبثاً وأمراً بتحصيل الحاصل وهو محال منه تعالى ولو كانوا يعرفون توحيد الربوبية = كما زعم = ما كفروا به عز وجل وما أنكروا البعث وما اتخذوا له انداداً عبدوهم من دونه ، ولو كانوا يعرفون توحيد الربوبية ما قال تعالى عنهم : (بل أتيناهم بالحقَ وانَهم لكاذبون) ، اي فيما قالوا من انكار البعث وفيما قالوا وفعلوا من الشرك باتخاذ الأنداد من دونه وغير هذا من أنواع الكفر ، وانما أمر الله سبحانه نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بتوقيفهم على هذه الأشياء التي لا يمكنهم في الفطرة والعقل

Marfat.com

السليم انكارها ، وأن أنكروها في الواقع ، تبكيتاً واقامة للحجة عليهم ، ولا يمكنه أن يثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه سألهم عن هذه الأشياء وأجابوه قولاً ، ولو استظهر بجميع أهل الأرض .

الوجه الثامن والعشرون

حمله قوله تعالى : (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون)

الثامن والعشرون : حمله قوله تعالى: (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون)، الواردة في المشركين على المسلمين فاسد أيضاً ، ومعناها عند المفسرين : (وما يؤمن اكثرهم بالله) ، في اقرارهم بوجود الخالق (الا وهم مشركون) باتخاذهم له أنداداً عبدوهم من دونه أو باتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً ، أو بقولهم واعتقادهم الولد له سبحانه ، أو بقولهم لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، أو بغير ذلك .

التعبير في جانب شركهم بالجملة الاسمية

الدالة على الثبوت والدوام الواقعة حالا لازمة

والتعبير في جانب شركهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام الواقعة حالا لازمة ، وفي جانب ايمانهم ، أي اقرارهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد ، دليل على أن شركهم دائم مستمر ملازم لهم ، وأن اقرارهم غير دائم ولا مستمر ، واقرارهم بوجود الخالق الرازق المحيي المميت ، مع ارتكابهم ما ينافيه مما تقدم من الأقوال والافعال دليل على أنه لا يكون توحيداً = كما زعم = ولا ايماناً لا لغةً ولا شرعاً ، فان الايمان لغة هو (التصديق بالقلب مطلقاً) ، وشرعاً (تصديق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة) ، أي فيما اشتهر كونه من الدين بحيث يعلمه العامة من غير افتقار الى نظر واستدلال ، ويكفي الاجمال فيما يلاحظ اجمالاً ، ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلاً ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور ، والاقرار باللسان شرط في

Marfat.com

اجراء الأحكام الدنيوية عند الامام أبي منصور الماتريدي والأشاعرة وشطر منه عند اكثر الحنفية ، والعمل بالطاعات شرط في كماله عند الجمهور غير داخل في حقيقته ، فليس الايمان مجرد معرفة الله ، بدون الاذعان والنطق باللسان = كما قال جهم بن صفوان = ولو كان مجرد المعرفة ايماناً بالله تعالى لكان ابليس مؤمناً لانه عارف بربه يعرف أنه خالقه ومميته وباعثه ومعذبه ، (قال ربِّ بما أغويْتَني) ، وقال : (انظرني الى يَوْمِ يُبْعَثون) ، وقال : (خلقْتَني من نار وخلقتَهُ من طين) ، ولكان الكفار مؤمنين بربهم ، إذ أنكروا بلسانهم قال تعالى : (وجحدوا بها واستَيْقَنَتْها أنْفُسُهُم) ، فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله تعالى واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم •

وقال تعالى : (يعرفونَ نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) ، وقال تعالى : (قل من يرزقكُمْ من السماءِ والارضِ أمَّنْ يَملِكُ السمعَ والابصارَ ومنْ يخرجُ الحيَّ من الميِّتِ ويُخرجُ الميتَ من الحي ومن يدبِّرُ الأمْرَ فسيقولون اللهَ فقُلْ أفلا تتقونَ فذلكُمُ اللهُ ربُّكُمْ الحق) ، فلم تنفعهم معرفتهم مع انكارهم •

وقال تعالى : (يعرفونَهُ كما يعرِفونَ أبناءَهُم) ، فلم تنفعهم معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم مع كتمانهم أمره وجحودهم به ، وليس الايمان هو الاقرار باللسان فقط = كما قالت الكرامية = ولو كان هو الاقرار ما نفاه الله تعالى عن المنافقين في قوله تعالى : (ومن الناس من يقولُ آمنَّا بالله وباليوم الآخرِ وما هم بمؤمنين) ، وليس الايمان مجموع الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان = كما قالت الخوارج والمعتزلة = ، وعليه كفر الخوارج مرتكب الكبيرة وجعله المعتزلة في منزلة بين المنزلتين ، فتحقق أن التصديق اعتقاد القلب ولا تعلق له باللسان والأركان الا أنه لما كان أمراً باطناً لا يوقف عليه ولا يمكن بناء احكام الشرع عليه جعل الشرع العبارة عما في القلب بالاقرار أمارة عليه وشرطاً لاجراء الاحكام الدنيوية ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) ومن أطلق اسم الايمان على غير التصديق فقد صرفه عما هو المفهوم

Marfat.com

منه في اللغة ، ولو جاز ذلك لجاز صرف كل اسم عن موضوعه في اللغة وفيه ابطال اللسان ، ولم يصح حينئذ الاحتجاج بالقرآن •

والدليل على صحة ما ذكرنا جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام (ما الايمان ؟) بقوله : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله = الحديث) وروي أن جبريل عليه السلام قال بعد ذلك : (فاذا قلت هذا فأنا مؤمن) قال (نعم) فلو كان الايمان اسماً لما وراء التصديق لكان تفسير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إياه بالتصديق خطأ وقوله نعم كذباً والقول به باطل •

واستدل المحققون على أن الاعمال الصالحة خارجة عن حقيقة الايمان بوجوه احدها أن الله سبحانه وتعالى فرّق بين الايمان وبين الأعمال في كثير من الآيات نحو قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ) ، وقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمونَ الصلوةَ ومما رزقْناهُمْ يُنفقون) ، وقوله تعالى : (انما يَعْمُرُ مساجدَ الله من آمنَ باللهِ واليومِ الآخر وأقامَ الصلوةَ) ، وقوله تعالى : (تؤمنون بالله ورسولهِ وتجاهدونَ في سبيلِ اللهِ ـ الآية) ، وغير هذه من الآيات •

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عن أفضل الأعمال قال : (ايمان بالله لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحج مبرور) ، وكذا في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قلت أي الأعمال أفضل ؟ ، قال : (الايمان بالله ورسوله) قلت : ثم أي ؟ قال (الصلاة لميقاتها) قلت ثم أيَ ؟ ، قال (بر الوالدين) ، ووجه ذلك انه عطف الأعمال على الايمان والعطف يقتضي المغايرة ، وشُرِط الايمان لصحة الاعمال في قوله تعالى : (ومن يَعْمَلْ من الصالحاتِ وهو مُؤْمِنٌ) ، والشرط غير المشروط لا محالة ، وصح ايمان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وايمان اصحابه قبل مشروعية الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها ، ولو كانت الاعمال من أركان الايمان لم يكن الايمان موجوداً بدون أركانه •

(الثاني) : ان الله تعالى جعل محل الايمان القلب فقال : (الا من اكرِهَ وقلبُهُ

Marfat.com

مطمئنٌ بالايمانِ) ، وقال : (ولمَّا يَدْخُلِ الايمانُ في قلوبكم) ، وقال : (كَتَبَ في قلوبِهِمُ الايمانَ) ، ومعلوم أن القلب محل الاعتقاد لا محل العمل •

(الثالث) : أن الله تعالى أثبت الايمان مع الكبيرة ، قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا كُتِبَ عليكُمُ القِصاص) ، فسمى قاتل النفس عمداً عدواناً مؤمناً ، والدليل على أن الاقرار ليس بايمان نفي الله الايمان عمن قال من المنافقين آمنا ، قال تعالى : (الذين قالوا آمنَّا بأفواههمْ ولم تُؤْمِنْ قلوبُهُمْ) ، وقال تعالى : (قالت الاعراب آمنَّا ، قُلْ لم تُؤْمِنوا ولكنْ قولوا أَسلَمْنَا ولمَّا يَدْخُلِ الايمانُ في قلوبكم) •

ومن حيث المعقول أنه لا وجود للشيء الا بوجود ركنه ، والانسان مؤمن على التحقيق من حين آمن بالله الى أن يموت بل الى الأبد ، وانما يكون مؤمناً بوجود الايمان وقيامه به حقيقة ولا وجود للاقرار في كل لحظة ، فدل انه مؤمن بما معه من التصديق القائم بقلبه الدائم بتجدد أمثاله ، لكن الله تعالى أوجب الاقرار ليكون شرطاً لاجراء أحكام الدنيا ، إذ لا وقوف للعباد على ما في القلب فلابد لهم من دليل ظاهر والله تعالى مطلع على ما في الضمائر فتجري أحكام الآخرة على التصديق بدون الاقرار ، حتى ان من أقر ولم يصدق فهو مؤمن عندنا ، وعند الله تعالى هو من أهل النار ، ومن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه من غير عناد ولا تمكّن فهو كافر عندنا ، وعند الله تعالى مؤمن من أهل الجنة ، اذا تقرر هذا فالمتكلمون الذين عناهم خصوصاً فحكم عليهم بالشرك لزعمه تقصيرهم عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله تعالى في كتابه وجهلهم توحيد الالوهية واثبات حقائق أسماء الله وصفاته وعبادتهم غيره ، هم الأمّة الاسلامية المعاصرة له المالكية والشافعية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، لكونها كلها في أصول الدين على مذهبي الأشعري والماتريدي •

ولا يخفى على كل من له مسكة من عقل ودين أنها صدقت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما جاء به من عند الله عز وجل مما علم مجيئه به بالضرورة صدقت بقلوبها وأقرت بألسنتها وعملت بجوارحها •

Marfat.com

أين الامة الاسلامية وأين الطائفة

التي لا تزال ظاهرة على الحق الى قيام الساعة

فاذا كانت هذه الامة التي انتشرت إذ ذاك في أكثر الربع العامر كلها في رأيه كافرة مشركة لأنها لم تعرف = في زعمه = توحيد الالوهية ، فأين الأمة الاسلامية وأين الطائفة التي لا تزال ظاهرة على الحق الى قيام الساعة ؟ كما في خبر الصادق صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يتردد كل وقح مفتون به في جواب هذا السؤال أن يقول هي كلها أحمد بن تيمية ومقلدوه ، ولا يتردد عاقل وقف على كلامه هذا أنه حكم على الملايين من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالكفر وما في قلوبها لا يعلمه الا الله ، ولا يتردد أن يقول في حكمه هذا أنه باهت مرتكب جرماً عظيماً راجماً عليه ، وهو تكذيبه لنصوص كتاب الله تعالى وصريح سنته عليه الصلاة والسلام الكثيرة ، منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمولاه أسامة (هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك) ، وقد فرع على حكمه الفاجر قوله وهو :

الوجه التاسع والعشرون

كذبه وتلبيسه في جملة واحدة اربع مرات

التاسع والعشرون : (فالطائفة من السلف تقول لهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله) ، وهو فاسد مشتمل على خمسة أوجه كلها فاسدة :

(الاول) : افتراؤه على طائفة من السلف سائلة للأشاعرة والماتريدية المعاصرين له افتراءً مكشوفاً مستحيلاً لأن السلف يطلقون على خير القرون كما في الحديث الصحيح : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته يشهدون قبل أن يستشهدوا ويحلفون قبل أن يستحلفوا ويظهر فيهم السمن وأقصى أمدهم آخر المائة الثالثة) .

Marfat.com

تورطه في الجهل بتفسير

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) اربع مرات

(الثاني) افتراؤه على المعاصرين له افتراء مكشوفاً مستحيلاً بأن طائفة من السلف سألتهم قائلة : (من خلَقَ السمواتِ والارضَ) ، والمسؤولون من الخلف ، وعليهما •

(الثالث) : بين الطائفة السائلة وبين المسؤلين اكثر من أربعمائة سنة ، وهذه المدة المديدة بينهما تحيل كون السائلين والمسؤلين في عالم الأشباح ، وانما يتعين فرض السؤال والجواب بينهما في عالم الأرواح وهو البرزخ والأرواح في هذا أما منعمة واما معذبة فالمنعم منها مشغول بنعيمه والمعذب مشغول بعذابه فلا فائدة للسائل في سؤاله ولا للمجيب في جوابه •

(الرابع) : لا وجود للطائفة السائلة ولا للمسؤلين في عالم الاشباح ولا في عالم الأرواح وانما اعجابه برأيه وازدراؤه لعلماء الاسلام خيَّلا له سؤالهم ، فهو وحده الطائفة المتخيلة للسؤال والمسؤلون المتخيلون في ذهنه هم المالكية والشافعية والحنفية وفضلاء الحنابلة المعاصرون له ، وحقيقة هذا السؤال وتوضيحه هكذا : (أحمد بن تيمية الذي هو من الخلف يقول لكم يا مالكية وياشافعية ويا حنفية ويا فضلاء الحنابلة) (من خلَقَ السماواتِ والأرضَ) ، والطائفة تطلق لغة على الواحد الى الألف ، فقد لبَّس وكذب في جملة واحدة أربع مرات ، كذب ولبَّس بلفظها المحتمل للجمع والواحد ، وكذب ولبَّس أيضاً في قوله : (من السلف) وهو من الخلف ، وكذب ولبَّس أيضاً في قوله : (تقول) بالتاء المعينة للفظ الطائفة للجمع ، وكذب ولبَّس أيضاً في قوله : (لهم) اي للمسؤلين المتخيَّلين والحقيقة انما هي :

واذا ما خـلا الجبـان بأرض طلب الطعـن وحـده والنزالا

فان قيل مراده بالطائفة السلفية السائلة جماعة من التابعين ، وبالمسؤلين المعتزلة

Marfat.com

الذين وجدوا في زمانهم فهو على هذا صادق ، قلت : هذا باطل بوجهين :

الاول : لو قرّبه من الحق قليلاً لسمي من الطائفة السلفية السائلة ولو واحداً وسمي من المعتزلة المسؤلين ولو واحداً ، فركوبه فيهما جادة الابهام التي لا يسلكها الا الملبّسون والكائدون للاسلام دليل واضح على أنه لا سائل ولا مسؤل فهو المفتعل لهما جزماً .

الثاني : لو اجتمع معه الثقلان على النقل عن أيّ واحد من التابعين وأتباعهم ولو باسناد واه أنهم قالوا للمعتزلة (من خلق السموات والارض) لم يستطيعوا ذلك بل لو اجتمع معه الثقلان على النقل عن أي صحابي من الصحابة الذين فتحوا البلدان ونشروا محاسن الدين الاسلامي على المعمورة ولو باسناد واه أنهم كانوا يقولون للمجوس أو لغيرهم من طوائف الكفار (من خلق السموات والارض) لم يستطيعوا ذلك ، بل لو اجتمع معه الثقلان على النقل عن سيد الكائنات صلى الله تعالى عليه وسلم ولو باسناد واه أنه كان يقول للناس في دعوته لهم الى الله (من خلق السموات والأرض) لم يستطيعوا ذلك .

(الخامس) : المخاطب بسؤال المشركين في قوله تعالى (ولئِنْ سألْتَهُمْ) ، هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة ، وأن الشرطية المقرونة بلام القسم ممكن وقوع شرطها وهو سؤالهم عن ذلك ، وعدم وقوعه أي عدم سؤالهم عن ذلك عربية فمدخولها جائز الأمرين مستقبل معنى وأن كان ماضيا ، ولم يرد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن ذلك ، ولذلك قال المفسرون إن المشركين يقولون : (الله) بالفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وهي العهد الذي أخذه عليهم في عالم الذر وبضرورة العقل السليم لا باللفظ ، وعليه فقد تورّط في الجهل أربع مرات : جَعْلُه نفسه في مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وحمله الآية الواردة في المشركين على المسلمين ، وجَعْلُه مدخول ان الشرطية واجباً وهو جائز ، وباللفظ ، ولا يتردد العاقل في أنّ مخاطبة وسؤال المتخيل في الذهن يعد ضرباً من الجنون .

Marfat.com

الوجه الثلاثــون

جعله التوسل والاستغاثة والاستعانة

عبادة للمتوسل به والمستغاث به والمستعان به

الثلاثون : قوله : (وهم مع ذلك يعبدون غيره) فاسد أيضاً ومعناه يقول احمد بن تيمية الملبس بلفظ (الطائفة) والملبس أيضاً المدعي أنه (من السلف) للمالكية والشافعية والحنفية ومستقيمي العقيدة من الحنابلة (من خلق السموات والارض فيقولون الله) ، وهم مع اعترافهم بتوحيد الربوبية مشركون في رأيه لانهم (يعبدون غيره) ، أي يتوسلون بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبالصالحين من أمته ويستغيثون ويستعينون بهم وكل من التوسل والاستعانة والاستغاثة عبادة غير الله تعالى في زعمه ، وقد اعتمد في تكفير المسلمين بهذه الألفاظ على ارادة نفع جاه المتوسل به أو المستغاث به مثلا قياساً على عبدة الأوثان بجامع الارادة المذكورة في كل ، وهو قياس فاسد من ستة أوجه :

ابطال قياسه الفاسد بستة أوجه

(الاول) جهله حقيقة العبادة ، فان العبادة لغة : أقصى نهاية الخضوع والتذلل بشرط نية التقرب ، ولا يكون ذلك الا لمن له غاية التعظيم ، فقد تبيَّن منه أن العبادة لغة لا تطلق الا على العمل الدال على الخضوع المتقرب به لمن يعظمه باعتقاد تأثيره في النفع والضر أو اعتقاد الجاه العظيم الذي ينفعه في الدنيا والآخرة ، وهي التي نهى الله سبحانه وتعالى عن ان تقع لغيره وكفر من لم ينته عنها ، وما قصر عن هذه المرتبة لا يقال فيه عبادة لغير الله • وشرعاً : امتثال أمر الله كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم ، فاعتبر فيها ما اعتبر في اللغوية من الخضوع والتذلل والتعظيم ، فاللغوية غير مقيدة بعمل مخصوص والشرعية مقيدة بالأعمال المأمور بها فكانت جارية على الأعم الأغلب في الحقائق الشرعية من كونها أخص من اللغوية ، ومن أجل اختصاصها بالمأمور به خرجت عبادة اليهودي مثلاً لأنه وان تمسك بشريعة

Marfat.com

إلا أنها لما كانت منسوخة كانت كأن لم تكن ، وعبادة المبتدع في الدين ما ليس منه ، فالله سبحانه لما نهى الكفار عما هم مشتغلون به من عبادة غيره ، ووبخهم على وضع الشيء في غير محله وتعظيمهم غير أهله وبين لهم بالدلائل الواضحة عدم صلوحية ما اتخذوه من دونه لما اتخذوه اليه ، وكان الحامل لهم على ذلك اتباع أهوائهم والاسترسال مع أغراضهم ، وذلك مناف لعبوديتهم ، إذ العبد لا يتصرف في نفسه بمقتضى شهوته وغرضه وإنما يتصرف على مقتضى أمر سيده ونهيه ، قصد سبحانه أن يخرجهم عن داعية أهوائهم واتباع أغراضهم حتى يكونوا عَبِيداً لله تعالى اختياراً كما هم عَبِيدٌ له اضطراراً ، فوضع لهم الشريعة المطهرة وبين لهم الأعمال التي تعبدهم بها والطرق التي توصلهم إلى منافعهم ومصالحهم على الوجه الذي ارتضاه لهم ونهاهم عن مجاوزة ما حد لهم حتى ان العبد إذا أخذ حظه من العمل المشروع لمصلحته فانما أخذه من تحت الحد المشروع ، وحصر الأعمال العبادية في أنواع التكاليف .

فما كان منها مشروعاً لمحض التعبد كانت صحته موقوفة على نية التقرب وما يساويها، وما كان مشروعاً لتحصيل المصالح لم تتوقف صحته بمعنى الاعتداد به على ذلك ، لكنه لا يقع عبادة الا مع النية المذكورة ، ومن خرج عن هذا الحد وعبد الله تعالى بغير تلك التكاليف فعمله رد ، وهذا هو المسمى بالبدعة لأنه اخترع طريقة في الدين لم يسبق لها مثال ، وانما بطل عمله لأنه لغير داعية الشرع بل لاتباع الهوى وهو مخالف لقصد الشارع من وضع الشريعة ، وهو الاخراج عن دائرة الهوى والرجوع والانقياد لله في جميع الاحوال ، والمخالف لقصد الشارع باطل ، فتبين من هذا أن العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة ، سواء منها ما كان معقول المعنى أم غير معقول ، إلا أن الثاني تتوقف صحته على النية بخلاف الاول فانه يصح بمعنى يعتد به دونها ، وإنما يتوقف كونه عبادة عليها ، وأن ما خرج عن التكاليف الشرعية ليس من العبادة في شيء ، وان قصد فاعله به العبادة وانما هو بدعة ، وهل اخلاص العبادة لله تعالى من شوائب الحظوظ بأن يعمل العامل الطاعة امتثالاً للأمر الوارد منه على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا لرجاء ثواب ولا لخشية عقاب ولا لتحصيل غرض عاجل .

ولا شك أن هذه أعلى مراتب العبادة وأجل طرق السعادة ، شرط صحة فيها وهو

Marfat.com

مقتضى تعريفها الذي ذكرته ، واليه ذهب جمع من العلماء فقالوا من عبد الله طمعاً في الجنة أو خوفاً من النار لم يعبده ، لأنه جعل حظه مقصداً والعمل وسيلة ، والوسائل غير مقصودة لذاتها ، إذ لو سقطت المقاصد أو توصل اليها بغيرها سقطت ، وما كان هذا شأنه لا يستقيم أن يكون عبادة ، ولهذا عدّ جماعة من السلف العامل للأجر عبد السوء وخديم السوء ؛ أو شرط كمال واليه ذهب جمع من العلماء منهم أبو اسحاق الشاطبي ، وأطنبوا في ذلك ، وخلاصة كلامهم أن مراعاة الحظ العاجل أو الآجل مع مراعاة المقاصد الأصلية التي راعاها الشارع لا يضر ، وانما المضر انفراد مراعاة الحظ عن امتثال الأمر ، لأنه حينئذ عمل بالهوى المض ، وطلب الحظ الاخروي كالعبادة خوفاً من ناره أو طمعاً في جنته ليس بشرك ، اذ لا يعبد الحظ وأنما يعبد من بيده الحظ ، وقصد الحظ الدنيوي فيها شرك أصغر وهو الرياء •

وعلى هذا فشرط كونها عبادة نية التقرب للمعبود ، فالسجود لا يكون عبادة ولا كفراً إلا تبعاً للنية ، فسجود الملائكة عليهم الصلاة والسلام لآدم عليه الصلاة والسلام عبادة الله ، لأنه امتثال لأمره وتقرب وتعظيم له ، والسجود للصنم كفر إذا قصد به التقرب اليه إذ هو عبادة لغير الله ، وكذا يحكم عليه به عند جهل قصده أو انكاره لأنه علامة على الكفر ، والسجود للتحية معصية فقط في شرعنا ، وقد كان سائغا في الشرائع السابقة بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوسف عليهم الصلاة والسلام ، فتحقق من تعريفي العبادة لغة وشرعاً أن العبادة غاية التذلل والتعظيم للمعبود ، وعليه فليس كل تعظيم عبادة ، وان ضابط التعظيم المقتضى للعبادة هو ان يعتقد له التأثير في النفع والضر ، أو يعتقد له الجاه التام والشهادة المقبولة بحيث ينفع في الآخرة ويستنزل به النصر والشفاء في الدنيا •

Marfat.com

معنى الوسيلة لغـــة ، والتوسل لا يسمى عبادة قطعاً

ولا يقال فيه عبادة وانما هي وسيلة اليها ، ووسيلة الشيء غيره بالضرورة

(الثاني) الوسيلة لغة كل ما يتقرب به إلى الغير ، وسَّل إلى الله تعـالى توسيلاً عمـل عمـلاً تقـرب بـه إليـه ، فتحقـق منـه ان التوسـل لا يسمى عبـادة قطعـاً ولا يقال فيه عبادة وإنما هو وسيلـة اليهـا ، ووسيلـة الشيء غـيره بالضرورة وهـو واضح ، فان التوسل لا تقرب فيه للمتوسل به ولا تعظيمه غاية التعظيم ، والتعظيم اذا لم يصل الى هذا الحد لا يكون الفعل المعظم به عبادة ، فلا يطلق اسم العبادة على ما ظهر من الاستعمال اللغوي الاّ على ما كان بهذه المثابة من كون العمل دالاً على غاية الخضوع منوياً به التقرب للمعبود تعظيماً له بذلك ، التعظيم التام ، فاذا اختـل شيء منها منـع الاطلاق ، اما الدلالة على نهاية الخضوع فظاهر ، لأن مناط التسمية لم يوجد ، ولأن الناس من قديم الزمان الى الآن يخضعون لكبرائهم ورؤسائهم بما يقتضيه مقامه الدنيوي عِنْدَهم ويحيّونهم بأنواع التحيات ويتذللون بين أيديهم ولا يعدون ذلك قربة ولا يطلقون عليه اسم العبادة ، وانما يرونه من باب الأدب ، وما ذاك الا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته والتعظيم الناشيء عنه لم يبلغ غايته ، وبهذا ظهر الفرق بين التوسل والعبادة ، على ان (عَبَد) يتعدى بنفسه وتوسل يتعدى بحرف الجر •

اوغل ابن تيمية في بيداء القياس الفاسد دفعتين

وقد أوغل ابن تيمية في بيداء القياس الفاسد دفعتين ؛ قياسه معاني هذه الالفاظ ، توسل استعان ، استغاث ، تشفع ، على العبادة ، وقياسه المؤمنين المتوسلين بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثلاً على عبدة الأوثان من دون الله بجامع أرادة الجاه في كل •

فلينظر اللبيب الى أين رماه جهله باللغة العربية ، فانه لو تأمل في قول القائل : اللهم اني أتوسل الك بفلان ، وأجراه على ما تدل عليه اللغة لوجد معناه ؛ اللهم اني أتقرب

Marfat.com

اليك واتحبب اليك ، فهو دالّ بجوهره على أن التقرب لله لا لمن يراد جاهه ، ومن جهل الفرق بين عبد وتوسل كيف يصح له القياس في دين الله والحاق بعض الفروع ببعض ، والقياس أصعب أنواع الاجتهاد ، لكثرة ما يعتبر في اركانه من الشروط وما يرد عليه من المعارضات والمناقضات وغير ذلك من أنواع الاعتراضات ، فلا يصفو مشربه الا لأهل الاجتهاد ومن أحاط بمداركهم على اختلاف مراتبهم ، ومن قصر عن تلك المراتب لا يسوغ له الجزم بالحكم المأخوذ منه في دانق فكيف بالحكم المأخوذ منه في تكفير المسلمين .

حيث تحقق الفرق بين العبادة والتوسل

فالعبادة فيها معنى زائد يناسب إناطة الحكم به

(الثالث) حيث تحقق الفرق بين العبادة والتوسل ، فالعبادة فيها معنى زائد يناسب اناطة الحكم به ، وهو اشتمالها على الاعراض عن الله واطلاق الالهية على غيره واقامته مقامه وخدمته بما يستحق أن يخدم ، وقد أشار الى هذا المعنى بعض فضلاء أهل السنة ، وملخص كلامه : أن الشبهة الحاملة لعبدة الأوثان على عبادتها هي أنهم استصغروا أنفسهم فاستعظموا أن يعبدوا الله مباشرة ، ورأوا من سوء الأدب أن يشتغل الحقير من أول وهلة بخدمة العظيم ، وقربوا ذلك بأمر مستحسن في العادة ، وهو أن الحقير لا ينبغي له أن يخدم الملك حتى يخدم عماله إلى أن يترقى لخدمته ، وقال : وهذه هي الحاملة على التوسل الى الله تعالى بمن له جاه عنده ، الا أن الشرع أذن في التوسل ولم يأذن في العبادة فكانت حاجة الكفار تندفع بما شرعه الله ، إلا أن الله تعالى أعمى بصائرهم ، ولو تنبهوا لأمر عادي آخر لأرشدهم ، فان الملك من ملوك الدنيا اذا استجاه له أحد بعظيم من وزرائه وتشفع له بذلك ، ربما أقبل عليه وأخذ بيديه وقضى ما أراده منه ، أما إذا عظّم ذلك الوزير بما يعظم به الملك وعامله بمعاملته وأقامه في مقامه فيما يختص به الملك عن غيره ، رجاء أن يقضي ذلك الوزير حاجته من الملك ، فان الملك اذا علم بصنيعه يغضب أشد الغضب ، ولا يقتصر في العقوبة على قطع الرجاء من الحاجة بل يقتك به وبالوزير ان أحب ذلك ، فمثال التوسل الأول ومثال العبادة الثاني فتأمل هذا المثال فانه

Marfat.com

واف بواقعة الحال ، وبالله التوفيق والاعتصام •

القاعدة المشهورة المطردة

وهي ان استواء الفعلين في السبب الحامل على الفعل لا يوجب استواءهما في الحكم

(الرابع) القاعدة المشهورة المطردة وهي : أن استواء الفعلين في السبب الحامل على الفعل لا يوجب استواءهما في الحكم ، يدل على هاته القاعدة دلالة قطعية ، أنه لو لم يكن الأمر كذلك بأن كان الاستواء في الحامل يوجب الاستواء في الحكم = كما ادعاه ابن تيمية = وقرره في قياسه التوسل على العبادة والمتوسل على عابد الوثن = ، للزم ابطال الشريعة وتساوي الأعمال في الاحكام ، واللازم باطل بالاتفاق وهو ضروري غني عن الاستدلال ، وأما الملازمة فلما علم من ان الشريعة جاءت لاخراج العبد عن دائرة هواه حتى يكون بالاختيار عَبْداً لله ، فالمعنى الذي يراعيه المكلف ويحمله على الفعل بالاقدام ، ان كان مصلحة ، أو الاحجام ان كان مفسدة ، وان راعته الشريعة له تفضلاً من الله الا أنها لم تسترسله مع أغراضه وأهوائه ، فلم تبح له سلوك كل طريق يوصل اليها ، بل أخذت بلجامه الى الطرق التي عينتها له ليتبين بذلك كونه عبداً لا يقدر على شيء حتى اذا أخذ حظه من العمل أخذه من تحت يد الشريعة ، فالأكل مثلا يحمل عليه دفع ألم الجوع وسد الرمق وهو يحصل بكل ما يؤكل من طاهر ونجس حلال أو حرام ، وقد عينت الشريعة طريقة بالاختيار بالحلال الطيب الطاهر ، ومثله الشرب الذي يحمل عليه دفع ألم العطش خصّته أيضا بالحلال الطيب ، فالآكل والشارب من الحلال الطيب لدفع الألم وسد الرمق ، مساو للآكل والشارب من الحرام النجس للغرض المذكور ، فلو كان الاستواء في الحامل موجباً للاستواء في الحكم لما اختلف الحكم فيهما ، فكان الأول آتياً بواجب أو مباح والثاني آتيا بحرام ، ولكان الواجب استواءهما في الحلّية او الحرمة •

وكذلك الوطء اذا وقع لقضاء الشهوة ودفع دغدغة المني ، فان الزاني والناكح والمالك يشتركون في هذا السبب ، مع أن فعل الأخيرين مباح وفعل الاول محرم ، فلو

Marfat.com

كان الاشتراك في الحامل مفض الىالاشتراك في الحكم لزم استواؤهم في الحلوالحرمة.

ومثل ذلك اكتساب الأموال واقتناؤها ، فان الشرع عين لتحصيلها طرقاً مخصوصة على وجوه مخصوصة ، كالبيع والاجارة وما أشبه ذلك على شرائط عينها فيهـا تنعـدم بانعدامها ، ولا يحصل الاكتساب بفقدها ، وحرم في ذلك طريق الغصب ، وما كان من الطرق على غير الوجه المشروع ، فالغاصب والمشتري مثلا مستويان في الحامـل وهو الاكتساب ومختلفان في الحكم ، ومثل ذلك يقع في العبادات المشروعـة لقهر النفس والتوجه للواحد الحق فانه عين لها طرقاً مخصوصة يتقرب بها اليه فمن جاءه منها قربه وأسعده ، ومن جاءه من غيرها طرده وابعده وان توجه بها اليه وقصده ، فالعابد والمبتدع مشتركان في الحامل ، وهو قصد التقرب مع اختلافهما في الحكم ، فظهر بهذا صحة لزوم قلب الشريعة على تقدير القول بتساوي الاحكام عند الاشتراك في الأغراض فيتعين بطلانه واذا بطل لزم صدق نقيضه ، وهو أن الاشتراك في الغرض لا يوجب الاشتراك في الحكم .

قد اداه جهله حقيقة العبادة الى قياس فاسد

وقد أداه جهله حقيقة العبادة الى قياس آخر فاسد وهو قياسه ما لا عبادة فيه مـن نذر وذبح وطلب دعاء على ما فيه عبادة غير الله بجامع العبادة في كل .

روى الحافظ ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه ، قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم : (تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها على أمتي فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله) ، وساق فيه إسناداً الى الحسن البصري رضي الله تعالى عنه انه قال : (أول من قاس ابليس) ، قال : (خلقتني من نار وخلقته من طين) ، وأسند ايضا عن ابن سيرين رضي الله تعالى عنه أنه قال : (أول من قاس ابليس وانما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس) إ هـ .

Marfat.com

الجمع في هذا القياس الفاسد بغير علة شرعية

(الخامس) : الجمع في هذا القياس الفاسد بغير علة شرعية ، لأن إرادة نفع الج
من الأغراض التي تدعو النفوس اليها ، فمن اتبعها اتبع نفسه اذ قد أعطاها مطلوبها

مسألة التوسل من فروع القاعدة المتقدمة

وما كان من الأغراض النفسانية قد علم أن الشرع جعل لبعضه طرقاً توصل
وحظر عليه ما سواها ، فجعل لارادة نفع الجاه طريق التوسل ، وحرم طريق العباد

وحينئذ فمسألة التوسل من فروع القاعدة المتقدمة ، وقد بين فيها أن تلك الأغراض
لا يجمع بها القياس لأن الشرع لم يعينها للتعليل ولا المكلف يقصد بها اتباع الشرع
إذ ليس الحامل له على ذلك الاتباع ، فان قيل : لا يسلم ابن تيمية أنه جمع في هـ
القياس بالأغراض النفسانية ، بل يزعم أنه جمع بعلة شرعية فان تعليل العبادة الوثن
بنفع الجاه مما أومأ إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : (ما نَعْبُدُهُمْ الا ليقرّبونا ا
الله زُلْفىَ) وبها تمسك ابن تيمية ومقلده محمد بن عبد الوهاب في تكفير المسلم
المتوسلين وكرر الثاني لوكها في رسائله ، فالجواب لا يتمسك بها فيه إلا غبي لأن الع
الشرعية المعتبرة في الجمع المراد بها علة الحكم من الوجوب والندب والتحريم والكرا
والاباحة لا علة نفس الفعل الحاملة لفاعله عليه •

والقرآن العظيم انما أشار الى أن تعليلهم الذي عللوا به عبادتهم وحملهم عليه
فاسد فهو من باب التنبيه على ضلالهم وانما يكون من قبيل العلة الشرعية لو قال الله تع
حرمت عبادة الأوثان لارادة نفع الجاه منها ، وأومأ الى ذلك أو نبه بمسلك من مسا
العلة عليه ولم يقل ذلك ولم يشر اليه بحال ، بل اشار في مواضع كثيرة الى أن الع
في تحريمها وتكفير فاعلها عدولهم بها عن خالقهم المستحق لها ووضعهم الشيء في
محله باذلال نفوسهم المملوكة لغير مالكها وتعظيمهم من لا يملك دفع الضر عن نفس

Marfat.com

ثم لا يلزم من الايماء الى فساد تعليل العمل أن يكون ذلك الفساد هو علة النهي ، لأن فساد تعليل العمل يرجع الى التخطئة في عمل ذلك العمل على ذلك القصد ولا اشعار فيه بحكم من توسل بنبي أو ولي أصلاً •

مما يدل على فساد هذا القياس

(السادس) مما يدل على فساد هذا القياس ؛ اشتراط العلماء قاطبة في صحة القياس كون المقيس غير منصوص عليه في الكتاب والسنة ، والمقيس هنا = وهو التوسل = منصوص عليه كتاباً وسنة ، والقياس في مقابلة النص باطل بالاجماع ، والتفرقة بين الحي والميت في جواز التوسل بالاول فيما يقدر عليه دون الثاني ، لا وجه لها ، لان الحكم الشرعي منوط في هذه المسألة ببلوغ حد العبادة وعدمه ، فان بلغ الفعل اذا وقع لغير الله ذلك الحد كان كفراً والاّ فلا ، سواء كان المتوسل به حياً أو ميتاً ، على أنها مورطة للمفرق في مذهب القدرية ، وجارّة له الى مذهب الماديين الذين ينكرون وجود الاله ويعتقدون فناء الأرواح ، وقد أجمع أهل الأديان السماوية على بقاء الأرواح •

* * *

تهجمه على قلوب كثير من المسلمين
وحكمه عليهم بالشرك

تهجمه على قلوب المسلمين وحكمه عليهم بالشرك وتخبطه في تعريف العبادة وتغليطه العلماء المجيزين عطف الاتباع على لفظ الجلالة في (حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وابطال كلامه وكلام ابن القيم :

قال في المجلد الثاني من فتاواه ص ٢٧١ : ثم إن كثيراً من الناس يحب خليفة أو عالماً أو شيخاً أو أميراً فيجعله نداً لله ، وان كان قد يقول انه يحبه لله ، فمن جعل غير

Marfat.com

الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ، وان خالف أمر الله ورسوله فقد جعله نداً ، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح ، ويدعوه ويستغيث به ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه مع ايجابه طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ويحلله ويحرمه ويقيمه مقام الله ورسوله •

فهذا من الشرك الذي يدخل اصحابه في قوله تعالى : (ومن الناس من يتّخذُ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبِّ الله والذين آمنوا اشدُّ حباً لله) ، فالتوحيد والاشراك يكونان في أقوال القلب ويكونان في أعمال القلب •

وفي ص ٢٧٤ منه قال : والعبادة أصلها القصد والارادة والعبادة اذا أفردت دخل فيها التوكل ونحوه ، واذا قرنت بالتوكل صار التوكل قسيماً لها إ هـ •

وفي ص ٣٠٤ منه قال : العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة إ هـ •

وفي ص ٣٠٥ منه قال : والعبادة أصل معناها الذل أيضاً يقال طريق معبد اذا كان مذللاً قد وطئته الاقدام ، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة فان آخر مراتب الحب هو التتيّم إ هـ •

وفي ص ٣٠٦ قال : في قوله تعالى : (يا ايها النبي حسبُكَ الله ومَنِ اتّبعك من المؤمنين) ، أي حسبك وحسب من اتبعك الله ، ومن ظن ان المعنى ، حسبك الله والمؤمنون معه ، فقد غلط غلطاً فاحشاً كما قد بسطناه في غير هذا الموضع إ هـ •

Marfat.com

* * *

تهجمه على قلوب كثير من المسلمين

وحكمه عليهم بالشرك

أقول : قد هجم على قلوب كثير من المسلمين في هذه الثرثرة من قوله : ثم ان كثيراً من الناس يحب خليفة أو عالماً أو شيخاً أو أميراً الى قوله : (فالتوحيد والاشراك يكونان في أقوال القلب) ، فحكم عليهم بالشرك وما في القلوب لا يعلمه إلاّ علاّم الغيوب ، وبالغ في حكمه الفاجر بقوله : (وان كان قد يقول انه يحبه لله ، فهو كافر عنده وان قال أنه يحبه لله ، فهو لا يصدق أقوال المسلمين وظواهرهم ، ولا يكتفي منهم بما اكتفى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ، منهم في قوله : (إني لم اؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم) ، وقوله صلى الله عليه وسلم موبخاً لمولاه أسامة لما قتل الأعرابي الذي كان مع المشركين بعد قوله : لا اله الا الله حين رفع السيف عليه ، معتذراً بأنه قالها خوفاً من السيف ، (هلاّ شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك) ، بل قال صلى الله تعالى عليه وسلم (من حلف باللات والعزى فليقل لا اله الا الله) .

قال الامام البخاري ولم ينسبه الى الكفر ، وأما ما أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) ، فقد قال الحافظ ابن حجر في فتحه ، في شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، (الا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) فيه ما نصه : والتعبير بقوله : (فقد كفر أو أشرك) للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك .

ثم قال : فان اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به وكان بذلك الاعتقاد كافراً وعليه يتنزل الحديث المذكور إ هـ .

Marfat.com

« دعا » لفظ مشترك بين معان كثيرة

وقوله : (ويدعوه) ، أي يعبده بالتوسل به الى الله ، ودعا في لغة العرب لفظ مشترك بين هذه المعاني ، العبادة كقوله تعالى : (وانَّ المساجدَ لله فلا تدعوا مع اللهِ أحداً) ، والنسبة كقوله تعالى : (ادعوهم لآبائِهم) ، أي انسبوهم اليهم ، والنداء كقوله تعالى : (وادعوا شهداءكُمْ) أي نادوهم ، والسؤال كقوله تعالى: (ادعوني أستجبْ لكم) ، أي اسألوني ، والدعوة الى الشيء كقوله تعالى : (ادْعُ الى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ) ، والتمني ومنه : (ولهم ما يَدّعُون) ، والقول نحو قوله تعالى : (دعواهُمْ فيها سبحانَكَ اللَّهُمَّ) ، والتسمية كقوله تعالى : (لا تجعلوا دعاءَ الرسول بينكم كدعاءِ بعضِكُمْ بعضاً) ، وليس في اللغةِ أن « دعا » تأتي بمعنى « توسَّل » .

وقد تقدم تحقيق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغة وشرعاً ، وأنه كفر المتوسلين بجاه الصالحين بالقياس الفاسد واذن فلا سبيل له على تكفيرهم في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في اجماع المسلمين ولا في اللغة ، وأنما سبيله فيه سبيل الشيطان وفساد قوله : (فالتوحيد والاشراك يكونان في أقوال القلب ويكونان في أعمال القلب) ظاهر ، فان التوحيد والاشراك مصدران والمصدر معنى من المعاني ، فكل منهما عبارة عن المعنى القائم بالقلب وهو الاعتقاد ، ولم يقل عالم في اعتقاد القلب الذي هو معنىً انه قول فضلاً عن كونه أقوالاً ، ولم يقل فيه انه عمل فضلا عن كونه أعمالاً ، وانما العمل للجوارح الظاهرة .

لم يأت بطائل في محاولة تعريف العبادة
في المواضع الثلاثة

ثم حاول تعريف العبادة في ثلاثة مواضع فلم يأت بطائل ، فقوله في الاول منها : (والعبادة أصلها القصد والارادة) غير موجود في القاموس وشرحه تاج العروس ،

Marfat.com

وأصل الشيء غير ذلك الشيء فأصل العبادة غير العبادة ، فليس هذا تعريفاً للعبادة •

وقوله : (والعبادة اذا أفردت دخل فيها التوكل ونحوه واذا قرنت بالتوكل صار التوكل قسيماً لها) فاسد من ثلاثة اوجه :

الاول : التوكل محله القلب وهو من التوحيد ومن أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين ، فاذا أكرم الله به عبداً وتحقق به فأخذه بالأسباب لاينافيه ، والعبادة وان ارتكزت باعتبار ثمرتها وقبولها عند الله عز وجل على الاخلاص فيها ، والاخلاص محله القلب أيضا فهي باعتبار حقيقتها التكاليف الشرعية الظاهرة ، لأنها فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه ، او امتثال أمر الله كما امر على الوجه المأمور من اجل أنه أمر مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم لله ، والاخلاص شرط في سائر العبادات ، وحقيقته سلامته من وصفين : الرياء والهوى ، والاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية ، وهو وضده يتواردان على القلب فهو محلهما •

الثاني : يلزم من دخول التوكل فيها ، اذا أفردت ، أن يكون قسماً منها مندرجاً فيها كاندراج الاسم تحت الكلمة فانه قسم منها وأخص منها •

الثالث : يلزم من كونه قسيماً لها اذا قرنت به أن يكون مقابلاً لها ، لأن قسيم الشيء هو ما يكون مقابلاً للشيء ومندرجاً معه تحت شيء آخر ، كالاسم فانه مقابل للفعل ومندرج معه تحت الكلمة التي هي أعم منهما ، فتحقق من طرفي كلامه أن التوكل جزء داخل تحت كلٍّ لا محالة فان كان داخلاً في العبادة فهي كل له ، وان كان قسيماً لها فهو معها داخلان في توحيد الالوهية الذي اخترعه ، فهو كلٌّ لهما ، فقد حاول بهذا الكلام تعريف العبادة فأخطأه ، ووقع وهو لا يشعر في علم المنطق الذي ذمَّه وحرَّمه •

وقوله في الثاني : (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) هزاء ، ليس بتعريف للعبادة أيضاً وفساد قوله : (من

Marfat.com

الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) ظاهر تقدم ابطاله ، وليس قوله في الثالث (والعبادة أصل معناها الذل أيضاً الى آخر هذره) تعريفاً للعبادة •

ابطال زعمه عطف (ومن اتبعك)

على محل الكاف في (حسبك)

وقوله في (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) اي حسبك وحسب من اتبعك الله متعين عنده أي محل « مَنْ » جر معطوفاً على محل الكاف في حسبك لأن الحسب = على زعمه = مختص بالله عز وجل ، ولا يجوز عطفه على لفظ الجلالة ، ولذلك قال : (ومن ظن أن المعنى حسبك الله والمؤمنون معه فقد غلط غلطاً فاحشاً) ، والعطف بالواو عند جمهور النحاة لمطلق التشريك في الحكم فلا تدل على ترتيب ولا مصاحبة •

فالعلماء الذين أجازوا عطف (ومن اتبعك) على لفظ الجلالة لم يقولوا والمؤمنون معه فلفظة (معه) مفتراة عليهم •

وقوله : (كما قد بسطناه في غير هذا الموضع) حوالة على مجهول ، وهي احدى تلبيساته ، وقد أكثر منها في تآليفه فلا بسط ولا موضع ، وعادة العلماء اذا كسل أحدهم عن تحقيق مسألة وحوالها يقول قد بسطتها في كتابي الفلاني أو استوفيت تحقيقها في باب كذا فيعين المحول عليه •

ثرثرة ابن القيم المسهبة الفاشلة

في المدافعة عن راي شيخه في « الحسب »

وقد بسطها مؤلّه هواه تلميذه ابن القيم في اول هَدْيه بما نصه : وقال تعالى : (يا ايها النَّبي حسبُكَ اللهُ ومَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ) ، اي الله وحده كافيك

Marfat.com

وكافي اتباعك فلا يحتاجون معه الى أحد ، وهنا تقديران احدهما أن تكون الواو عاطفة لمن على الكاف المجرورة ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار على المذهب المختار وشواهده كثيرة وشبه المنع منه واهية •

والثاني أن تكون الواو واو مع وتكون من في محل نصب عطفاً على الموضع فان حسبك في معنى كافيك ، أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك كما تقول العرب : حسبك وزيداً درهم ، قال الشاعر :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مُهنَّد

وهذا أصح التقديرين ، وفيها تقدير ثالث أن تكون من في موضع رفع بالابتداء ، اي ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله ، وفيها تقدير رابع وهو خطأ من جهة المعنى ، وهو أن يكون من في موضع رفع عطفاً على اسم الله ، ويكون المعنى حسبك الله واتباعك وهذا وان قال به بعض الناس فهو خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه ، فان الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة •

قال الله تعالى : (وانْ يُرِيدوا أن يخْدَعوكَ فانَّ حسْبَكَ اللهُ هو الذي أيَّدَكَ بنصرِهِ وبالمؤمنينَ) ، ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد بنصره وبعباده ، وأثنى الله سبحانه على اهل التوحيد والتوكل من عباده ، حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ)، ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله •

فاذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك ، فكيف يقول لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الله وأتباعك حسبك ، وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه ؟ ، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟ ، هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل •

ونظير هذا قوله تعالى : (ولو انهم رضوا ما آتاهم اللهُ ورسولُه وقالوا حسْبُنَا

Marfat.com

اللهُ سيؤتينا اللهُ من فضله ورسوله إنَّا الى اللهِ راغبونَ) ، ولم يقل والى رسوله بل جعل الرغبة اليه وحده ، كما قال تعالى : (فاذا فرَغت فانصب والى ربك فارغب) فالرغبة والتوكل والأنابة والحسب لله وحده ، كما أن العبادة والتقوى والسجود لله وحده ، والنذر والحلف لا يكون الا لله سبحانه وتعالى ، ونظير هذا قوله تعالى : (أليْسَ اللهُ بكاف عبْدَهُ) ، فالحسب هو الكافي ، فاخبر سبحانه وتعالى أنه وحده كاف عبده ، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية ؟ ، والأدلَّة الدالة على بطلان هذا التأويل الفاسد اكثر من أن تذكر ههنا إهـ •

ابطال هذه الشرثرة ملخصاً في ثلاثة مباحث

أقول : تتلخص هذه الشرثرة في ثلاثة مباحث ، تأييده عطف من على محل الكاف الذي عينه شيخه ، وزعمه بطلان عطفه على لفظ الجلالة ، وزعمه اختصاص الحسب بالله عز وجل ، فتأييده لما عينه شيخه وزعمه أنه المختار وأن شواهده كثيرة وأن شبه المنع منه واهية ، باطل ، فلم يبرهن على كونه المختار ، ولم يأت بشاهد واحد من شواهده الكثيرة التي ادعاها ، ولم يبرهن على وهي شبهة واحدة من شبه المنع منها التي ادعاها ، بل قوله في التقدير الثاني انه أصح التقديرين واستشهاده عليه بقول العرب : حسبك وزيداً درهم ، وقول الشاعر : فحسبك والضحاك سيف مُهنَّد حجةٌ دامغةٌ زَعْمَهُ بطلانَ التقدير الرابع ، واختصاص الحسب بالله عز وجل ، أن اعادة الجار في المعطوف على ضمير مجرور سواء كان الجار حرفاً كقوله تعالى : (فقال لَها وللأرضِ) و (وعليها وعلى الفُلْكِ) ، وقولك مررت بك وبزيد ، أو إسماً كقوله تعالى: (قالوا نعبُدُ الهَكَ واله آبائِك) ، وقولك حسبك وحسب زيد درهم ، لازمة عند جمهور نحاة البصرة ، وعلل لزومها بأن الجار والضمير المجرور كالشيء الواحد •

فاذا عطف عليه بدون اعادة الجار فكأنه عطف على بعض الكلمة •

وقيل ان الضمير المجرور كالتنوين في شدة اتصاله بالكلمة فهو كجزء منها ، فكما لا يصح العطف على التنوين لا يصح العطف على ما أشبهه ، وقيل غير هذين ، واقتصر

Marfat.com

أبو البقاء العكبري في اعراب القرآن في اعراب (ومن اتَّبَعَكَ) ، على كونه في محل نصب عطفاً على محل الكاف في حسبك باعتبار معناها ، أو في محل رفع عطفاً على لفظ الجلالة ، وضعف عطفه على الكاف في (حسبك) قائلاً فيه ، لا يجوز عند البصريين ، لان العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار لا يجوز إهـ •

فتقرر بهذا ضعفُ عطف (من) على الكاف بدون اعادة الجار •

وضعفُ تقديره الثالث أيضاً وهو كون (من) في موضع رفع مبتدأ والخبر محذوف ، أي فحسبهم الله ، لانه محوج الى تقدير جملة واقعة خبراً له يكون بها معطوفا على ما قبله عطف الجمل ، وما لا يحوج الى تقدير ، وهو عطفه على لفظ الجلالة عطف المفردات أولى مما يحوج الى تقدير •

وتقرر أيضاً وظهر به قوة المبحث الثاني وهوُ عطفه على لفظ الجلالة ، وقوله في آخرها (والأدلة الدالة على بطلان هذا التأويل الفاسد أكثر من ان تذكر ههنا) ،دعوى جوفاء لم يبرهن على بطلان هذا التأويل ولو بدليل واحد منها حتى يقربها من الصحة ، فضلاً عن كونها أدلة أكثر من أن تذكر ههنا ، وما كتبه من الآيات ليس من الدليل في شيء ، لأن الدليل هو المرشد الى المطلوب والمطلوب هنا على زعمه منع عطف (من) على لفظ الجلالة •

وهل أرشد الله فيما ثرثر به من كتابه تعالى الذي يلبس به هو وشيخه على البسطاء الى أن الحسب مختص به تعالى ؟ ، فلا يسوغ اسناده لأتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالعطف عليه ، وهل أرشد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنته التي يلبسان بها على البسطاء الى أن الحسب مختص بالله عز وجل ؟ ، فلا يسوغ لكم يا أمتي اسناده الى أصحابي ، ولا يلزم من اسناده تعالى الحسب له والتشريك في تأييد رسول الله صلى الله تعالى وسلم بينه وبين المؤمنين في قوله تعالى : (وان يريدوا أنْ يَخْدَعوكَ فان حسْبَكَ اللهُ هو الذي أيَّدَكَ بنصره وبالمؤمنينَ) ، اختصاص الحسب به تعالى ومنع عطف (من) على لفظ الجلالة عند العقلاء ، بل هي دالة على ضعف

Marfat.com

مختاره وقوة عطف الاتباع على لفظ الجلالة •

ولا يلزم أيضاً من ثناء الله تعالى على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في تفويضهم أمورهم اليه تعالى في قولهم : (حسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ) ، وعدم قولهم (ورسوله) اختصاص الحسب به تعالى ، وحظر اسناده لاتباع الرسول المؤمنين بالعطف على لفظ الجلالة ، فاقتصارهم على كفاية الله لهم وان كان من أعلى مقامات التوحيد ليس بدليل على اختصاص الحسب بالله ، ومنع عطف الاتباع على لفظ الجلالة ، وترك قولهم (ورسوله) عدم ، والعدم ليس بدليل عند العقلاء ، فترك قولهم (ورسوله) ليس بدليل على منع عطف الاتباع على لفظ الجلالة ، واختصاص الحسب به تعالى ، ولا ملازمة ولا محال بين قولهم : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، وعدم قولهم : (ورسوله) ، ومدح الله تعالى لهم على تفويضهم امورهم اليه ، وبين عطف الاتباع على لفظ الجلالة ، فاستنكاره ذلك منكر ، ولا ملازمة أيضا بين افراد الاتباع الربّ بالحسب وعدم تشريكهم بينه تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم فيه في هذه الآية ، وبين تشريكه تعالى بينه وبين أتباع رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحسب في آية الأنفال عند من يعقل ، فله تعالى أن يشرك معه من شاء من عباده في الاسناد ، وهو جل وعلا المتفرد بالايجاد والتأثير ، والتشريك بواو العطف كثير في كتاب الله وسنة رسوله •

قال تعالى : (وما نقَمُوا الا ان اغْنَاهُمُ اللهُ ورسولُه) ، وقال : (واللهُ ورسولُه أحقُّ انْ يُرْضُوه إن كانوا مؤمنينَ) ، وقال : (فانَّ اللهَ هو مَوْلاه وجبريلُ وصالحُ المؤمنينَ والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظهير) ، وقال : (وقالوا حسْبُنَا اللهُ سيؤتينا اللهُ مِنْ فضلِهِ ورسولُه) •

وفي الصحيحين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب الانصار رضي الله عنهم في الجعرانة فقال : (يا معشَرَ الانصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي) ، كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمنُّ •

وفي الصحيحين أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب المسلمين في حجة الوداع

Marfat.com

يوم النحر فقال : (أيّ شهر هذا ؟) قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : (أيّ بلد هذا ؟) قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : (فأي يوم هذا ؟) قلنا الله ورسوله أعلم •

وفي صحيح الامام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام على الباب ولم يدخل ، فعرفتْ في وجهه الكراهية ، فقالت يا رسول الله : (أتوب الى الله والى رسوله) صلى الله عليه وسلم ، وقد تحقق بهذا أن استنكاره الثاني منكر ، وأن قوله : (هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل) فاسد ، وتشريكه تعالى في الايتاء بينه وبين رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، واسناده الحسب اليه تعالى ، وعدم اسناده للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وتشريكه أيضاً في الايتاء بينه وبين رسوله صلى الله عليه وسلم وقصره تعالى الرغبة الكاملة عليه تعالى ، وعدم اسنادها للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللهُ ورسولُه وقالوا حسبُنَا اللهُ سيؤتينا اللهُ من فضلِه ورسولِه أنَّا الى اللهِ راغبون) ، ليس بدليل على اختصاص الحسب به تعالى ، ولا بدليل على اختصاص الرغبة به تعالى عند من يعقل ، وانما هو عدم دليل ، فجعله تعالى الايتاء بينه وبين رسوله فيها ، واسناده للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، في قوله تعالى : (وما آتاكُم الرسولُ فخذوه) ، ليس بدليل على اختصاص الحسب به تعالى ، واسناده تعالى الحسب له وعدم اسناده لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ليس بدليل أيضاً على اختصاصه به تعالى ، فقوله : (فلم يقل الى آخر الهراء •••) عدم دليل لا دليل ، وقصره تعالى الرغبة الكاملة عليه وعدم تشريك رسوله صلى الله عليه وسلم فيها ، ليس بدليل على اختصاصها به تعالى ، فقوله : (ولم يقل والى رسوله الى آخر الهراء •••) عدم دليل لا دليل ، فقد ورطه تقليده شيخه في عدم الدليل كثيراً •

ومنشأ تغليط شيخه العلماء المجوزين عطف الاتباع على لفظ الجلالة ، توهمه أن العطف يفيد المشاركة في حصول ذلك المهم بين الله وبين الاتباع ، والمشاركة في ذلك تنافي توحيد الربوبية ، والجواب عن توهمه بوجهين : الاول على تسليم اختصاص الحسب بالله عز وجل لا يلزم منه ضعف عطف الاتباع على لفظ الجلالة ، لأن اسناد هذا المهم الى الله عز وجل على أنه الخالق للأفعال كلها المؤثر فيها ، واسناده الى الاتباع

Marfat.com

على أنهم السبب الظاهر فيها ، وهذا لا يقدح في العقيدة ولا في جواز عطف الاتباع ع
لفظ الجلالة ، فهو على حد قوله تعالى : (وما رمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رمى)
الثاني قال الامام الرازي : الكل من الله تعالى الا أن من أنواع النصرة ما يحصل لابنا
على الاسباب المألوفة المعتادة ، ومنها ما يحصل بناء على الاسباب المألوفة المعتادة فلهذا الفرق
اعتبر نصرة المؤمنين إ هـ •

وهو قريب من الاول وعليهما ففي الآية مدح عظيم للمؤمنين ودليل على شرفهم
فيؤخذ منها أنهم اذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبداً ، وليس في ذلك اعتماد
على غير الله ، لأن المؤمنين ما التفت اليهم الا لايمانهم ، وكونهم حزب الله فرجع الأمر
حقيقة الى الله عز وجل •

اني اتحدى كل متغال في ابن تيمية

واني أتحدى كل متغال في ابن تيمية ان ينقل نقلاً صحيحاً عن أيّ واحد من
علماء السلف الصالح الذين يلبسون بهم على البسطاء أنه قال لا يجوز عطف الاتباع على
لفظ الجلالة ، لان الحسب مختص بالله عز وجل •

وقد ذكر المفسرون في تفاسيرهم عطف : (ومن اتبعك) على لفظ الجلالة ولـ
يضعفوه ، أولهم الامام أبو جعفر بن جرير حكاه عن بعض أهل العربية قال واستشهد
لصحته بقولـه تعـالى : (حرِّضِ المؤمنـينَ على القِتَالِ) ، ومحيي السنـة البغوي
والنيسابوري والزمخشري وعزاه الفخر الرازي للفراء قائلا : انه احسن الوجهين
وصدر به القرطبي وعزاه للحسن البصري رضي الله عنه وقال : اختاره النحاس وغيره
وأبو حيان وقال إنه الظاهر ، وعليـه فسره الحسن البصري وجماعـة ، والبيضـاوي
ومحشيه الشهاب الخفاجي قائلاً : وضعف في الهدى النبوي رفعه عطفاً على اسم الله
وقال انما هو عطف على الكاف فان المعنى عليه ، ولا وجه له فان الفراء والكسائي رجحا
وما قبله وما بعده يؤيده ، والنسفي والخازن والخطيب والشربيني وأبو السعود ، وهؤلا

Marfat.com

فاضل مع التابعي الجليل الحسن البصري الذي قالوا فيه : انه من أفصح أهل زمانه ، قالوا بشيء = في رأي ابن تيمية وتلميذه = ما دام الاعجاب واحتقار عباد الله ملازمين لها ، وزعمه في الثالث اختصاص الحسب بالله عز وجل باطل بالكتاب والسنة والاستعمال .

بطال زعمه اختصاص الحسب بالله بالكتاب والسنة والاستعمال

أما الكتاب فقد قال تعالى في سورة المائدة : (وإذا قيلَ لهمْ تعالوْا الى ما انْزَلَ اللهُ والى الرسولِ قالوا حسْبُنَا ما وجَدْنا عليهِ آباءَنا) ، فقد اسند المشركون الحسب لعمل آبائهم الفاسد ، فان قيل هذا حكاه الله عن المشركين وقد ذمهم الله عليه ، قلت : انما ذمهم الله على تقليدهم آباءهم في عبادة غير الله واعراضهم عن الايمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وذم آباءهم على جهلهم وعدم اهتدائهم لطريق الحق ، ولم يذمهم على لفظ الحسب فقط ، واذا ثبت في كتاب الله اسناد الحسب لعمل المشركين الخبيث استقلالا فهل يقول عاقل باستحالة اسناده لعمل المؤمنين الطيب اتباعا .

وقال تعالى في سورة التوبة : (وعدَ اللهُ المنافقينَ والمنافقاتِ والكفارَ نارَ جهنَّمَ خالدينَ فيها هي حسْبُهُمْ)، وقال تعالى في سورة المجادلة : (ويقولون في أنْفُسِهِمْ لولا يعذِّبُنَا اللهُ بما نقولُ حسْبُهُمْ جهنَّمَ يصلَوْنها فبئْسَ المصير) ، فهل يقول عاقل بجواز اسناد الحسب لجهنم استقلالاً ، وحظر اسناده للمؤمنين اتباعا ؟ ، وهل يقول عاقل إن اسناده تعالى في هاتين الآيتين ما هو مختص به لجهنم لكرمها عليه ، وحظر اسناده لسادة الامة الاسلامية رضوان الله تعالى عليهم اتباعاً لهوانهم عليه ، سبحان واهب العقول .

واما السنة فقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فأن كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) = أخرجه الامام احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم ، وقال صحيح عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه .

Marfat.com

وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) = رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسّنه ولا يقول ذو عقل ودين إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسند الحَسْب لأكلة ولاحتقار المسلم أخاه كان غير عالم بأنه مختص بالله ، وأن احمد بن تيمية وتلميذه على ذلك ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان • واما الاستعمال فقد ذكره في أثناء كلامه قال : (كما تقول العرب حسبك وزيداً درهم) :

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سف مهند

وبهذا تحقق بطلان قوله : (فان المحسب لله وحده) فحسبه وشيخه جهلهما ذكرته من الأدلة •

ابطال زعمه (الكفاية لله وحده) بالكتاب والسنة والاستعمال

وبطلان قوله أيضا (والكفاية لله وحده) فان الدليل على عدم اختصاصها بالله وجل ، الكتاب والسنة والاستعمال •

أما الكتاب : فقد قال تعالى في سورة النساء مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب على تزكيتهم أنفسهم : (انْظُرْ كيفَ يفترونَ على اللهِ الكَذِبَ وكفى إثما مبيناً) ، فقد أسند تعالى الكفاية الى إفترائهم عليه ، وقال تعالى في سورة الاسراء (اقرأْ كِتَابَكَ كفى بنفْسِكَ اليومَ عليْكَ حسيباً) ، فقد أسند تعالى الكفاية لنفس المكلف ، ومعلوم عند كل من لَه الملم بالعربية أن كلاً من افترائهم على الله ، والنفس فاعل كفى ومسند اليه ، وزيدت الباء في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاضافي •

وأما إسناد الكفاية في سنته عليه الصلاة والسلام لغيره تعالى فكثير ، فمنه قوله

Marfat.com

تعالى عليه وسلم : (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما يسمع) حديث صحيح = رواه داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقوله : (كفى بالمرء إثماً أن يضيع يقوت) = رواه الامام احمد وابو داود والحاكم والبيهقي عن ابن عمرو بن العاص اد صحيح = ، وقوله : (كفى بالمرء من الشر أن يشار اليه بالأصابع) = حديث ن رواه الطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنهما = ، وقوله : (كفى بالمرء الكذب أن يحدث بكل ما سمع وكفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقي لا أترك شيئاً) = حديث صحيح رواه الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه •

وأما اسناد الكفاية لغيره تعالى في الاستعمال فقد تكفلت به كتب اللغة كالقاموس شرحه ، وتأتي كفى قاصرة بمعنى (حسب) والغالب على فاعلها أن يقترن بالباء لتأكيد اتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي نحو : (وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) ، متعدية لواحد بمعنى (قنع) كقوله تعالى : (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف) ، وقول الشاعر :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

ومتعدية لاثنين بمعنى (وقى) نحو (فسيكفيكهم الله) ، (وكفى الله المؤمنين القتال)•

تلبيسه بالتوكل فرض في بحر لا ساحل له

وقوله (كالتوكل) تلبيس وخوض في بحر لا ساحل له ، والتوكل مشتق من لفظ الوكالة يقال وكل أمره الى فلان ، أي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ، ويسمى الموكل اليه وكيلاً ، ويسمى المفوض اليه متكلاً عليه ومتوكلاً عليه ، وينتظم مقام التوكل من علم وعمل وحال ، فالعلم أساسه ، والعمل ثمرته ، والحال التحقق به ، وهو وسط بين طرفي العلم والعمل ومحل التوكل القلب ، وهو من التوحيد ، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل بالقلب مادام العبد متحققاً بان التقدير من الله ، فان تعسر عليه شيء فتقديره تعالى، وان اتفق له شيء فتيسيره تعالى ، وهو من أعلى مقامات اليقين ، وأشرف أحوال المقربين ،

Marfat.com

وهو في نفسه غامض من حيث التعريف ولذلك اختلفت اقوال العلماء في حده •

فمنها : هو الثقة بما عند الله ، واليأس عما في أيدي الناس ، شاق من حيث الع
ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيـ
والاعراض عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع فان غالب المأمورات الشرع
مبناها على الأسباب ، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباباً في تغيير وجه الـ
وانغماس في غمرة الجهل ، فان العاقل كيف يعتمد على شيء وهو لا يُرى به ، وتحقـ
معنى التوكل على وجه يتفق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والغـ
لا يقوى على كشفه الا العلماء الربانيون ، وما جاء في كتاب الله مثل قوله تعالى : (وعـ
الله فليتـوكّلِ المؤمنون) ، فهو بيان لفضيلة التوكل على الله ، وكل ما ذكر في القر
من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار ، و
يعلم ما في كلامه من التلبيس والاجمال ، ومثله فيهما قوله : (والتقوى) ، ومحل التقـ
أيضا القلب بدليل حديث الترمذي المتقدم في مبحث الحسب (التقوى ههنا) ، وهي
اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية ، والتقوى جماع الخيرات ، ومنتهى الطاعات
والرهبة من مباديها ، وقد تسمى التقوى خوفاً وخشية ويسمى الخوف تقوى •

والاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته ، وأصل التقوى اتقاء الشرك ، ثم بعده
المعاصي والسيئات ، ثم بعده اتقاء الشبهات ، ثم ندع بعده الفضلات ، والمتقي من قـ
هذا الوصف ، وغاية التقوى البراءة من كل شيء سوى الله ، ومبدؤها اتقاء الشرك بـ
وأوسطها اتقاء الحرام •

وقد قيل فيها أقوال كثيرة ، فمنها ما نسب لحيدرة كرم الله وجهه ورضي عنه
ترك الاصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة ، ومنها ما نسب الى ابن عباس
الله عنهما في تفسير قوله تعالى : (اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ) ، هو ان يطاع فلا يعـ
ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى •

وقيل هي مجانبة كل ما يبعدك عن الله ، والمتبع هو الذي اتقى متابعة الهوى

Marfat.com

ل : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً •

وقوله (والعبادة) صحيح ، فهو جل وعلا المستحق لها المختص بها وحده وقد دم الكلام عليها مفصلا • وقوله (فالرغبة لله وحده) غير صحيح ، فـ (رغب) يتعدى بفي) فيكون بمعنى ارادة الشيء والحرص عليه والطمع فيه ، ويتعدى (بعن) فيكون بمعنى الاعراض عنه والزهد فيه ، ويحتملهما قوله تعالى:(وترغَبُونَ انْ تَنْكِحوهُنَّ)، يتعدى (بالي) فيكون بمعنى الابتهال والضراعة والطمع ، ومنه حديث الدعاء (رغبة ورهبة اليك) وقوله تعالى (ويدعوننا رغباً ورهباً) ، أي طمعاً وخوفا ، وحديث اسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت يار سول الله (ان أمي أتتني راغبة أفأصلها ، قال نعم) يحتمل (فيّ) و (اليّ) أي طامعة •

ابطال زعمه (الرغبة لله وحده)

والرغبة الكاملة لله

وقوله تعالى (انا الى الله راغبون) الذي احتج به على اختصاص الرغبة به تعالى تضرع وطمع ، بدليل ما قبله ولا حجة فيه على اختصاص الرغبة به تعالى بدليل جواب (لو) المقدر ، اي (ولو أنَّهُمْ رضوا ما آتاهم اللهُ ورسولُه وقالوا حسْبُنَا الله ، الى آخرها) لكان خيراً لهم ، ونزولها في المنافقين معلوم ، ولا حجة ايضا في قوله تعالى : (والى ربّكَ) وحده (فارغب) أي تضرع في السؤال ، ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره ، على اختصاص الرغبة به تعالى وانما دلت على أن الرغبة الكاملة لله عز وجل ، اي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلاً عليه (وعلى الله فليتوكّلِ المؤْمِنُونَ) •

قال العلامة ابو البقاء في كلياته : ولم يشتهر تعديتها بالي الا ان تضمن معنى الرجوع ، ويكون معنى الرغبة الرجاء والطلب إ هـ •

Marfat.com

الانابة أعم من التوبة والأوبة

وقوله (والانابة لله وحده) صحيح ، وهي الرجوع اليه تعالى في جميع الاحوال وهي أعم من التوبة والأوبة ، لأن التوبة الرجوع عن المعصية الى الله ، والأوبة الرجوع عن الطاعة اليه تعالى ، بأن لا يعتمد على طاعته بل على فضله وكرمه تعالى •

السجود للصنم ليس بكفر لذاته

وقوله (والسجود لله وحده) صحيح ، والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض على قصد عبادة الله ، والتذلل معتبر في مفهومه العرفي دون اللغوي ، والسجود للصنم ليس بكفر لذاته ، وانما كفر العلماء الساجد للصنم لانه علامة على اعتقاده الهيته ، ولو كان كفراً لذاته ما حل في شريعة أبداً ، ولكان من الفحشاء ، والله لا يأمر بالفحشاء ، وقد أمر الله ملائكتهعليهم الصلاة والسلامبالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام ، وقد كان سائغاً لغير الله تعالى في الشرائع المتقدمة ، بدليل سجود يعقوب وامرأته وأولاده ليوسف عليهم الصلاة والسلام ، وهو ركن من أركان الصلاة ، والصلاة عماد الدين واعظم أركان الاسلام بعد كلمة الشهادة •

وقوله : (والنذر لا يكون الا لله سبحانه وتعالى) تلبيس ، كشفه ان حد النذر لغة الايجاب والالتزام ، وحده بالمعنى الاعم من الجائز وغيره عند المالكية : ايجاب امرئ على نفسه لله تعالى أمراً ، لحديث (من نذر أن يعصي الله تعالى فلا يعصه) ، واطلاق الفقهاء على المحرَّم نذراً إ هـ ، ومثله في الشمول قول صاحبالروضالمربع منالحنابلة الزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئاً غير محال بكل قول يدل عليه ، وتقسيم الحنابلة له الى ستة أقسام منعقدة دليل على انه ليس بقربة لذاته ، ولا بعبادة •

Marfat.com

تقسيم الحنابلة النذر الى ستة اقسام منعقدة

دليل على انه ليس بقربة لذاته ولا عبادة

والحديث الذي اشار اليه المالكية = أخرجه الامام احمد والبخاري والأربعة عن عائشة رضي الله تعالى عنها = أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله تعالى فلا يعصه) ، وهو متناول للاقسام الستة المذكورة في كتب الحنابلة ، وينعقد نذر المعصية كشرب خمر عندهم على الأصح ، وان حرم الوفاء به ويُكَفِّر من لم يفعله كفارة يمين ويقضي الصوم غير صوم يوم حيض ، وهو من مفردات الامام احمد رضي الله عنه ، ودال على أن النذر في ذاته ليس بقربة ولا عبادة ، ولو كان نذر تبرر تقسيمه •

وحَدّه بالمعنى الخاص عند الشافعية : ايجاب العبد على نفسه قربة لم يوجبها الله تعالى ، وعند المالكية : التزام مسلم كُلّف قربة ولو غضبان ، والتعريفان متحدان معنى، فحقيقة النذر على التعريفين اللغوي والشرعي : ايجاب الانسان أو المسلم على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه ، والفقهاء الحنفية قالوا : من نذر نذراً مطلقا أو معلقاً بشرط ،وكان من جنسه فرض وهو عبادة مقصودة ووجد الشرط المعلق به لزمه الوفاء بما سمى ، كصلاة وصوم وصدقة ووقف واعتكاف واعتاق رقبة وحج ولو ماشياً إ هـ •

ولا تخفى دلالة هذا الكلام على كون النذر ليس بقربة لذاته ، فتحقق بهذا اتفاق المذاهب الاربعة عليه ، وتحققت مباينته للعبادة تمام المباينة بمقتضى تعريف كل منهما لغة وشرعاً ، فان العبادة لغة : أقصى نهاية الخضوع والتذلل ، ولا يكون ذلك الا لمن له غاية التعظيم ، وشرعاً : امتثال أمر الله كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم •

Marfat.com

الفرق بين كون المسلم يوجب على نفسه طاعة

لم يوجبها الله تعالى عليه وبين كونه يأتي باقصى نهاية الخضوع والتذلل لله تعالى

فالفرق بين كون العبد يوجب على نفسه طاعة لم يوجبها الله تعالى عليه ، وبين كونه يأتي بأقصى نهاية الخضوع والتذلل لله ويمتثل أمره تعالى فيأتي بما أمره به على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر مع المبادرة الخ .. يعرفه صغار الطلبة ، و نَهْيُ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه في حديث الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وقوله (أنه لا يرد شيئاً وانما يستخرج به من البخيل) ، وفي رواية : (لا تنذروا فان النذر لا يغني من القدر شيئاً) ، وفي رواية : (لا يأتي بخير) محمول على من علم من نفسه عدم الوفاء بما التزمه ، ومعنى (لا يأتي بخير) أنه لا يرد شيئاً من القدر كما في الرواية الاخرى ، ومعنى (يستخرج به من البخيل) أن البخيل لا يأتي بالنـذر تطوعاً محضاً مبتدئاً وانما يأتي به في مقابلة غرضه الذي علق نذره عليه .

قال ابن الأثير وقد تكرر في أحاديث النذر ذكر النهي عنه وهو تأكيـد لأمره بالتحذير عن التهاون به بعد ايجابه .

قال ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان في ذلك ابطال حكمه ، واسقاط لزوم الوفاء به ، اذ كان بالنهي يصير معصية فلا يلزم ، وانما وجه الحديث أنه قد اعلمهم أن ذلك أمر لا يجرّ لهم في العاجل نفعاً ولا يصرف عنهم ضرراً ولا يرد قضاء فقال (لا تنذروا) على أنكم تدركون بالنذر شيئاً لم يقدره الله لكم أو تصرفون به عنكم ما جرى به القضاء عليكم ، فاذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا فَاخْرُجوا عنه بالوفاء فان الذي نذرتموه لازم لكم إ هـ .

والحديث الذي رواه ابو داود : قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينحر ابلاً ببُوانة فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال رسول

Marfat.com

الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه (هل كان فيها من وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟)، فقالوا : لا ، قال : (فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟) ، قالوا : لا ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله) ، يدل على أن نذر الذبح في مكان لا وثن فيه ولا عيداً من أعياد الجاهلية جائز ، وليس بعبادة للمنذور وهو النحر ولا للمنذور فيه وهو المكان •

والحديث الذي رواه أبو داود أيضاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة قالت : يا رسول الله اني نذرت أن اضرب على رأسك بالدف قال (أوفي بنذرك) يدل على أن النذر ليس بقربة لذاته ولا عبادة ، لأن حكم الضرب بالدف دائر عند الفقهاء بين الجواز والكراهة والتحريم ، وقد صار قربة بكونه على رأس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرحاً بقدومه من الغزو سالماً والفرح بسلامته صلى الله عليه وسلم واجب ومن الايمان ، فلذلك أمرها صلى الله عليه وسلم بالوفاء بنذرها ، زاد رزين في جامعه قالت : ونذرت أن اذبح بمكان كذا وكذا = مكان يذبح فيه أهل الجاهلية = فقال (هل كان بذلك المكان وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟) قالت:لا ، قال : (هل كان فيه عيد من أعيادهم؟) ، قالت : لا ، قال : (أوفي بنذرك) ، فأمرها بوفاء نذرها حيث كان في مكان لا وثن فيه ولا عيداً من أعياد الجاهلية •

لو كان النذر والذبح لغير الله عبادة لذاتهما ما حلا في مكان ابدا ولو خاليا من اوثان الجاهلية واعيادها

فلو كان النذر والذبح لغير الله عبادة لذاتهما ما حَلاّ في مكان أبداً ولو خالياً من أوثان الجاهلية وأعيادها ، ولو كانا عبادة لغير الله لكان أمره صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل بالنحر في بوانة ، ولتلك المرأة بالذبح في ذلك المكان امراً لهما بعبادة غير الله ، ولتلك المرأة أيضا بالضرب بالدف على رأسه امراً لها بعبادته صلى الله عليه وسلم ، برأه الله من ذلك وصلى عليه •

Marfat.com

والنذر لمخلوق نبي أو ولي عند الحنابلة دائر بين الكراهة والتحريم ولا كفر ولا اشراك فيه ، قال ابن مفلح في فروعه جـ ٣ ص ٧٥٥ : وذكر الآدمي البغدادي : نذرُ شرب الخمر ونحوه لغو فلا كفارة فيه ونذرُ ذبح ولده يكفر •

وقال ابن رزين في نذر المعصية انه لغو ، قال : ونذره لغير الله كنذره لشيخ معين حيّ للاستغاثة به وطلب الحوائج منه كحلفه بغيره ، وقال غيره هو نذر معصية كما قال شيخنا = (يعني ابن تيمية) = وقال في شرح دليل الطالب : (فائدة) قال الشيخ = (يعني ابن تيمية) = : النذر للقبور أو لاهلها كالنذر لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، والشيخ فلان نذر معصية لا يجوز الوفاء به ، وان تصدق بما نذره من ذلك على من يستحقه من الفقراء والصالحين كان خيراً له عند الله وأنفع •

وقال من نذر اسراج بئر أو مقبرة أو جبل او شجرة أو نذر له أو لسكانه أو المضافين الى ذلك المكان لم يجز ولا يجوز الوفاء به اجماعاً ويصرف في المصالح ما لم يعرف ربه ، ومن الحسن صرفه في نظيره من المشروع وفي لزوم الكفارة خلاف إ هـ •

قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في أول رسالته الصواعق الالهية في الرد على الوهابية رداً على أخيه بكلام ابن تيمية هذا : فلو كان الناذر كافراً عنده لم يأمره بالصدقة لأن الصدقة لا تقبل من الكافر بل يأمره بتجديد اسلامه ويقول خرجت من الاسلام بالنذر لغير الله إ هـ •

النذر للولي عند الشافعية صحيح يجب صرفه اليه

والنذر للولي الحي عند الشافعية صحيح يجب صرفه اليه ولا يجوز صرف شيء منه لغيره ، والنذر لولي ميت ان قصد الناذر الميت بطل نذره لان الميت لا يملك ، وان قصد قربة أخرى كأولاده وخلفائه أو إطعام الفقراء الذين عند قبره أو غير ذلك من القرب صح النذر ووجب صرفه فيما قصده الناذر وان لم يقصد شيئاً لم يصح نذره ،

Marfat.com

الا ان كانت عادة الناس في زمن الناذر ينذرون للميت ويريدون جهة مخصوصة وعلمها الناذر فينزّل نذره عليها إ هـ •

ونَذْرُ ما لا يهدى للكعبة كالدراهم والثياب والطعام لنبي أو ولي عند المالكية صحيح ، فان قصد الناذر الفقراء الملازمين للمحل أو الخَدَمَة وجب عليه بعثه اليهم ، وان قصد به نفع الميت تصدق به حيث شاء ، وان لم يكن له قصد حمل على عادة موضع ذلك الوني ، ونذر ما يهدى للكعبة بغير لفظ هدي وبدنة كشاة وبقرة وجمل لولي يلزمه ولا يبعثه له بل يذبحه بموضعه ويتصدق به على الفقراء ولا يأكل منه ولا يطعم غنياً ، وله إبقاؤه حيا والتصدق عليهم بقدر لحمه ويفعل به ما شاء ، وهذا اذا قصد به المساكين بلفظ أو نية ، فان قصد به نفسه وعياله ونحوهم فلا يلزمه ، ولا يضر في قصد زيارة ولي استصحاب حيوان ليذبح هناك للتوسعة على أنفسهم وعلى فقراء المحل من غير نذر ولا تعيين إ هـ •

النذر للمخلوق عند الحنفية لا يصح

والنذر للمخلوق عند الحنفية لا يصح ، ومع هذا لم يقولوا بكفر من نَذَرَ له إ هـ ، والله سبحانه هو المطلع على كلّ مكان والعالم بسرائر عباده ونياتهم •

فجَعْلُ ابن عبد الوهاب النذر والذبح لغير الله من انواع العبادة في رسالته الاصول الثلاثة جهل فادح وقوله محتجاً على أن النذر لغير الله كفرٌ ، : ودليلُ النذر قوله تعالى : (يوفون بالنذر) فاسد من سبعة أوجه :

الاول : جهله الدليل فان الدليل هو المرشد الى المطلوب ولا إرشاد في هذه الآية لرأيه أصلاً لا في منطوقها ولا في مفهومها •

الثاني : يستقيم دليله لو قال الله في كتابه : (النذر لغيري عبادة له ومن عبد غيري فقد كفر) ، أو قال : (من نذر لغيري فقد كفر) ، ولم يقل الله هذا في كتابه فقد وضع الآية في غير موضعها •

Marfat.com

الثالث : لو نهى الله في كتابه عن النذر لغيره بصريح النهي لم يلزم منه كفر من نذر لغيره اجماعاً ، فكيف مع عدم نهيه عنه ؟ ، وقد نهى الله في كتابه العزيز عن الربا والزنا وأكل أموال الناس بالباطل وحرمتها في دين الاسلام معلومة بالضرورة ، وقد اجمع اهل الحق على عدم تكفير مرتكب واحد منها ما لم يكن مستحلاً له .

الرابع : جهله الأمر والنهي ، والأمر والخبر ، والفرق بينها وجهله الخبر والانشاء والفرق بينهما ، فانه قال في أول كلامه : (وأنواع العبادة التي أمر الله بها) ، وذكر سبعة عشر مثالاً بعضها خبر وبعضها أمر وبعضها نهي ، ثم قال في آخره : (وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها كلها لله فجعلها كلها أوامر) ، وهذه الآية التي احتج بها على كفر من نذر لغير الله خبر ، وليست أمراً ، والأمر قسم من أقسام الانشاء ، والانشاء مقابل للخبر وقسيم له وهما مندرجان تحت الكلام الذي هو جنسهما ، ولو فرضت أمراً فان أهل الحق مجمعون على عدم تكفير من لم يمتثل أمر الله من المسلمين كتارك الصلاة مثلاً ما لم ينكر وجوبه عليه ، كما أنهم متفقون على عدم تكفير مرتكب ما نهى الله عنه صريحا في كتابه من المسلمين كأكل الربا والزنا ما لم يستحله .

الخامس : جهله تفسير الآية فان الله تبارك وتعالى لما وصف ثواب الأبرار في الآخرة مدح أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملونها فاستوجبوا بها ذلك النعيم بقوله : (يوفون بالنَّذْرِ) ، فهي مستأنفة مسوقة لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتملة على نوع تفصيل لما ينبيء عنه اسم الابرار اجمالاً ، كأنه قيل : ماذا فعلوا في الدنيا حتى نالوا تلك الرتبة العالية ؟ ، فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم ، وبهذا تحقق أنه ليس فيها شبه دليل لرأيه لا في منطوقها ولا في مفهومها فضلاً عن الدليل .

السادس : لا يلزم من مدحه تعالى للأبرار على وفائهم بما نذروه كُفْرُ من لم يوف بنذره او نذر لمخلوق عند العقلاء .

السابع : الآية وان دلت على وجوب الوفاء بالنذر مبالغةً في وصف الأبرار بأداء

Marfat.com

واجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى ، فلا يلزم من دلالتها على ما ذكر كفر مسلم واحد لم يوف بما أوجبه على نفسه من النذر لله تعالى أو نذر لمخلوق عند العقلاء فضلاً عن تكفير جمع من المسلمين بذلك •

* * *

وقوله في تكفير من ذبح لغير الله : ودليل الذبح قوله تعالى : (قل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيَايَ ومماتي لله ربِّ العالمينَ لا شريكَ لهُ وبذلِكَ أُمِرْتُ وأنا أوَّلُ المسلمينَ) ، باطل بخمسةَ أوجه :

الاول : جهله الدليل فانه المرشد الى المطلوب والمطلوب في هذه الآية على رأيه كفر من ذبح لغير الله ، ولا ارشاد في منطوقها ولا في مفهومها اليه أصلاً •

الثاني : المأمور والمخاطب فيها بالاتيان بفروع الشريعة خالصة لله تعالى هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد أُمِرَ في سابقتها باصولها بأن يبين للمشركين وأهل الكتاب ما هو عليه من الدين الحق الذي يدّعون أنهم عليه ، فَحَمْلُ أَمْرِها وخطابها الموجه اليه صلى الله تعالى عليه وسلم على من ذبح من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم لغير الله وتكفيره بذلك تهجم على كتاب الله قبيح جداً •

الثالث : ليس فيها شبه دليل على كفر من ذبح لغير الله لا في منطوقها ولا في مفهومها فضلاً عن الدليل ، وان كانت أمته صلى الله تعالى عليه وسلم مأمورة بما أمر به صلى الله عليه وسلم من أصول الشريعة وفروعها •

في معنى النسك ، خمسة اقوال للمفسرين

الرابع : في معنى النسك خمسة أقوال للمفسرين : فقيل كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وغيرها ، وقيل هو العبادة ، وقيل هو أعمال الحج ، وقال

Marfat.com

مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي المراد به الذبيحة في الحج والعمرة ، وق
هو الذبح ، وهذا والثلاثة قبله داخلة في الاول لان ذبح الضحايا والهدايا مما يتقرب ب
الى الله تعالى ، فالآية دالة على أن العبد مطلوب منه الاخلاص لله في جميع الطاعات

ويؤكده قوله تعالى : (لله ربِّ العالمينَ لا شَريكَ له) ، والاخلاص محله
القلب ، ولا يعلم كون العبد أخلَص في طاعته أم لا إلا عالم السر والنجوى ، فقصر
النسك فيها على مطلق الذبح الذي هو خامس الأقوال فيها وتهجمه على قلوب الذابحي
ومقاصدهم وحكمه عليهم بالكفر تورط في وحل الجهل دفعات •

وضع للحديث في غير موضعه

الخامس : يستقيم دليله لو صرح تعالى فيها بقوله مثلا : (الذبح لغيري عبادة له
ومن عبد غيري فقد كفر) ، أو قال : (من ذبح لغيري فقد كفر وأشرك) ولم يقل الله
تبارك وتعالى هذا في كتابه ، فهو متهجم عليه ، واحتجاجه على كفر من ذبح لغير الله
بقوله : ومن السنة : (لعن الله من ذبح لغير الله) وضع للحديث في غير موضعه ، فاسد
من ستة أوجه :

الاول : جهله حقيقة الدليل فانه المرشد الى المطلوب والمطلوب في هذا الحديث
على زعمه كفر من ذبح لغير الله ولا ارشاد لكفر من ذبح لغير الله في منطوق هذا الحديث
ولا في مفهومه فان منطوقه لعن من ذبح لغير الله تعالى ومفهومه عدم لعن من ذبح لله تعالى

الثاني : يحتج علماء الاسلام بخبر الآحاد الذي هو ظني الثبوت ، والدلالة الصحيح
بقسميه والحَسَن بقسميه في مسائل الحلال والحرام لا في تكفير المسلمين ، وهذا الذي
وضعه في غير موضعه بعض حديث وجملته : (لعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من
ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غير منار الأرض) = اخرجه
الامام احمد ومسلم والنسائي عن علي رضي الله عنه = ولم يذكر الجامع الصغير درجته
والخطب سهل عند ابن عبد الوهاب ، لأن التكفير الجُزاف الذي أسسه لا ارتباط له

Marfat.com

كتاب الله ولا بالسنة فضلاً عن درجة الحديث فيها ولا بما عليه السواد الأعظم ، وانما ارتباط بفهمه ، فيه كفر من ذبح لغير الله ، وبه يلزم تكفير كل من اللاعن لوالديه ، والمؤوي للمحدث والمغير لمنار الأرض ، وبه يلزم تكفير كل من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو في السنة كثير فمنه : (لعن الله الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور) ، و : (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش) و : (لعن الله النائحة والمستمعة) و : (لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) و : (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها) و : (لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون) و : (لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولا غيره الا لدغتهم) ، وبه يلزم تكفير الخمر ومال الربا والعقرب ، وبه يلزم تكفير كل من خالفه ولو نبياً مرسلاً ، ولم يقل ذو عقل ودين بكفر أحد من المكلفين الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الجاحد والمستحل لما هو معلوم في الدين بالضرورة ، فضلاً عن كفر الخمر ومال الربا والعقرب •

الثالث : يلزم على فهمه هذا تكفير جميع المسلمين من أول الاسلام الى قيام الساعة جزماً لأن من من ألفاظ العموم وغير نكرة متوغلة في الابهام لا تتعرف بالاضافة فتفيد العموم أيضا •

فالآلاف المؤلفة من الغنم والبقر والابل المذبوحة والمنحورة من أول الاسلام الى زمننا والى قيام الساعة في المدن والقرى والبادية يومياً للأكل ، علاوة على ما يذبح في الولائم والحفلات وللضيوف وفرحاً بقدوم السلطان وغير ذلك من المقتضيات ، كلها مذبوحة لغير الله قطعاً •

Marfat.com

لم يقل ذو عقل ودين بحرمة الذبح

لهذه الأغراض ، فضلا عن تكفير الامة الاسلامية

ولم يقل ذو عقل ودين بحرمة الذبح لهذه الأغراض فضلاً عن تكفير الامة الاسلامية من أولها الى آخرها بها فليست داخلة في الحديث جزماً وإذن ••••

فالرابع : يتعين حمله على من ذبح لغير الله معظماً له بذكر اسمه على الذبيحة ، فهو مبين لقوله تعالى : (وما أُهِلَّ بِهِ لغيرِ اللهِ) المذكور في مواضع من كتابه ، المعطوف على المحرمات •

الخامس : يستقيم عند علماء الاسلام تكفير من ذبح لغير الله اذا ذكر اسم غيره تعالى على ذبيحته معظماً له كتعظيم الله ، ومحل التعظيم القلب ، ولا يحكم عليه بالكفر الا بعد تحقق التعظيم المذكور منه •

السادس : يصح دليله لو قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من ذبح لغير الله فهو كافر) ، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم هذا فقد وضع سنته عليه الصلاة والسلام في غير موضعها ، وصواب قول ابن القيم (والحلف لا يكون الا لله سبحانه وتعالى) بالله وهو صحيح على مذهب الجمهور الذين يكرهون الحلف بغيره تعالى ولو معظماً كالنبي صلى الله عليه وسلم والكعبة ، غير صحيح على مذهب آمامه الذي يتغالى فيه في غير هوى شيخه الذي أصمه وأعماه •

واليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم عند الامام احمد وأصحابه منعقدة يلزم الحانث فيها الكفارة ، قالوا لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم شطر الايمان ، وقد أقسم الله به في قوله تعالى : (لَعَمْرُكَ إنهم لفي سكْرَتِهِم يَعْمَهُون) •

Marfat.com

تحقيق الكلام على قوله تعالى :

ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى

قال الله تبارك وتعالى : (والذين اتخذوا من دونه اولياء) آلهة ، تحقيق لِحَقِّيَّةِ ذكر قبله من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي عبارة عن ترك اخلاصه ، والموصول عبارة عن المشركين ، ومحله الرفع على الابتداء و جملة : (ان اللهَ يحكُمُ بَيْنَهُمْ) ، والأولياء المعبودون من دونه تعالى : ملكة وعيسى وعزير والأصنام وغيرها •

وقوله تعالى حاكياً عنهم : (ما نعبُدُهُمْ الاَّ ليقرِّبونا الى اللهِ زُلْفىَ) ، حال من ضمير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم ، والاستثناء مفرغ من أعم العلل ، وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى ، أي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين : ما نعبدهم لشيء من الأشياء الا ليقربونا الى الله تقريباً : (ان اللهَ يَحكُمُ بينهم) وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وحذف هنا لدلالة الحال عليه (فيما هُمْ فيهِ يَختلفونَ) من امر الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك ، وادعى كل فريق صحة دينه : (ان الله لا يهدي)، لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة (مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كفَّارٌ)، مبالغ في الكذب مبالغ في الكفر والمراد ان من أصر على الكذب والكفر بقي محروماً من الهداية ، والمراد بهذا الكذب وصفهم لمعبوداتهم بأنها آلهة مستحقة للعبادة ، والعلم الضروري حاصل بأن وصفهم لها بالالهية كذب محض ، وأما الكفر فيحتمل أن يكون المراد منه الكفر الراجع الى الاعتقاد ، وهو هنا كذلك لأن وصفهم لها بالالهية كذب ، واعتقادهم فيها الالهية جهل وكفر •

Marfat.com

ويحتمل أن يكون المراد به كفران النعمة ، والسبب فيه أن العبادة نهاية التـ
ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وذلك المنعم ؟ هو الله سبحانه و
وهذه المعبودات لا مدخل لها في الانعام •

فالاشتغال بعبادتها يوجب كفران نعمة المنعم الحق ، فقد صرح الضالون بأنـ
عبدوها من دون الله وعللوا عبادتهم لها بتعليل فاسد ، وهو تقريبها لهم الى الله أي عل
فعلهم ، وعلة القياس الشرعية انما هي للحكم ، اي بالتحريم أو الحلية مثلاً ، لا لنف
الفعل ، كالحكم بحرمة شرب النبيذ قياساً على الخمر بجامع الاسكار في كل منهما ، وه
عند علماء الاصول أوضح من الشمس متفق عليه ، وانما يكون تعليل المشركين فا
علة شرعية لو قال تعالى مثلا : حرمت عبادة الأصنام لارادة نفع الجاه منها أو أومأ
ذلك أو نبه بمسلك من مسالك العلة عليه ، ولم يقل تعالى ذلك ولم يشر اليه بحال ،
أشار تعالى في مواضع كثيرة الى أن العلة في تحريمها وتكفير فاعلها عدولهم بها عن خالق
المستحق لها ووضعهم الشيء في غير محله ، منها قوله تعالى هنا : (إنَّ اللهَ لا يهـ
مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ) ، فقد أخبر تعالى فيها بنفي الهداية عن الراسخ في الكف
المبالغ في الكفر منبهاً على فساد تعليلهم ومداومتهم على عبادة المخلوق بصيغة المبالغة ، وا
تيمية صدقهم في تعليلهم الفاسد ، فقاس المسلمين المتوسلين بالنبي صلى الله تعالى عليه وس
عليهم ، قاس التوسل على العبادة والمتوسل على العابد للمخلوق ، فأوغل في بيداء القبي
الفاسد دفعتين بناهما على تعليلهم الفاسد ، وما بني على الفاسد فاسد ، ولم يصدق المسل
في قولهم انهم يحبون خليفة أو عالماً او شيخاً لله تعالى ، بل كفرهم وحمل عليهم ق
تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ، في كلامه الم
أبطلته سابقاً ، محققاً مؤيداً رأي أسلافه الحروريين الحاملين للآيات الواردة في الك
على المسلمين ، ومعلوم عند كل عاقل أن التوسل عمل ، والعبادة عمل آخر وقد ت
الكلام عليهما مفصلاً موضحاً •

Marfat.com

الوجه الحادي والثلاثون

بطلانزعمه:انالتوحيد الذيأمر اللهبهالعباد هوتوحيدالالوهية

(الحادي والثلاثون) قوله : (وانما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد لوهية المتضمن توحيد الربوبية بأن يعبدوا الله ولايشركوا به شيئاً فيكون الدين كله ـ الى آخر الترثرة) ، افتراء على كتاب الله عز وجل افتراء مكشوفاً ، فان الله تبارك الى انما أمر عباده بالتوحيد أمراً مطلقاً ولم يأمرهم (بتوحيد الالوهية المتضمن توحيد وبية) الذي اخترعه فساق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبع فيه غير سبيل منين ، زيادة على افتراته على الله في كتابه العزيز •

قال الله تعالى : (يا ايّهَا الناسُ اعْبُدوا ربَّكُمْ) اي وحدوه وقال تعالى : اعبدوا اللهَ ولا تُشْرِكوا به شيْئاً) ، اي وحدوه وقال تعالى : (وقضى ربّكَ انْ تَعْبُدوا الاّ ايّاهُ) ، وقال تعالى : (انني انا الله لا الـهَ الاّ أنا فاعْبُدْني) ، وقال ى : (فاعْلَمْ أنَّهُ لاَ إلَـهَ الاّ الله) ، وامثالها في كتاب الله كثير ، كلها دالة دلالة يحة على أن الله تبارك وتعالى أمر عباده بالتوحيد أمراً مطلقاً •

الوجه الثاني والثلاثون

ابطال زعمه عدم كفاية توحيد الربوبية وحده

وعـدم نفيه الكفر بخمسة اوجـه

الاول : دل كلامه هذا على أن التوحيد مُجَزّأ الى جزئين ؛ ويلزم منه تجزئة ر ولا يكفي) باطل بخمسة أوجه :

الاول : دل كلامه هذا على أن التوحيد مُجَزّأ الى جزئين ؛ ويلزم منه تجزئة رك الى ذلك لأنه زعم سابقا في الموضع الثالث من كلامه فيه ، ان بني آدم كلهم قد وا توحيد الربوبية ، وجهلوا توحيد الألوهية فيصدق عليهم على هذا أنهم موحدون

Marfat.com

وغير موحدين ، موحدون لانهم عرفوا نصف التوحيد واقروا به وهو توحيد الز
= على زعمه = ، وغير موحدين لأنهم جهلوا نصف التوحيد وهو توحيد الالوه
= على زعمه = وعليه فقد ارتكبوا نصف الشرك ، فمقتضى عدله تعالى ورحمته لـ
ان يتنصف لهم الثواب والعذاب ، فيثابون نصف ثواب الموحدين الخالصين ، ويعذ
نصف عذاب المشركين الخالصين •

الثاني : دل كلامه في الموضع الثالث الذي أبطلته سابقاً على أن التوحيد مجز
ثلاثة اجزاء : توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات ، قال
(وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الالهية ، واثبات حقائق اسماء الله وصفا
ولم يعرفوا من التوحيد إلاّ توحيد الربوبية) ، وعلى هذا يكون التوحيد مثلثا ، و
منه تثليث الشرك ، وعليه فمقتضى عدله تعالى ورحمة لعباده تثليث العذاب والثواب
فيعذبون ثلثي عذاب المشركين الخالصين ، ويثابون ثلث ثواب الموحدين الخالصي
لانهم ارتكبوا ثلثي الشرك بجهلهم توحيد الألوهية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، و
بثلث التوحيد بمعرفتهم توحيد الربوبية •

الثالث : تذبذبه في تقسيمه التوحيد في ثلاثة مواضع الى قسمين ، وفي موضع
ثلاثة أقسام يدل على جهله باصول الدين ، فان قيل ليس هذا تذبذباً وانما هو تغ
الاجتهاد ظهر له في اجتهاده في تلك المواضع أن التوحيد ينقسم الى قسمين ، وظه
في ذلك الموضع أنه ينقسم الى ثلاثة اقسام ، قلت : هذا فاسد فان الاجتهاد انما يكو
الفروع لا في الاصول •

الرابع : يلزم على كلا التقسيمين أنه لا يوجد في بني آدم عامة وفي المسلمين
وخلفهم خاصة موحد خالص ولا مشرك خالص الا من وافقه منهم على رأيه
استظهر هو والمفتونون به بالثقلين جميعاً على اثبات رأيه هذا عن أي واحد من الس
الذين يلبس بهم لم يستطيعوا •

الخامس : التوحيد لغة : الحكم بان الشيء واحد ، والعلم بانه واحد واصط
فسره بعض أهل السنة بأنه : إفراد العابد المعبود بالعبادة ، أي تخصيصه بها •

Marfat.com

التوحيد في كتاب التوحيد فسره اهل السنة

بانه (نفي التشبيه والتعطيل)

قال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب التوحيد فسره أهـل السنة بأنـه : نفي التشبيه والتعطيل • وقال الامام أبو القاسم الجنيد : التوحيد : إفراد القديم من المحدث ، وقالوا في تفسيره باعتبار العلم المدوّن أنه : (العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية) ، أو (علم يبحث فيه عما يجب اعتقاده في حق الله تعالى وفي حق رسله عليهـم الصلاة والسلام وان لم تذكر براهين ذلك) أو (علم بأحكام الالوهية وارسال الرسل وصدقهم في جميع أخبارهم وما يتوقف عليه شيء من ذلك خلصاً به ، وعلم أدلتها بقوة هي مظنة لرد الشبهات وحل الشكوك) •

فظهر ان التوحيد في جميع هذه التعاريف مصدر ، والمصدر معنى من المعاني واحد لا يمكن تقسيمه لذاته وانما يمكن تقسيمه باعتبار متعلقه ، كما أن الكفر مصدر لا يمكن تقسيمه لذاته وانما يقسم باعتبار متعلقه ، وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه ، وشاع في ستر النعمة خاصة ، وفي مقابلة الايمان ، والكفر الذي هو بمعنى الستر من باب ضرب والذي هو ضد الايمان من باب نصر ، ويتعدى هذا بالباء نحو (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) والكفر الذي هو ضد الشكر يتعدى بنفسه ، يقال : كفر نعمة الله ، قال بعض أهل العلم : الكفر على أربعة أنحاء كفر انكار بأن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به ، وكفر جحود ، وكفر معاندة ، وكفر نفاق ، من لقي ربه بواحد من هذه لم يغفر له ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فاما كفر الانكار فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد ، وأما كفر الجحود فان يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وأمية بن أبي الصلت ، وأما كفر المعاندة فهو أن يعرف الله بقلبـه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر أبي جهل وأضرابه ، وأما كفر النفاق فالاقرار باللسان وعدم الاعتقاد بالقلب كالمنافقين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم •

Marfat.com

الشرك ينقسم باعتبار متعلقه الى ستة أنواع

وأشرك بالله كفر فهو مشرك ومشركي والاسم الشرك فيهما • والشرك ينقسم أيضاً باعتبار متعلقه الى ستة أنواع : شرك الاستقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس ، وشرك التبعيض وهو تركيب الاله من آلهة كشرك النصارى ، وشرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرّبه الى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية ، وشرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية ، وشرك الأسباب وهو اسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبيعيين ومن تبعهم على ذلك ، وشرك الأغراض وهو العمل لغير الله وهو الرياء •

فحكم الأربعة الأولى : الكفر بالاجماع ، وحكم السادس ، المعصية من غير كفر بالاجماع ، وحكم الخامس : التفصيل ، فمن اعتقد في الاسباب انها تؤثر بطبعها فهو كافر بالاجماع ، ومن اعتقد انها تؤثر بقوة أودعها الله فيها ، أو أنها أسباب عادية قد تتخلف عن مسبباتها والمؤثر في الأشياء حقيقة هو الله تبارك وتعالى فهو مسلم •

مقالة المحقق المرحوم يوسف الدجوي في التوحيد

وقد انتهيت بتوفيق الله من إبطال كثير من كلام ابن تيمية وابن القيم وبعض كلام ابن عبد الوهاب في توحيد الربوبية والالوهيةوالعبادة وملحقاتهما فيهذا الفصل ، واختمه بما كتبه العلامة المحقق المرحوم الشيخ (يوسف الدجوي) المتوفي سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف في توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية قال رحمه الله :

توحيد الالوهية ـ وتوحيد الربوبية

جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عنتوحيد الالوهية وتوحيد الربوبية ما معناهما وما الذي يترتب عليهما ومن ذا الذي فرق بينهما ؟ ، وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه ؟ ، فنقول وبالله التوفيق :

Marfat.com

ان صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاد بذكره قال : ان الرسل لم يبعثوا لا لتوحيد الالوهية وهو إفراد الله بالعبادة ، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله رب العالمين المتصرف في امورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل قوله تعالى : (ولئنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السمواتِ والارضَ ليقولُنَّ اللهُ) •

ثم قالوا : ان الذين يتوسلون بالانبياء والاولياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء ، فانهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الالوهية بعبادتها ، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالاولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، بل قال محمد بن عبد الوهاب:

(ان كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان ، وان شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة) ، فهذا ملخص مذهبهم مع الايضاح ، وفيه عدة دعاوى •

فلنعرض لها على سبيل الاختصار ، ولنجعل الكلام في مقامين فنتحاكم الى العقل ثم نتحاكم الى النقل ، فنقول : قولهم = إن التوحيد ينقسم الى توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية تقسيم غير معروف لاحد قبل ابن تيمية ، وغير معقول أيضا كما ستعرفه ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد دخل في الاسلام ان هناك توحيدين وأنك لا تكون مسلماً حتى توحد توحيد الالوهية ، ولا أشار الى ذلك بكلمة واحدة ، ولا سمع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبجحون باتباعهم في كل شيء ، ولا معنى لهذا التقسيم فان الاله الحق هو الرب الحق ، والاله الباطل هو الرب الباطل ، ولا يستحق العبادة والتأليه الا من كان رباً ، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر فهذا مرتب على ذلك كما قال تعالى : (ربُّ السمواتِ والارضِ وما بينهما فاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) •

فرتب العبادة على الربوبية ، فاننا اذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر فلا معنى لأن نعبده = كما قلنا = ويقول تعالى : (ألاَ يَسْجُدُوا للهِ الذي يُخْرِجُ الخبءَ في السمواتِ والارضِ) ، يشير الى انه لا ينبغي السجود الا لمن ثبت اقتداره التام ، ولا معنى لأن يسجدوا لغيره • هذا هو المعقول ، ويدل عليه القرآن والسنة •

Marfat.com

اما القرآن فقد قال : (ولا يأمُرَكُمْ ان تتَّخِذُوا الملائكةَ والنبيينَ أرباباً) ، فصرح بتعدد الأرباب عندهم ، وعلى الرغم من تصريح القرآن بانهم جعلوا الملائكةأرباباً.

يقول ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب : إنهم موحدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا رب واحد وانما أشركوا في توحيد الالوهية ، ويقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوهما الى التوحيد : (أأرْبابٌ متفرِّقونَ خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهارُ) ، ويقول الله تعالى أيضا : (وهم يكْفُرُون بالرحمنِ قُلْ هُوَ ربِّي) ، وأما هم فلم يجعلوه رباً .

ومثل ذلك قوله تعالى : (لكنَّا هُوَ اللهُ ربِّي) ، خطاباً لمن أنكر ربوبيته تعالى وانظر الى قولهم يوم القيامة : (تاللهِ انْ كُنَّا لفي ضلال مبين اذ نسوِّيكُمْ بربِّ العالمينَ) ، أي في جعلكم أرباباً = كما هو ظاهر = وانظر الى قوله تعالى : (واذا قيل لهم اسْجُدُوا للرَّحْمنِ قالَ وما الرَّحْمَنُ أنسْجُدُ لما تأْمُرُنا) ، فهل ترى صاحب هذا الكلام موحداً أو مشركاً ؟ .

ثم انظر الى قوله تعالى : (وهم يجادِلونَ في اللهِ) ، الى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره ، فاذاً ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية = كما قال ابن تيمية = ، وما كان يوسف عليه السلام يدعوهم إلا الى توحيد الربوبية ، لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الالوهية عند يوسف عليه السلام .

(فهل هم أعرف بالتوحيد منه ويجعلونه مخطئاً في التعبير بالأرباب دون الآلهة ؟)، ويقول الله في أخذ الميثاق : (ألست بربِّكُمْ قالوا بلَى) ، فلو كان الاقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققا عند المشركين ولكنه لاينفعهم = كما يقول ابن تيمية = ، ماصح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا ، ولا صح أن يقولوا يوم القيامة : (انا كنَّا عنْ هذا غافلينَ) ، وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق الى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الالوهية حيث ان توحيد الربوبية غير كاف = كما يقول هؤلاء = ، الى آخر ما يمكننا أن نتوسع فيه ، وهولا يخفى عليك ، وعلى كل حال فقد اكتفى منهم بتوحيد الربوبية ، ولولم يكونا متلازمين لطلب اقرارهم بتوحيد الالوهية أيضاً .

Marfat.com

ومن ذلك قوله تعالى (وهُوَ الذي في السماءِ إله" وفي الأرض إله") ، فانه إله في الأرض ولو لم يكن فيها من يعبده كما في آخر الزمان ، فان قالوا إنه معبود فيها أي مستحق للعبادة ، قلنا إذاً لا فرق بين الاله والرب فان المستحق للعبادة هو الرب لا غير ، ما كانت محاورة فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام الا في الربوبية وقد قال : (أنا ربكُمُ الأعلى) ثم قال : (لئنِ اتخذْتَ إلهاً غيري لأجعلنَّكَ من المسجونينَ) ولا داعي للتطويل في هذا •

واما السنة فسؤال الملكين للميت عن ربه لا عن الهه ، لأنهم لا يفرقون بين الرب والاله ، (فانهم ليسوا بتيميين ولا متخبطين) ، وكان الواجب على مذهب هؤلاء أن يقولوا للميت : من الهك لا من ربك ؟ أو يسألوه عن هذا وذاك •

وأما قوله : (ولئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السموات والأرضَ ليقولُنَّ اللهُ) ، فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم اجابة لحكم الوقت مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات،ولعلهم نطقوا بما لا يكاد يستقر فيقلوبهم أو يصل الىنفوسهم، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم ، وأنهم ينسبون الضر والنفع الى غيره ، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتىفي صغائر الامور •

وان شئت فانظر الى قولهم لهود عليه الصلاة والسلام : (إنْ نقول الا اعتراكَ بعضُ آلهتنا بسوء) • فكيف يقول ابن تيمية انهم معتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع الى آخر ما يقول ؟ •

ثم انظر بعد ذلك في زرعهم وأنعامهم : (هذا للهِ بزعْمِهِمْ وهذا لشُركائِنا فما كانَ لشُركائِهِمْ فلا يَصِلُ الى اللهِ وما كان للهِ فهو يَصِلُ الى شركائهم) ، فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الامور وأحقرها •

Marfat.com

وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام : (وما نرى مَعكُمْ شُفَعَاءكُمُ الذين زعَمْتُمْ أنَّهُم فيكُمْ شُركاء) ، فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم ، ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد : (اُعْلُ هُبَلُ) ، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله : (اللهُ أعلى وأجلُ) .

فانظر الى هذا ثم قل لي ماذا ترى في ذلك التوحيد الذي ينسبه اليهم ابن تيمية ويقول انهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وانما افترقوا بتوحيد الالوهية ؟ .

وأدل من ذلك كله قوله تعالى : (ولا تسُبّوا الذينَ يدْعُونَ منْ دون الله فيسُبّوا الله عَدْواً بغيرِ عِلْم) ، الى غير ذلك مما يطول شرحه .

فهل ترى لهم توحيداً بعد ذلك يصح أن يقال فيه انه عقيدة ؟ .

أما التيميون فيقولون بعد هذا كله انهم موحدون توحيد الربوبية ، وأن الرسل

لم يقاتلوهم الا على توحيد الالوهية الذي لم يكفروا الا بتركه ، ولا أدري ما معنى هذا الحصر مع أنهم كذبوا الأنبياء وردوا ما انزل عليهم واستحلوا المحرمات وأنكروا البعث واليوم الآخر وزعموا أن لله صاحبة وولداً وأن الملائكة بنات الله (ألا انَّهُمْ مِنْ إفكِهِمْ ليقولونَ ولَدَ اللهُ وانَّهم لكاذبونَ) ، وذلك كله لم يقاتلهم عليه الرسل = في رأي هؤلاء = وانما قاتلوهم على عدم توحيد الالوهية = كما يزعمون = وهم بعد ذلك مثل المسلمين سواء بسواء أو المسلمون أكفر منهم في رأي ابن عبد الوهاب .

وما علينا من ذلك كله ، ولكن نقول لهم بعد هذا على فرض أن هناك فرقاً بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية = كما يزعمون = فالتوسل لا ينافي توحيد الألوهية فانه ليس من العبادة في شي لا لغةً ولا شرعاً ولا عرفاً ، ولم يقل أحد ان النداء او التوسل بالصالحين عبادة ، ولا أخبرنا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ، ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحي ولا بالميت .

Marfat.com

ومن المعلوم أن المتوسل لم يطلب الا من الله تعالى بمنزلة هذا النبي أو الولي ، ولا شك في ان لهما منزلة عند الله تعالى في الحياة وبعد الممات •

فان تشبَّثَ متشبث بأن الله أقرب الينا من حبل الوريد فلا يحتاج الى واسطة ، قلنا له : (حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء ••••) ، فان رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط في كل شيء ، مع أن العالم مبني على الحكمة التي وضعت الأسباب والمسببات في كل شيء ، ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة وهي معلومة من الدين بالضرورة ، فانها على هذا الرأي لا حاجة اليها ، اذ لا يحتاج سبحانه وتعالى الى واسطة فانه أقرب من الواسطة •

ويلزم خطأ عمر بن الخطاب في قوله : (انا نتوسل اليك بعم نبيك العباس الخ•••)، وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط ، وهو خلاف السنة الالهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها الى آخرها ، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين ، فانه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط بل هم أشد الناس تعلقاً بها واعتماداً عليها •

ولا يفوتنا أن نقول : إن التفرقة بين الحي والميت في هذا المقام لا معنى لها فان المتوسل لم يطلب شيئاً من الميت أصلاً ، وانما طلب من الله متوسلاً اليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك ، فهل في هذا كله تأليه للميت أو عبادة له ، أم هو حق لا مرية فيه ، ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين •

وانظر كتب المذاهب الأربعة (حتى مذهب الحنابلة) في آداب زيارته صلى الله عليه وسلم تجدهم قد استحبوا التوسل به الى الله تعالى ، حتى جاء ابن تيمية فخرق الاجماع وصادم المركوز فى الفطر مخالفاً في ذلك العقل والنقل إ هـ •

Marfat.com

الفصـــل الثالث

في عَدم توقيرهم النبي صلّى الله عليه وسلم

من لم يعظم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بما يليق بمقامه فهو كافر

التوقير العظيم ، وتعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الايمان فمن لم يعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يليق بمقامه فهو كافر ، ومن رفعه في التعظيم إلى مقام الألوهية فهو كافر ، وقد نهانا الله سبحانه في كتابه العزيز عن ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم كنداء بعضنا لبعض ولم يخاطبه الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز إلا بصيغة الاحترام •

وقال تعالى مثنياً عليه : (وإنَّكَ لعلى خُلُق عظيم) و (إنَّكَ لتَهْدي الى صراط مُسْتَقيم) ، وقال واصفاً له بصفات عالية شريفة : (الذين يتَّبعونَ الرسولَ النبيَّ الامي الذي يجدونهُ مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمُرُهُمْ بالمعروف وينهاهُمْ عن المُنكرِ ويحلُّ لهُمْ الطيبات ويحرِّمُ عليهمُ الخبائثَ ويضعُ عنهمْ إصْرَهُمْ والاغلالَ التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزَّروهُ ونَصروهُ واتَّبَعوا النورَ الذي أُنْزِلَ معه اولئك هُم المفلحونَ) ، وقال مخاطباً لقريش والعرب واصفاً له بصفتين من صفاته تبارك وتعالى : (لقد جاءكُمْ رسولٌ من أنْفُسِكُمْ عزيزٌ عليهِ ما عنِتُّمْ حريصٌ عليكُمْ بالمؤمنينَ رؤفٌ رحيمٌ) •

قد قلدوا في عدم توقيره صلى الله عليه وسلم

ابن تيمية في منعه شد الرحال لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم

وقد قلدوا في عدم توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم ابن تيمية في منعه زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشد الرحال اليها وتحريمه قصر الصلاة في سفرها ومنعه التوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم ، هذا مع كونه الفَ في تعظيمه صلى الله تعالى

Marfat.com

عليه وسلم : (السيف المسلول على شاتم الرسول) طبع في حيدر آباد قال في أثنائه : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كسائر الناس في الحقوق بل خصوصياته لا تحصى إ هـ) •

الحكم على ابويه صلى الله تعالى عليه وسلم بانهما ماتا

ليس من العقائد التي تجب على المسلم

وزادوا عليه ايذاء صلى الله تعالى عليه وسلم في أبويه وفي الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الكتب المؤلفة فيها وفي أصحابها وفي المصلين عليه ، ومنه تسويده صلى الله عليه وسلم في الصلاة أو في غيرها •

وقد اعتقدوا أن كل ما فيه إجلاله صلى الله تعالى عليه وسلم من قول أو فعل فهو شرك وعبادة له من قائله او فاعله ، فسجلوا على أنفسهم للعالم الاسلامي أنه موتورون منه صلى الله تعالىعليه وسلم ، يسوءهم ما فيه توقيرهم ، ويسرهم ما فيه انتهاكحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ، والحكم على أبويه صلى الله تعالى عليه وسلم بأنهما ماتا ••• ليس من العقائد التي تجب على المسلم ، فلو مات جاهلاً مصيرهما لم يسأله الله تعالى عنهما ، ولو مات معتقداً نجاتهما وهما في الواقع ••• لا يؤاخذه الله تعالى على خطأه في هذا الاعتقاد فهو غير خاسر على كلا الأمرين ، ولو مات معتقداً كفرهما وهما في الواقع مسلمان كان خاسراً •

وقد قال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه لأحد أصحاب شوذب الخارجي حين اعترف له بظلم قرابته للناس ، فقال له الخارجي لِمَ لا تلعنهم وتتبرأ منهم ، : متى عهدك بلعن إبليس والتبري منه ، فقال الخارجي لا أذكر ذلك ، فقال عمر : اذا كان إبليس شر خلق الله تعالى لم يوجب الله لعنه عليك فلم تلعنه ولم تتبرأ منه ، أفألعن وأتبرأ أنا من قرابتي وهم مسلمون •

وقد نهى الله تعالى عليه وسلم عن سب الأموات في الحديث الذي أخرجه الأئمة

Marfat.com

احمد والبخاري والنسائي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا) .

نهيه صلّى الله عليه وسلم عن سبّ الأموات

وفي الحديث الذي أخرجه الامام أحمد في مسنده والترمذي عن المغيرة باسناد حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال : (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء) ، وقد هفا هفوة قبيحة ملاّ على القاري، ألّف رسالة في ... أبويه صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلم يكتف التيميون باعتقادهم ... أبويه صلى الله تعالى عليه وسلم بل طبعوا هذه الرسالة ، كأن رأي ملاّ على القاري، الشاذ عن جماعة المسلمين عندهم وحيٌ منزل من عند الله ، وكأن ايمان المسلم عندهم لا يتم الا بطبع هذه الرسالة ولا يتم الا بالتشنيع والتشهير به صلى الله تعالى عليه وسلم بأن أبويه ...

وقد أخبرني المرحوم الشيخ مصطفى الحمامي بأن التيميين لما منعوا كتابه « النهضة الاصلاحية » من دخول مملكتهم لردّه على ملاّ علي القاري في نسبته عدم نجاتهما الى الفقه الاكبر للامام أبي حنيفة ، دخل على قاضي قضاتهم فقال له لم منعتم كتابي النهضة الاصلاحية وما فيه الا الاصلاح ، فقال له ما مذهبك ؟ ، قال حنفيّ ، فقال هذا ملاّ علي القاري منكم ألّف رسالة في عدم نجاتهما وذكر أن ذلك موجود في الفقه الأكبر لامامكم ، فقال الحمامي : ملاّ علي القاري ليس بمعصوم من الخطأ وهذه المسألة ليست من عقائد الدين الواجبة على المسلم وليست موجودة في الفقه الاكبر ، ونسبة هذا الى الامام أبي حنيفة غير صحيحة ، وكأنكم سجلتم على أنفسكم للعالم الاسلامي بطبعكم رسالة القاري عداوتكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال له : ما تقول في : (الرحمنُ على العرشِ استوى) ؟ ، فقال الحمامي : أقول كما قال امام دار الهجرة: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة) ، ولا أزيد على هذا ، فقال له قل استوى بذاته ؟ ، فقال الحمامي إن ثبتت هذه اللفظة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأنا أقولها وان لم تثبت فأنا أضرب بها عرض الحائط . انتهى.

Marfat.com

مسالك الحنفا في نجاة والدي المصطفى

قال العلامة السيوطي في رسالته « مسالك الحنفاء في نجاة والدي المصطفى » ما نصه: وسئل القاضي ابو بكر بن العربي عن رجل قال إن آباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النار ، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعـون لقوله تعالى : (ان الذين يؤذونَ اللهَ ورسولَهُ لعنَهُمُ اللهُ في الدنيا والآخرة) ، قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار •

كان محمد بن عبد الوهاب ينهى عن الصلاة

وذكر صاحب : (مصباح الانام وجلاء الظلام في ردّ شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام) السيد علوي بن احمد بن حسن بن السيد العارف بالله عبد الله بن علوي الحداد في كتابه المذكور ، ثم السيد احمد بن زيني دحلان في رسالته : (الدرر السنية في الرد على الوهابية) : ان محمد بن عبد الوهاب كان ينهى عن الصلاة على النبي صلى اللهَ تعالى عليه وسلم ويتأذى من سماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه اشد العقاب حتى انه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنارة بعد الأذان فلم ينته فقتله ، ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة (يعني الزانية) أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنائر ، ويلبس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد ، وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد إ هـ •

قلت : لقد صدق السيدان وبَرّا فيما نقلاه عنه ، فان مقلّديه لا زالوا ينفذون رأيه تاماً غير منقوص باتلاف كتب الصلوات ورمي مؤلفيها بالزندقة والالحاد وقارئيها

Marfat.com

بالشرك ، وأخبرني ثقة في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة والف أن صومالياً تلميذاً في مدرسة الحديث انكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له طلبة المغاربة ومدرس هندي فيها يقال له عبد الحق ، إن احاديث كثيرة قد وردت في فضلها فقال إنه لا يعترف بالأحاديث، فقالوا له فما تقول في الآية القرآنية : (ان اللهَ وملائكتَهُ يصلونَ على النبيِّ يا أيها الذينَ آمنوا صلوا عليهِ وسلّموا تسْليما) ؟ ، فقال لهم : ومن هو هذا النبي ... إن القرآن لم يسمّه ، صرح هذا الخبيث بتكذيب أحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والكفر به وبالقرآن الذي انزل عليه وبمنزله في البلد المقدس في مدرسة يدرس فيها سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقتل ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وقد أفتى خادم الاستعمار والتيمين صاحب مجلة « المنار » بان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الأذان بدعة قبيحة فنتج عن فتواه فتنة بين أهل أرياف مصر وقدم سؤال بذلك للعلامة المحقق المرحوم الشيخ يوسف الدجوي فكتب مقالة نفيسة نشرت في مجلة الأزهر أبطل بها شقاشقه .

وفي سنة دخول السعوديين لمكة المكرمة ١٣٤٣ رأيت عند الاشراق وأنا ذاهب الى المعلى رجلاً من اهل مكة خارجاً الى المسعى من زقاق الميليارية الضيّق قائلاً : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وصادفه نزول جماعة من الغُطْغُطْ الى الحرم فالتفت اليه رئيسهم حَنَقاً مشيراً اليه بعصاه قائلاً : (اُذْكُرُون ولا تَعبدون) ، فبهت الرجل خائفاً منهم .

وتعريب هاتين الجملتين هكذا : (اذكرونه ولا تعبدونه) ، وهذا يدل على أنه قام في أدمغتهم الفاسدة أن كل من عظم النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه فهو عابد له ، فهم منتهكون حرمته صلى الله عليه وسلم تطبيقاً لما أسّسه لهم شيخهم ابن عبد الوهاب في قوله : (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (طارش) أي أدى الرسالة وذهب فلا حرمة ولا قيمة له ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان .

ولذلك كره الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وتأذى من سماعها ونهى عنها

Marfat.com

كل ذلك الصالح المؤذن الضرير لأجلها ، وعليه فيذكرونه صلى الله تعالى عليه وسلم مجرد اسمه بدون شيء يدل على احترامه حتى يطبقوا على أنفسهم نهيه تعالى الموجه لمنافقين والجفاة الأجلاف : (لا تجعلُوا دعاءَ الرَّسُولِ بينكُمْ كدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً) : وهكذا أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم يقولون في الواحد منهم : قال فلان بدون صيغة تدل على احترامه كالترضية لأن كل ما يدل على تبجيله صلى الله عليه وسلم وتبجيل أصحابه وأئمة دينه وعلماء الاسلام من ألفاظ الاحترام غلو عندهم ينافي التوحيد ، ولا يكون غلواً ولا منافياً للتوحيد اذا كان في ابن تيمية وابن عبد الوهاب فيقولون في كل منهما قال شيخ الاسلام قدس الله روحه ونوّر ضريحه تأليهاً لرأيهما •

قال لي شريف فاسيّ : كنت أجلس عند مقام ابراهيم وكان يجلس بجانبي سعود المرافة من أعيانهم ، وكان اذا جاء ووجدني قبله يصافحني بشاشة واعتناء ، وكان لي ورد من الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أقرؤه كل يوم ، فلما تحقق أني اصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي كالمنكر : لمَ لا تقرأ القرآن ؟ ، فقلت: اني أقرؤه في وقت غير هذا ، فقال : ما أراك إلا تصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، قال ومن يومئذ صار يُقابلني بفتور •

وقد فسحوا للكتبيين في السنين الأولى من دخولهم الحجاز بجلب دلائل الخيرات الّذي غير مهمش ومنعوا جميع نسخه المهمشة ، وفي هذه السنين حظروا عليهم جلبه مطلقا مهمشاً أو غير مهمش ، وقد جلب منه عبد الصمد فدا أربعمائة نسخة فألزموه بارجاعها الى مصر أو يتلفونها فتركها لهم •

Marfat.com

نشر هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلانا حذرت فيه الناس من دلائل الخيرات

وفي سنة ١٣٧٦ نشرت هيئة الأمر بالمعروف والنهيعن المنكر بمكة اعلاناً للجمهور في (البلاد السعودية) حذرتهم فيه من دلائل الخيرات وأنه أشد ضرراً على الأمة من كتب الزندقة والالحاد وأن مؤلفه يهودي ، فلينظر الألباء في هؤلاء الذين ورطهم الجهل المكعب في خمس مصائب :

الأولى : منعهم كتاباً مشتملاً على الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بعض الآيات بدون استناد الى برهان يسوغ لهم ذلك وينقذهم من ايذاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعداوته •

الثانية : اعلانهم على صفحات الجرائد أن دلائل الخيرات ككتب الزنادقة مفسد لعقائد المسلمين بدون استناد الى براهين تسوغ لهم هذا الاعلان وكان الواجب عليهم أن لا يفتاتوا على الأمة الاسلامية التي تلقته بالقبول شرقاً وغرباً منذ خمسمائة عام ونيف بل يبينون لها ان كان عندهم علم ما فيه من الافساد المزعوم ، ولكن حيث كانوا منفذين خطة امامهم ابن عبد الوهاب فيه جازمين بأنهم هم الأمة الاسلامية وحدهم والاسلام ممثل فيهم مستندين الى ما قاله لهم : (ان الأمة الاسلامية كفرت منذ ستمائة سنة) ، فلا قدر ولا قيمة لها = على رأيه = ما دامت غير مؤلهة له معهم •

الثالثة : لم يكتفوا في آذاه صلى الله تعالى عليه وسلم بمنع الكتبية من جلبه •

الرابعة : لم يكتفوا في آذاه صلى الله تعالى عليه وسلم بان سبب منعهم له ما فيه من التوسل بالأنبياء والصالحين ، والتوسل بهم = في رأي امامهم = الحراني شرك ، بل ترقوا الى انه ككتب الزنادقة مفسد لعقائد المسلمين ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنـان •

الخامسة : لم يكتفوا بالطعن في مؤلفه على قاعدة أهل الرواية المبرزين في النقد (لو كانوا من اهلها) ، بأنه مثلا غير ثقة في نقله أو أنه ذكر في أوله أحاديث موضوعة

Marfat.com

في فضل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل طفروا إلى الطعن في دينه ونسبه بأنه كافر يهودي ، ما أشد جهلهم وغلظتهم والجفاء والغلظة في الفدادين من حيث يطلع قرن الشيطان ، وليوازنوا بين كتاب فيه صيغ كثيرة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي حث الله عليها في كتابه العزيز مُنَوِّهاً بقدر نبيه عنده مؤكداً مبتدئاً بذاته الشريفة مُثَنِّياً بملائكته الكرام منادياً عباده المؤمنين آمراً لهم بها أمراً مطلقاً ، وبين رأي الحراني المتبع غير سبيل المؤمنين المجيزين التوسل بالأنبياء والصالحين ولا ريب أن كل من رزق فهماً صحيحاً وعقلاً سليماً لا يختار ان يكون في كفة الحراني النابذ لكتاب الله المشاقق لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخارق لاجماع الأمة الاسلامية، بل يختار أن يكون في كفة الأمة الاسلامية ويحكم على دلائل الخيرات بانه من أجل وأجمع الكتب المؤلفة في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويحكم على صاحبه في الجملة بأنه من علماء المسلمين العاملين ويترحم عليه ولا يذكره الا بخير محسناً ظنه به ، وتحسين الظن بالمسلم واجب له على أخيه المسلم ، ممتثلاً أمره صلى الله تعالى عليه وسلم : (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم) مجتنباً نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن تتبع عثرات المسلمين •

فقد اخرج الامام احمد رحمه الله تعالى في مسنده عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (يا معشر من آمن بلسانه ولمّا يؤمن بقلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ولا عثراتهم فان من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته ومن تتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته) ، مجتنباً أيضاً تكفير أهل القبلة ، عالماً أن تكفيرهم شنشنة الخوارج •

نهيه صلى الله عليه وسلم عن تتبع عثرات المسلمين

فقد أخرج الامام البخاري في صحيحه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)، مجتنباً أيضاً الطعن في أنساب الناس ، فقد أخرج الامامان احمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (اثنتان

Marfat.com

في الناس هما بهم كفر ؛ الطعن في الانساب والنياحة على الميت) صحيح •

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة) حسن •

وأخرج الامام البخاري في التاريخ والطبراني عن جنادة بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (ثلاث من فعل أهل الجاهلية لا يدَعهن أهل الاسلام : استسقاء بالكواكب ، وطعن في النسب ، والنياحة على الميت) •

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (ثلاث من الكفر بالله شق الجيب والنياحة والطعن في النسب) •

ترجمة العلامة محمد بن سليمان الجزولي

صاحب « دلائل الخيرات »

فان تاق الأحوذي الى معرفة مؤلّف دلائل الخيرات ، فانه الفقيه العلامة الصالح محمد بن سليمان المغربي الجَزولي السَمْلالي الشريف الحسني كان فقيهاً ، يحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي • والّف في التصوف وجمع كتابه دلائل الخيرات بمدينة فاس ، وبها لقيه العلامة الشهير احمد زرّوق البُرْنُسي ، انقطع رحمه الله تعالى للعبادة بساحل المغرب أربعة عشر سنة ، ورده نهاراً أربعة عشر ألف بسملة وختمتين من دلائل الخيرات وليلاً ختمة منه وربع القرآن ، ثم خرج للانتفاع به وظهرت له كرامات، وتوفي سادس ربيع الاول عام سبعين وثمانمائة ثم بعد سبع وسبعين سنة من موته نقل من سوس الى مراكش فدفن بها وقد وجدوه لما اخرجوه من قبره بسوس كهيئته يوم دفن لم يتغير منه شيء ، وهو مترجم في ذيل ديباج ابن فرحون وغيره •

واكثر صيغ الصلوات التي في دلائله مأثورة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه الكرام ، فان وجد في روايات بعضها ضعف ، فان الآية الشريفة الآمرة بها أمراً مطلقاً والأحاديث الصحيحة والحسنة الواردة في فضلها تجبره وتقويها ، واقبال

Marfat.com

المسلمين شرقاً وغرباً على قراءته دليل على اخلاص صاحبه وصلاحه •

وقد شرحه العلامة محمد المهدي بن احمد الفاسي بشرح سماه « مطالع المسرّات بجلاء دلائل الخيرات » ، مطبوع في مجلد ، وحيث تحقق عن محمد بن عبد الوهاب ومقلديه في دلائل الخيرات أنه من أنكر المنكرات التي يجب عليهم إزالتهـا فانهم اذا وجدوه عند أحد في المساجد أو في غيرها قاموا بتنفيذ خطة شيخهم فيه ، واذا وجدوه عند مسلم في حرم الله أخذوه منه قهراً بعد اشباعه شتماً ببضاعة الشرك ، ويعتقدون أنهم بهذا العمل مجاهدون مأجورون كأنهم فتحوا مدينة من مدائن الكفار ، ولا ينكرون كتب الالحاد والزندقة الطاعنة في صميم الدين الاسلامي وفي رجاله ، ولا المجلات المملوءة بالصور القبيحة المفسدة لأخلاق المسلمين تباع علناً في المكاتب •

يسوء التيميين من يسود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الصلاة

يسوء التيميين من يُسَوِّدُ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صلاة أو في غيرها ويرون ذلك منكراً عظيماً لما سنَّه لهم ابن عبد الوهاب من النهي عن قول سيدنا ومولانا لمخلوق ولو نبياً ، ولا يسوءهم ولا ينكرون ألفاظ الغلو والتعظيـم تكال بمرأى منهـم ومسمع للامراء في الجرائد وفي غيرها بل لا ينكرون الصحف المملوءة بالفاظ التعظيم والسيادة للأجانب وللتجار ولمن هبّ ودبّ •

وقد كان اللازم عليهم على ما سنه لهم شيخهم الانكار على الله تبارك وتعالى حيث قال : (فانَّ الله هوُ مولاهُ وجبريلُ وصالحُ المؤمنينَ والملائكةُ بعد ذلك ظهير)ولكنهم يقرأونه ولا يجاوز ••• نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان •

وقد كان اللازم عليهم على ما سنه لهم شيخهم الانكار على الله تعالى حيث قال في يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام (وسيِّداً وحَصُوراً) ، بل الانكار عليه تبارك وتعالى حيث أثبت السيادة لكافر به (وألْفَيَا سيِّدَها لدى الباب) ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان •

Marfat.com

لم يعرفوا من السنة سوى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (السَّيد الله) ، وجهلوا جهلاً مكعباً قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) ، وقوله : (أنا سيد الناس يوم القيامة) ، وقوله : (ان ابني هذا سيد) ،وقوله : (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) ، وقوله : (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين الا النبيين والمرسلين) يعني أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، وقوله : (قوموا لسيدكم) ، وقوله : (من سيدكم يا بني سلمة) ، وإقراره صلى الله تعالى عليه وسلم للاعرابي في قولـه :

ياسيـد الرسل وديان العرب أشكو اليك ذربـة من الذرب

وقول الفاروق رضي الله تعالى عنه (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) .

وجهلوا أيضا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا اله الا أنت الخ ...) ، وجهلوا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (سيد الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم الحديث) ، وقوله : (سيد الشهور شهر رمضان وأعظمها حرمة ذو الحجة) .

ترجيح المحققين من العلماء سلوك الادب

على امتثال الامر

وترجيح كثير من العلماء المحققين سلوك الأدب على امتثال الأمر أخذاً من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيح : (ما منعك يا أبا بكر أن تثبت إذْ أمرتك ؟) ، فقال رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول، الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، يعرفه كل من له إلمام بالعلم . ومعلوم لدى كل لبيب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سيد المتواضعين فلا يعقل أن يقول لأمته سوّدوني ، ولا حجة في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (قولوا اللهم صل على محمد) على منع تسويده صلى الله تعالى عليه

Marfat.com

وسلم سواء حمل الأمر فيه على الوجوب = كما قال العلماء = تجب الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في العمر مرة واحدة وكما قال الامام الشافعيّ وجماعة تجب عليه في تشهد الصلاة ، أم حُمِل على الاستحباب لأن الصلاة عليه شيء وكونها بلا تسويد أو به شيء آخر •

فمن امتثل ظاهر الأمر وصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أحسن ، ومن سلك مسلك الأدب كالصديق الاكبر فسوّده فقد أحسن • وما نسب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم من أنه قال : (لا تسودوني في الصلاة) ، قال العلماء باطل لا أصل له مفترى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم •

يسوء التيميين جداً قراءة الاخبار الواردة

في مبدا امر النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع في مولده من الآيات وقراءة شمائله الكريمة تعظيماً لقدره صلى الله تعالى عليه وسلم

يسوء التيميين جداً اجتماع الناس على سماع قراءة ما تيسر من القرآن وقراءة الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما وقع في مولده من الآيات ، وقراءة شمائله الكريمة ، تعظيماً لقدره صلى الله عليه وسلم واظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف ، ثم مد طعام لهم يأكلون وينصرفون ، يرون هذا العمل منكراً عظيماً تجب عليهم ازالته باليد ، فاذا سمعوا بانسان عمل مولداً كبسوه ككبسهم المجتمعين على الفسق وشرب الخمر ، وعمل المولد على الكيفية المذكورة وان حدث بعد السلف الصالح ليس فيه مخالفة لكتاب الله ولا لسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لاجماع المسلمين ، فلا يقول من له مسكة من عقل ودين بأنه مذموم فضلاً عن كونه منكراً عظيماً ، وكون السلف الصالح لم يفعلوه صحيح ، ولكنه ليس بدليل ، وانما هو عدم دليل ، ويستقيم الدليل على كونه ممنوعاً أو منكراً لو نهى الله تعالى عنه في كتابه العزيز ، أو نهى عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنته الصحيحة ، ولم ينه عنه فيهما •

Marfat.com

التيميون يتيهون دائمـاً في بيداء العدم

وهم دائما يتيهون في بيداء العدم الذي سنه لهم شيخهم الحراني ، فتمسكهم على منعه بعدم فعل السلف له ليس بدليل ، وانما هو ذرّ الرّماد في العيون ، والحقيقة في كونه عندهم منكراً عظيماً هي تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتعظيمه = في زعمهم = شرك ينافي التوحيد ، وقد كذبهم الله تعالى في كتابه العزيز قال تعالى : (ذلك ومَنْ يُعَظِّمْ حُرُمات اللهِ فهو خَيْرٌ له عند ربِّه) ، وقال تعالى : (ذلك ومن يُعَظِّمْ شَعَائرَ اللهِ فانَّها من تقْوى القلوب) ، وكذبهم الأثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان اذا نظر الى البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ، وزد من شرّفه وكرّمه ممن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً ؛ عياذاً بالله تعالى من فساد الجنان .

حسن المقصد في عمل المولد

قال العلامة السيوطي : في رسالته (حسن المقصد في عمل المولد) ما نصه : وقد سئل شيخ الاسلام حافظ العصر أبو الفضل بن حجر عن عمل المولد ، فأجاب بما نصه : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها ، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ، وإلا فلا ، قال : وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجّى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى ، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هـذا النبيّ نبيّ الرحمة في ذلك اليوم ؟ ، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق

Marfat.com

قصة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء ، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أيّ يوم من الشهر ، بل توسع قوم فنقلوه الى يوم من السنة وفيه ما فيه ، فهذا ما يتعلق بأصل عمله •

وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والاطعام والصدقة وانشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة القلوب الى فعل الخير والعمل للآخرة ، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بالحاقه به ، وما كان حراماً او مكروهاً فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى إ هـ •

فتوى الحافظ ابن حجر بجواز عمل المولد

وقول ابن حجر : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح ، معناه : البدعة اللغوية ، اي مستحدث غير خارج عن قواعد الشريعة بدليل قوله بعده : كان بدعة حسنة وإلا فلا ، فان تقسيم البدعة الى حسنة وسيئة عند المحققين انما يكون فيها ، واما البدعة الشرعية فلا تقسيم فيها ولا تكون الاّ سيئة ، واقتران عمل المولد بما يخالف الشرع الشريف يصيره منهياً عنه لغيره لا لذاته بدليل كلام ابن حجر الأخير •

أول من احدث عمل المولد

قال السيوطي : وأوّل من أحدث عمل المولد صاحب اربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين على أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد ، وكان له آثار حسنة ، وهو الذي عمّر الجامع المظفّري بسفح قاسيون •

قال ابن كثير في تاريخه : كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلا رحمه الله تعالى وأكرم مثواه ، قال : وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلداً في المولد النبوي سماه :

Marfat.com

(التنوير في مولد البشير النذير) ، فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته في الملك الى أن مات وهو محاصر للأفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة ، محمود السيرة والسريرة •

وقال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : كان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار ، وكان يفتك من الفرنج في كل سنة أسارى بمائتي ألف دينار ، وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار ، هذا كله سوى صدقات السر ، وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن قميصه كان من كرباس غليظ لا يساوي خمسة دراهم ، قالت فعاتبته في ذلك ، فقال : لبسي ثوباً بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثمناً وأدع الفقير والمسكين إ هـ •

يسوء التيميين جداً اجتماع الناس

لقراءة قصة الاسراء والمعراج

يسوء التيميين جداً اجتماع الناس لسماع قراءة قصة الاسراء والمعراج ليلة أو يوم سبع وعشرين من رجب ، ويرون ذلك منكراً عظيماً يجب عليهم ازالته فيكبسون ، من علموا أنه عمل ذلك ككبسهم محل الدعارة ، وحجتهم في كونه منكراً عظيماً كحجتهم في عمل مولده الشريف عدم فعل السلف له ، وعدم فعل السلف له ليس بدليل على كونه مذموماً فضلا عن كونه منكراً عظيماً ، والحقيقة في كونه عندهم منكراً عظيماً تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم بما أكرمه الله تعالى به وشرفه من مخاطبته تعالى له بلا واسطة وما رآه من الآيات الكبرى والخوارق العظيمة ، وتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر بدعة تنافي التوحيد = في زعمهم = ، وتستقيم حجتهم = على زعمهم هذا = لو نهى الله في كتابه العزيز عن تعظيم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر ، أو نهى هو

Marfat.com

صلى الله تعالى عليه وسلم في سنته أمته عن تعظيمه بما ذكر ، ولم ينه عنه فيهما ، فحجتهم داحضة ، وزعمهم فاسد ، وقد خص علماء الاسلام قصة الاسراء والمعراج بتآليف كثيرة ، كما خصوا قصة مولده بذلك وبعد هذا فما يقول العقلاء فيهؤلاء الذين يكرهون سماع سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشمائله الكريمة في المولد وفي المعراج أشد كراهة وينكلون بمن يقرؤها ويسمعها ؟ أهم محبون له صلى الله تعالى عليه وسلم أم كارهون ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده ووالده والناس اجمعين) ؟ ، فهل قصة مولده والعروج به الى الملأ الأعلى إلا جزء من سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ، وهل سيرته إلا جزء من سنته عليه الصلاة والسلام ؟ ، وهل الصلاة عليه وسماع سيرته ومدحه إلا من محبتهوالايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ؛ نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان •

وحيث تحقق أن ابن تيمية سن لهم انتهاك حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بزعمه أن تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشد الرحال لزيارة قبره بدعة ، وأن السفر لذلك معصية لا يجوز فيه قصر الصلاة ، وزعمه أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم لا جاه له فلا يجوز التوسل به فاني ألخص ما في كتاب : (شفاء السقام في زيارة خير الانام) للامام المحقق أبي الحسن السبكي الذي رد به على ابن تيمية فشفى به صدور المؤمنين •

ذكر مافي شفاء الاسقام

قال رحمه الله تعالى : (الباب الاول) في الاحاديث الواردة في الزيارة نصاً ، وذكر فيه خمسة عشر حديثاً صريحة فيها وتكلم عليها واحداً واحداً من طريق فن الرواية كلاماً جيداً •

وقال : ان الأحاديث التي جمعناها في الزيارة بضعة عشر حديثاً مما فيه لفظ

Marfat.com

الزيارة غير ما يستدل به لها من أحاديث أخر ، وتضافر الأحاديث يزيدها قوة حتى ان الحسن قد يترقى بذلك الى درجة الصحيح ، والضعيف قسمان : قسم يكون ضعف راويه ناشئاً من كونه متهماً بالكذب ونحوه ، فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا الجنس لا يزيدها قوة ، وقسم يكون ضعف راويه ناشئاً من ضعف الحفظ مع كونه من أهل الصدق والديانة ، فاذا رأينا ما-رواه قد جاء من وجه عرفنا أنه مما قد حققه ولم يختل فيه ضبطه له هكذا قاله ابن الصلاح وغيره ، فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا النوع يزيدها قوة وقد يترقى بذلك الى درجة الحسن أو الصحيح إ هـ •

الباب الثاني : أفاض فيه في الاخبار والاحاديث

قال رحمه الله تعالى : (الباب الثاني) فيما ورد من الأخبار والأحاديث دالاً على فضل الزيارة وأن لم يكن فيه لفظ الزيارة ، وذكر فيهحديث : (ما من أحد سلَّم عليَّ الا رد الله عليَّ روحي حتى أردَ عليه السلام) وأسنده عن شيخه الحافظ الدمياطي الى أبي داود في سننه وتكلم على رجال أبي داود من طريق فن الرواية كلاماً جيداً •

ثم قال : وقد اعتمد جماعة من الائمة على هذا الحديث في مسألة الزيارة وصدر به أبو بكر البيهقي باب زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو اعتماد صحيح واستدلال مستقيم إ هـ •

ثم قال : قد ذكره ابن قدامة من رواية احمد ولفظه : (ما من أحد يسلم عليَّ عند قبري) ، ثم ذكر احاديث في الصلاة والسلام عليه ، وفي علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بمن يسلم عليه •

ثم قال : فان قيل ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (الاَّ ردَّ الله عليَّ روحي) • قلت : فيه جوابان أحدهما ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي أن المعنى إلاَّ وقد رد الله عليَّ روحي يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما مات ودفن ردَّ الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم عليه واستمرت في جسده صلى الله تعالى عليه وسلم ، والثاني : يحتمل

Marfat.com

أن يكون رداً معنوياً وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الأعلى من هذا العالم فاذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم فيدرك سلام من يسلم عليه ويرد عليه إ هـ •

قلت : وعن هذا الحديث أجوبة غير هذين ذكر الجميع العلامة الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية •

الباب الثالث : أفاض فيه فيما ورد في السفر

الى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا

قال : (الباب الثالث) فيما ورد في السفر الى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم صريحاً وبيان ان ذلك لم يزل قديماً وحديثاً ، وممن روى ذلك عنه من الصحابة بلال ابن ابي رباح مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله عنه سافر من الشام الى المدينة لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، روينا ذلك باسناد جيد اليه وهو نص في البـاب •

وممن ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، وذكره الحافظ عبد الغني المقدسي في (الكمال) في ترجمة بلال ، وممن ذكره ايضا الحافظ أبو الحجاج المزي •

ثم قال : وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه أنه كان يبرد البريد من الشام يقول : سلم لي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم •

وممن ذكره ابن الجوزي ونقلته من خطه في كتاب (مثير العزم الساكن) قال : وذكره أيضا الامام أبو بكر بن أبي عاصم النبيل ووفاته سنة سبـع وثمانين ومائتين في مناسك له لطيفة جردها من الاسانيد ملتزماً فيها الثبوت ، ثم قال : واختلف السلف رحمهم الله في أن الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة أو بمكة قبل المدينة •

وممن نص على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها الامام احمد رحمه الله تعالى في

Marfat.com

كتاب المناسك الكبير من تأليفه ، وهذه المناسك رواها الحافظ أبو الفضل بن ناصر ، ثم قال : وممن اختار البداءة بمكة ثم إتيان المدينة والقبر الامام أبو حنيفة كما سنحكيه عنه في الباب الرابع •

وقال أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة في باب دفن أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : ما أحد من أهل العلم قديماً ولا حديثاً ممن رسم لنفسه كتاباً نسبه اليه من فقهاء المسلمين فرسم كتاب المناسك الا وهو يأمر كل من قدم المدينة ممن يريد حجاً أو عمرة أو لا يريد حجاً ولا عمرة ، وأراد زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمقام بالمدينة لفضلها إلاّ وكل العلماء قد أمروه ورسموه في كتبهم ، وعلموه كيف يسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكيف يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما علماء الحجاز قديماً وحديثاً ، وعلماء أهل العراق قديماً وحديثاً ، وعلماء أهل الشام قديماً وحديثا ، وعلماء اهل خراسان قديما وحديثا ، وعلماء اهل اليمن قديماً وحديثاً ، وعلماء أهل مصر قديماً وحديثا •

وقال قريباً من هذا الكلام أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي في كتاب الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة في باب دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

ثم قال : وأبو بكر الآجري هذا قديم توفي في المحرم سنة ستين وثلاثمائة ، وكان ثقة صدوقاً ديناً وله تصانيف كثيرة ، وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين ثم توطن مكة وتوفي بها ، وابن بطة توفي في المحرم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة بعكبرا من فقهاء الحنابلة ، كان اماماً فاضلا عالما بالحديث ، وفقهه اكثر من الحديث ، وصنّف التصانيف المفيدة ، وهكذا قال غيرهما •

ثم قال : واكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب ممن حكينا كلامهم في باب الزيارة يقتضي استحباب السفر لأنهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة ، ومن ضروريها السفر ، وحكاية الأعرابي المشهورة التى ذكرها المصنفون في مناسكهم ، وفي

Marfat.com

بعض طرقها أن الأعرابي ركب راحلته وانصرف ، وهذا يدل على انه كان مسافراً ، وقد ذكرها جماعة من الأئمة عن العتبي ، واسمه محمد بن عبيد الله كان من أفصح الناس صاحب اخبار روايات للآداب ، حدث عن أبيه وسفيان بن عيينة توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وذكرها ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في (مثير العزم الساكن) ، وغيرهما بأسانيدهم الى العتبي إ هـ •

الباب الرابع : افاض في نصوص العلماء

على استحباب زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

قال : (الباب الرابع) في نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين • قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها • ثم أفاض في نقل استحبابها عن أعيان من العلماء أتباع الأئمة الأربعة ، فنقل ذلك عن الشافعية عن القاضي أبي الطيب الطبري ، والمحاملي ، والحليمي ، والماوردي ، والروياني ، والقاضي حسين ، والشيخ أبي اسحاق الشيرازي ، ثم قال : ولا حاجة الى تتبع كلام الأصحاب في ذلك مع العلم باجماعهم واجماع سائر العلماء عليه •

وعن الحنفية : عن أبي منصور الكرماني في مناسكه ، وعبد الله بن محمود في شرح المختار ، وأبي الليث السمرقندي في فتاواه ، والسروجي في الغاية •

وعن الحنابلة : عن أبي الخطاب الكلواذاني في الهداية ، وأبي عبد الله السامري في المستوعب ، ونجم الدين بن حمدان في الرعاية الكبرى •

قال : وعقد ابن الجوزي في : (مثير العزم الساكن الى أشرف الأماكن) باباً في زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

وذكر فيه حديث ابن عمر وحديث انس رضي الله تعالى عنهما ، وموفق الدين

Marfat.com

ابن قدامة في المغني • وذكر حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما من طريق الدارقطني ومن طريق سعيد بن منصور ، وحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من طريق احمد: (ما من أحد يسلم عليّ عند قبري الخ •••) •

- وعن المالكية : عن أبي عمران الفاسي ، والشيخ ابن أبي زيد ، وأبي الوليد بن رشد ، وابن عطاء الله •

اجاب عـــن حديث ابي داود

(لا تجعلوا قبري عيداً) بثلاثة اجوبة

ثم قال : فهذه نقول المذاهب الأربعة وكذلك غيرهم من الصحابة والتابعين ومـــن بعدهم ، ثم قال : ولو استوعبنا الآثار وأقاويل العلماء في ذلك لخرجنا الى حد الطول والمَلَل ، ثم ذكر حديث أبي داود : (لا تجعلوا قبري عيداً) ، وأجاب عنه بثلاثة أجوبة :

(١) : يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العـام إلاّ مرتين •

(٢) : ويحتمل أن يكون المراد ؛ لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً لا تكون الزيـارة الاّ فيه ، وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ليس لها يوم بعينه بل أي يوم كان •

(٣) : ويحتمل أن يراد أن يجعل كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل في الأعياد ، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعـاء ثم ينصرف عنه ، والله أعلم بمراد نبيّه صلى الله تعالى عليه وسلم إ هـ •

Marfat.com

الباب الخامس : افاض فيه في كون الزيارة

قربة بالكتاب والسنة والاجماع والقياس

قال : (الباب الخامس) في تقرير كون الزيارة قربة وذلك بالكتاب والسنة والاجماع والقياس •

اما الكتاب فقوله تعالى : (ولو أنَّهم اذْ ظَلَموا انْفُسَهُمْ جاؤكَ فاسْتَغْفَروا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسولُ لوجدوا اللهَ تواباً رحيماً) ، دلت الآية على الحث على المجيء الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، والاستغفار عنده واستغفاره لهم ، وذلك وان كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تنقطع بموته تعظيماً له •

فان قلت : المجيء اليه في حال الحياة ليستغفر لهم وبعد الموت ليس كذلك • قلت: دلت الآية على تعليق وجدانهم الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول •

فأما استغفار الرسول فانه حاصل لجميع المؤمنين لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استغفر للمؤمنين والمؤمنات ، لقوله تعالى : (واستَغْفِرْ لذنبكَ وللمؤمنينَ والمؤْمنات) ، فقد ثبت أحد الامور الثلاثة ، وهو استغفار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكل مؤمن ومؤمنة ، فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته ، وليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم ، بل هي مجملة ، والمعنى يقتضي بالنسبة الى استغفار الرسول أنه سواء أتقدم أم تأخر ، فان المقصود ادخالهم لمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وانما يحتاج الى المعنى المذكور اذا جعلنا : (واستغْفرَ لهُمُ الرسولُ) معطوفاً على : (فاسْتَغْفَروا اللهَ) ، أما ان جعلناه معطوفا على : (جاؤك) لم يحتج اليه ، هذا كله ان سلمنا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستغفر بعد الموت ،ونحن

Marfat.com

لا نسلم ذلك لما سنذكره من حياته صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفاره لأمته بعد موته ، واذا أنكر استغفاره ، وقد علم كمال رحمته وشفقته على أمته فيعلم انه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه تعالى ، فقد ثبت على كل تقدير ان الامور الثلاثة المذكورة في الآيـة حاصلة لمن يجيء إليه صلى الله تعالى عليه وسلم مستغفراً في حياته وبعد مماته ، والآية وان وردت في اقوام معيَّنين في حالة الحياة فتعم بعموم العلة كل من وجـد فيـه ذلك الوصف في الحياة وبعد الموت ، ولذلك فهم العلماء منها العموم في الحالتين ، واستحبوا لمن أتى قبره صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتلوها ويستغفر الله تعالى ، وحكاية العتبي في ذلك مشهورة وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب والمؤرخون ، وكلهـم استحسنوها ورأوها من آداب الزائر وما ينبغي له أن يفعله •

واما السنة : فما ذكرناه في الباب الأول والثاني من الأحاديث ، وهي أدلة على زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه ، وفي السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور ، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) ، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : (زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة) ، وقال الحافظ أبو موسى الاصبهاني في كتابه : (آداب زيارة القبور) ، ورد الأمر بزيارة القبور من حديث بريدة وأنس وعلي وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وابيّ بن كعب وأبي ذرّ رضي الله تعالى عنهم إ هـ •

فقبر النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم سيد القبور داخل في عموم القبور المأمور بزيارتهـا •

وأما الاجماع : فقد حكاه القاضي عياض في أول الباب الرابع ، فزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص لأن زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيم ، وتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم واجب ، ثم ذكر أنه لا فرق في زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجال والنساء ، وأما سائر القبور ، فالاجماع على استحباب زيارتها للرجال وأفاض في تفصيل زيارتها للنساء •

Marfat.com

واما القياس : فعلى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم البقيع وشهداء أحد ، واذا استحب زيارة قبر غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فقبره أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم ، فان قلت : الفرق أن غيره يزار للاستغفار له لاحتياجه الى ذلك = كما فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في زيارته أهل البقيع = ، والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستغن عن ذلك • قلت : زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم انما هي لتعظيمهوالتبرك به ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه ، كما أنا مأمورون بالصلاة عليه والتسليموسؤال الوسيلة وغير ذلك مما يعلم أنه حاصل له صلى الله تعالى عليه وسلم بغير سؤالنا ، ولكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارشدنا الى ذلك لنكون بدعائنا له متعرضين للرحمة التي رتبها الله على ذلك •

(فان قلت) : الفرق أيضا ان غيره لا يخشى فيه محذور ، وقبره صلى الله تعالى عليه وسلم يخشى من الافراط في تعظيمه أن يعبد • (قلت) : هذا كلام تقشعرّ منه الجلود ، ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته فان فيه تركاً لما دلت عليه الأدلة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية ، وكيف نقدم على تخصيص قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (زوروا القبور) ، وعلى ترك قوله (من زار قبري وجبت له شفاعتي) ، وعلى مخالفة اجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة ، وهذا بخلاف النهي عن اتخاذه مسجداً ، وكون الصحابة احترزوا عن ذلك للمعنى المذكور لأن ذلك قد ورد النهي فيه •

وليس لنا نحن أن نشرع أحكاماً من قبلنا ، (أم لهمْ شُركاءُ شَرَعوا لهُمْ من الدّينِ ما لمْ يأذنْ بهِ اللهُ) •

فمن منع زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، وقوله مردود عليه ، ولو فتحنا باب هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيراً من السنن بل ومن الواجبات ، والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والمبالغة في ذلك •

Marfat.com

ومن تأمل القرآن العزيز وما تضمنه من التصريح والايماء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والأدب معه ، وما كانت الصحابة يعاملونه به من ذلك ، امتلأ قلبه ايماناً ، واحتقر هذا الخيال الفاسد واستنكف ان يصغي اليه ، والله تعالى هو الحافظ لدينه ، ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له .

وعلماء المسلمين مكلفون بأن يبينوا للناس ما يجب من الأدب والتعظيم والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاوزته بالأدلة الشرعية ، وبذلك يحصل الأمن من عبادة غير الله تعالى ، ومن أراد الله ضلاله من أفراد الجهال فلن يستطيع أحد هدايته ، فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعماً بذلك الأدب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى ، وضيَّع ما أمر به في حق رسله ، كما أن من أفرط وجاوز الحد الى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله وضيَّع ما أمروا به في حق ربهم سبحانه وتعالى ، والعدل حفظ ما أمر الله في الجانبين ، وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضي إلى محذور إ هـ .

وقسم زيارة القبور الى أربعة اقسام ، ثم قال اذا عرف هذا فزيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثبت فيها هذه المعاني الأربعة ، وأفاض في شرح المعاني الأربعة .

وقال : والآثار في انتفاع الموتى بزيارة الاحياء وما يصل اليهم منهم وادراكهم لذلك لا يحصر ، ثم أطنب في نقل الآثار واقوال العلماء في استحباب زيارة القبور وقال : ان من نذر زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يلزمه الوفاء به عند الشافعية والمالكية ، وأفاض في النذر .

الباب السادس ، افاض فيه في كون السفر اليها قربة

قال : (الباب السادس) في كون السفر اليها قربة وذلك من وجوه :

(١) : الكتاب العزيز وذكر الآية الشريفة (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك الخ) وقال : والمجيء صادق على المجيء من قرب وبعد بسفر وبغير سفر ، ولا يقال إن

Marfat.com

(جاؤك) مطلق والمطلق لا دلالة له على كل فرد وان كان صالحاً لها لأنا نقول هو في سياق الشرط فيعم، فمن حصل منه الوصف المذكور وجد الله تواباً رحيماً •

(٢) : السنة من عموم قوله : (من زار قبري) فانه يشمل القريب والبعيدوالزائر عن سفر وعن غير سفر كلهم يدخلون تحت هذا العموم لا سيما قوله في الحديث الذي صححه ابن السكن (من جاءني زائراً لا تعمله حاجة الا زيارتي) فان هذا ظاهر في السفر بل في تمحيض القصد اليه وتجريده عما سواه ، وحالة الموت مرادة منه إما بالعموم وإما أنها هي المقصود •

(٣) : السنة أيضاً لنصها على الزيارة ، ولفظ الزيارة يستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور كلفظ المجيء الذي نصت عليه الآية الكريمة ، فالزيارة اما نفس الانتقال من مكان إلى مكان بقصدها ، واما الحضور عند المزور من مكان آخر ، وعلى كل حال لابد في تحقيق معناها من الانتقال ، فالسفر داخل تحت اسم الزيارة ، فاذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر اليها قربة •

وأيضاً فقد ثبت خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة لزيارة القبور ، واذا جاز الخروج الى القريب جاز الى البعيد ، وثبت خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم لقبور الشهداء ، واذا ثبت مشروعية الانتقال الى قبر غيره فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم أولى •

(٤) : الاجماع لاطباق السلف والخلف فان الناس لم يزالوا في كل عام اذا قضوا الحج يتوجهون الى زيارته صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج = هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة كما ذكرناه في الباب الثالث = وذلك أمر لا يرتاب فيه ، وكلهم يقصدون ذلك ويعرجون اليه وان لم يكن طريقهم ، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال ويبذلون فيه المهج ، معتقدين أن ذلك قربة وطاعة ، واطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على ممر السنين وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ ، وكلهم يفعلون

Marfat.com

ذلك على وجه التقرّب به الى الله عز وجل ، ومن تأخر عنه من المسلمين فانما يتأخر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسّفه عليه وودّه لو تيسّر له ، ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطىء .

(فان قلت) ان هذا لا يسلمه الخَصْم لجواز ان يكون سفرهم ضم فيه قصد عبادة اخرى الى الزيارة بل هو الظاهر = كما ذكر كثير من المصنفين في المناسك = أنه ينبغي أن ينوي مع زيارته التقرب بالتوجه الى مسجده صلى الله عليه وسلم والصلاة فيه ، والخصم ما أنكر اصل الزيارة انما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة وهي أن يضم اليها قصد المسجد كما قاله غيره . (قلت) اما المنازعة فيما يقصده الناس ، فمن أنصف من نفسه وعرف ما الناس عليه علم انهم انما يقصدون بسفرهم الزيارة من حين يعرجون الى طريق المدينة ولا يخطر غير الزيارة من القربات إلا ببال قليل منهم ، ثم مع ذلك هو مغمور بالنسبة الى الزيارة في حق هذا القليل ، وغرضهم الاعظم هو الزيارة ، حتى لو لم يكن ربما لم يسافروا ، فالمقصود الأعظم في المدينة الزيارة ، كما ان المقصود الاعظم في مكة الحج او العمرة وهو المقصود او معظم المقصود من التوجه اليها ، وانكار هذا مكابرة ، وصاحب هذا السؤال إن شك في نفسه فليسأل كلّ من توجه الى المدينة ما قصد بذلك؟ .

(٥) : ان وسيلة القربة قربة ، فان قواعد الشرع كلها تشهد بأن الوسائل معتبرة بالمقاصد إ هـ . ثم أفاض في هذا الوجه بأحاديث كثيرة وآيتين كلها دالة على أن وسيلة القربة قربة ، ثم قال : (فان قلت) قد يقول الخصم الزيارة قربة في حق القريب خاصة ، أما البعيد الذي يحتاج الى سفر فلا وحينئذ لا يكون السفر اليها وسيلة الى قربة في حقه ، وانما تكون الوسيلة قربة اذا كانت يتوصل بها الى قربة مطلوبة من ذلك الشخص المتوسل (قلت) الزيارة قربة مطلقاً في حق القريب والبعيد ، فان الأدلة الدالة عليها غير مفصلة ، ومن ادعى تخصيص العام بغير دليل قطعنا بخطئه .

(فان قلت) فالصلاة مطلقاً قربة والسفر اليها ليس بقربة إلا الى المساجد الثلاثة ، (قلت) قد يكون الشيء قربة وانضمامه الى غيره ليس بقربة ، فالصلاة في نفسها قربة ، وكونها في مسجد بعينه غير الثلاثة ليس بقربة ، فالسفر اليه وسيلة الى ما ليس بقربة .

(فان قلت) لو كانت وسيلة القربة قربة مطلقا لكان النذر قربة لأنه وسيلة الى

Marfat.com

إيقاع العبادة واجبة ، والواجب افضل من النفل ، والنذر مكروه ، لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال : (انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل) ، (قلت) جعل النفل فرضاً ليس بقربة بل هو مكروه لما فيه من الخطر والتعرض للاثم بتقدير الترك ، ووقوع العبادة ممكن بغير النذر فلم يحصل بالنذر الا التعرض للخطر والحرج ، على انا نقول إن وسيلة القربة قربة من حيث هي موصلة لذلك المطلوب ، وقد يقترن بها أمر عارض يخرجها عن ذلك كالمشي الى الصلاة في طريق مغصوب ، والمدعى ان الفعل اذا كان مباحاً ولم يقترن به الا قصد القربة به كان قربة ، وهذا لا يستثنى منه شيء •

(فان قلت) كيف تجزمون بهذا وقد اشتهر خلاف الاصوليين في أن الأمر بالشيء أمر بما لا يتم إلا به أولا ، ومقتضى ذلك ان يجرى خلاف في ان وسيلة المندوب هل هي مندوبة أو لا ؟ (قلت) سنبيّن في آخر الكلام أن كون الفعل قربة اعم من كونه مأموراً به ، ثم أفاض في تفصيل (ما لا يتم المأمور به الا به) وحقق ان الزيارة مأمور بها ، والسفر اليها شرط في تحققها ، وان الجمهور على ان هذا السفر مأمور به واجب لوجوب مقصده في نحو أربع ورقات :

الباب السابع : أفاض فيه في دفع شبه ابن تيمية

قال : (الباب السابع) في دفع شبه الخصم وتتبع كلماته وفيه فصلان :

(الاول) : في شبهه ، وله ثلاث شبه ـ احداها : توهم قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد) دليلاً على منع السفر للزيارة وليس كما توهمه ، ونحن نذكر ألفاظ الحديث ثم نذكر معناه ان شاء الله تعالى ، قال : وهذا الحديث متفق على صحته ، وذكر له عدة الفاظ ثم قال : واما معناه فاعلم أن هذا الاستثناء مفرغ ، تقديره لا تشد الرحال الى مسجد الا الى المساجد الثلاثة ، أو لا تشد الرحال الى مكان الا الى المساجد الثلاثة ، ولا بد من أحد هذين التقديرين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه ، والتقدير الاول أولى لأنه جنس قريب ، ولما سنبينه من قلة التخصيص أو عدمه على هذا التقدير •

Marfat.com

ثم اعلم ان السفر فيه أمران : أحدهما غرض باعث عليه كالحج أو طلب العلم أو الجهاد أو زيارة الوالدين أو الهجرة وما أشبه ذلك ، والثاني المكان الذي هو نهاية السفر كالسفر الى مكة او المدينة او بيت المقدس او غيرها من الأماكن لأي غرض كان ، ولا شك أن شد الرحال الى عرفة لقضاء النسك واجب باجماع المسلمين ، وليس من المساجد الثلاثة ، وشد الرحال لطلب العلم الى اي مكان كان جائز باجماع المسلمين ، وقد يكون مستحباً أو واجباً على الكفاية أو فرض عين ، وكذلك السفر الى الجهاد ، ومن بلاد الكفر الى بلاد الاسلام للهجرة واقامة الدين ، وكذلك السفر لزيارة الوالدين وبرهما وزيارة الاخوان والصالحين ، وكذلك السفر للتجارة وغيرها من الأغراض المباحة ، فانما معنى الحديث أن السفر الى المساجد مقصور على الثلاثة على التقدير الاول الذي اخترناه ، أو أن السفر الى الأماكن مقصور على الثلاثة على التقدير الثاني ، ثم على كلا التقديرين إما أن يجعل المساجد أو الأمكنة غاية فقط وعلة السفر أمر آخر ، كالاشتغال بالعلم ونحوه من الامثلة التي ذكرناها فهذا جائز الى كل مسجد والى كل مكان فلا يجوز أن يكون هو المراد .

وقد يقال على بُعد : ان خروج تلك المسائل بأدلة على سبيل التخصيص للعموم فلا يمنع من ارادته في الباقي ، وهذا لو قيل به فتقدير المساجد أيضاً أولى من تقدير الأمكنة لقلة التخصيص ، اذ التخصيص على تقدير اضمار الأمكنة أكثر فيكون مرجوحاً ، ثم على هذا التقدير فالسفر بقصد زيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غايته مسجد المدينة لأنه مجاور للقبر الشريف ، فلم يخرج السفر للزيارة عن أن يكون غايته أحد المساجد الثلاثة = وهو المراد على هذا التقدير = ، وإما أن يجعل المساجد أو الأمكنة علة فقط ، ويكون قد عبر بالى عن اللام أو غاية وعلة من باب تخصيص العام بأحد حاليه ، لأن غاية السفر قد يكون هو العلة وقد لا يكون ، فيكون المراد النوع الأول وهو ما يكون علة مع كونه غاية ، ومعنى كونه علة انه يسافر لتعظيمها أو للتبرك بالحلول فيها أو بأن يوقع فيها عبادة من العبادات التي يمكنه ايقاعها في غيرها من حيث ان ايقاعها فيها أفضل من ايقاعها في غيرها ، وكل ذلك انما ينشأ من اعتقاد فضل في البقعة زائد على غيرها ، فنهى عن ذلك الا في المساجد الثلاثة ، وهذا هو المراد . وغيرها من الأماكن

Marfat.com

والمساجد لا يؤتى إلا لغرض خاص لا يوجد في غيره كالثغر للرباط الذي لا يوجد في غيره •

وعلى هذا التقدير أيضا المسافر لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يدخل في الحديث ، لأنه لم يسافر لتعظيم البقعة وانما سافر لزيارة من فيها كما لو كان حياًوسافر اليه فيها أو في غيرها فانه لا يدخل في هذا العموم قطعاً •

وملخص ما قلناه على طوله : ان النهي عن السفر مشروط بامرين :

(أحدهما) ان يكون غايته غير المساجد الثلاثة ، (والثاني) أن يكون علته تعظيم البقعة ، والسفر لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غايته أحد المساجد الثلاثة ، وعلته تعظيم ساكن البقعة لا البقعة فكيف يقال بالنهي عنه ؟ بل أقول : ان للسفر المطلوب سببين :

(احدهما) ما يكون غايته أحد المساجد الثلاثة ، (والثاني) ما يكون لعبادة وان كان الى غيرها ، والسفر لزيارة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمع فيه الأمران فهو في الدرجة العليا من الطلب ، ودونه ما وجد فيه أحد الأمرين ، وان كان السفر الذي غايته أحد الأماكن الثلاثة لابد في كونه قربة من قصد صالح ، واما السفر لمكان غير الاماكن الثلاثة لتعظيم ذلك المكان فهو الذي ورد فيه الحديث •

ولهذا جاء عن بعض التابعين انه قال : قلت لابن عمر ابي اريد أن آتي الطور قال: انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسجد الأقصى ودع الطور فلا تأته •

وفي مثل هذا تكلم الفقهاء في شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة إ هـ •

وأفاض في أقوال العلماء في شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة في نحو ورقتين ، ثم قال (فان قلت) : قد أكثرت من التفرقة بين قصد البقعة وقصد من فيها وسلمت ان قصد البقعة داخل تحت الحديث ، والزيارة لابد فيها من قصد البقعة فان السلام والدعاء

Marfat.com

يحصل من بعد كما يحصل من قرب وهو مقصود الزيارة (قلت) قصد البقعة لما اشتملت عليه ليس بمحذور ولا نقول بنفي الفضيلة عنه ، وانما قلنا ذلك في قصد البقعة لعينها أو لتعظيم لم يشهد به الشرع •

على أنا نقول انه لا يلزم من الزيارة أن يكون للبقعة مدخل في القصد الباعث بل تارة يكون ذلك مقصوداً ، وتارة يجرد قصد الشخص المزور من غير شعور بما سواه •

وقوله ان مقصود الزيارة يحصل من بعد ممنوع فان الميت يعامل معاملة الحي ، فالحضور عنده مقصود ، ألا ترى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما خرج في ليلة عائشة الى البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات = الحديث المشهور = وفيه ان عائشة رضي الله عنها سألته فقال : إن جبريل أتاني فقال إن ربك عز وجل يأمرك أن تأتي أهل البقيع وتستغفر لهم ، قالت فقلت كيف أقول لهم يا رسول الله قال قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون (رواه مسلم) •

فانظر كيف خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى البقيع بأمر الله تعالى يستغفر لأهله ولم يكتف بذلك بالغيبة ، وهذا أصل في الاتيان الى القبور لزيارة أهلها للاستغفار لهم ، وقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تقول تعني اذا فعلت كفعله وعلمها ، وفي ذلك دليل على أنه يجوز لها وللنساء الاتيان الى القبور لهذا الغرض لأن سؤالها ذلك كان بعد رجوعهما الى البيت فلم يكن المقصود منه كيف أقول الآن وانما معناه كيف أقول مرة اخرى ، فلو كان لا يجوز لها ذلك لبينه لها وليس هذا المقصود هنا فانا نذكره ان شاء الله تعالى في موضع آخر ، وانما المقصود هنا ان الحضور عند القبر لسبب زيارة من فيه والدعاء مطلوب وليس ذلك من باب قصد الأمكنة ولا دل الحديث على امتناعه ولا قال به أحد من العلماء إ هـ •

(وبعد هذا) قال المحقق : وقد أحضر الي بعض الناس صورة فتاوى أربع منسوبة لبعض علماء بغداد في هذا الز -ان لا أدري هل هي مختلقة من بعض الشياطين

Marfat.com

الذين لا يحسنون أو هي صادرة ممن هو متسم بسمة العلم وليس من أهله ، وليس فيها كلها طائل وكلهم خلط وذكر ما لا طائل تحته ، والاقرب انها مختلقة وان مثلها لا يصدر عن عالم وانما ذكرتها هنا لتضمنها النقل عن الشيخ أبي محمد والقاضي عياض الذي تعرضت هنا لافساده •

قال المحقق : (تنبيه) قد يتوهم من استدلال الخصم بهذا الحديث ان نزاعه قاصر على السفر للزيارة دون أصل الزيارة وليس كذلك بل نزاعه في الزيارة أيضا لما سنذكره في الشبهتين الثانية والثالثة وهما كون الزيارة على هذا الوجه المخصوص بدعة، وكونها من تعظيم غير الله المفضي الى الشرك ، وما كان كذلك كان ممنوعاً ، وعلى هاتين الشبهتين بنى كلامه واصل الخيال الذي سرى اليه منهما لا غير وهو عام في الزيارة والسفر اليها •

ولهذا ادعى ان الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلها موضوعة ، واستدل بقوله (لا تتخذوا قبري عيداً) ، وبقوله : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، وبأن هذا كله محافظة على التوحيد ، وان اصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما سنذكر لك في نص كلامه ، وقد رأيت فتيا بخطه ونقلت منها ما أذكره قال فيها ومن خطه نقلت •

(فتوى لابن تيمية في منع زيارة القبور)

واما السفر للتعريف عند بعض القبور ، فهذا أعظم من ذلك فان هذا بدعة وشرك فان أصل السفر لزيارة القبور ليس مشروعاً ولا استحبه أحد من العلماء ، ولهذا لو نذر ذلك لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع بين الأئمة •

(ثم قال) : ولهذا لم يكن أحد من الصحابة والتابعين بعد أن فتحوا الشام ولا قبل ذلك يسافرون الى زيارة قبر الخليل عليه الصلاة والسلام ولا غيره من قبور الانبياء التي بالشام ، ولا زار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً من ذلك ليلة أسرى به ، والحديث

Marfat.com

الذي فيه هذا قبر أبيك ابراهيم فانزل فصلّ فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه ، كذب لا حقيقة له ، وأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين سكنوا الشام أو دخلوا اليه ولم يسكنوه مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وغيره لم يكونوا يزورون شيئاً من هذه البقاع والآثار المضافة الى الأنبياء •

(ثم قال) ولم يتخذ الصحابة شيئا من آثاره مسجداً ولا رمزاً غير ما بناه من المساجد ، ولم يكونوا يزورون غار حِراء ولا غار ثور •

(ثم قال) حتى ان قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لفظ بزيارته وانما صح عنه الصلاة عليه والسلام موافقة لقوله تعالى : (يا ايها الّذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) •

(ثم قال) ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يزار لا على قبر نبي ولا غير نبي فضلاً عن ان يسافر اليه لا بالحجاز ولا بالشام ولا اليمن ولا العراق ولا مصر ولا المشرق •

(ثم قال) : ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين : زيارة شرعية وزيارة بدعية ، فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له ان كان مؤمنا ، وتذكر الموت سواء كان الميت مؤمنا أم كافراً •

(وقال بعد ذلك) : فالزيارة لقبر المؤمن نبياً كان أو غير نبي من جنس الصلاة على جنازته يدعى له كما يدعى اذا صلى على جنازته ، وأما الزيارة البدعية فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الاشراك بالميت مثل طلب الحوائج منه أو به أو التمسح بقبره وتقبيله أو السجود له ونحو ذلك فهذا كله لم يأمر الله به ورسوله ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ولا كان أحد من السلف يفعله لا عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا غيره •

(ثم قال) ولم يكونوا يقسمون على الله تعالى بأحد من خلقه لا نبي ولا غيره ولا

Marfat.com

يسألون ميتاً ولا غائباً ولا يستغيثون بميت ولا غائب سواء كان نبياً أم غير نبي بل كان ضلالهم لا يسألون غير الله شيئا إ هـ ما أردت نقله من كلام ابن تيمية رحمه الله من خطه وأنا عارف بخطه •

(ابطال العلامة المحقق أبي الحسن السبكي لها)

قال : وهو يدل على ما ذكرناه من ان نزاعه في السفر والزيارة جميعاً غير أنه كلام مختبط في صدره ما يقتضى منع الزيارة مطلقا وفي آخره ما يقتضي أنها ان كانت للسلام عليه والدعاء له جازت ، وان كانت على النوع الآخر الذي ذكره لم تجز ، وبقي قسم لم يذكره وهو ان تكون للتبرك به من غير اشراك به ، فهذه ثلاثة أقسام :

اولها السلام والدعاء له وقد سلم جوازه وأنه شرعي ، ويلزمه ان يسلم جواز السفر له ، فان فرق في هذا القسم بين أصل الزيارة وبين السفر محتجاً بالحديث المذكور فقد سبق جوابه •

والقسم الثاني التبرك به والدعاء عنده للزائر ، وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية انه يلحقه بالقسم الثالث ولا دليل له على ذلك بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه • وان المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالانبياء والمرسلين ؟ ، ومن ادعى ان قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطئه فيه ، وفيه حط لرتبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى درجة من سواه من المسلمين ، وذلك كفر متيقن فان من حط رتبة النبي صلى الله عليه وسلم عما يجب له فقد كفر •

(فان قال) ان هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له ، (قلت) هذا جهل وسوء أدب وقد تقدم في اول الباب الخامس الكلام في ذلك ، ونحن نقطع بأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستحق من التعظيم اكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ، ولا يرتاب في ذلك من كان في قلبه شيء من الايمان •

Marfat.com

واما القسم الثالث وهو أن يقصد بالزيارة الاشراك بالله تعالى فنعوذ بالله منها وممن يفعلها ونحن لا نعتقد في أحد من المسلمين ان شاء الله تعالى ذلك، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) ، ودعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم مستجاب ، وقد أيس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب ، فهذا شيء لا نعتقده في أحد ممن يقصد زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واما التمسّح بالقبر وتقبيلهوالسجود عليه ونحو ذلك فانما يفعله بعض الجهال ومن فعل ذلك ينكر عليه فعله ذلك ويعلمآداب الزيارة ولا ينكر عليه أصل الزيارة ولا السفر اليها ، بل هو مع ما صدر منه من الجهل محمود على زيارته وسفره ، مذموم على جهله وبدعته ، وأما طلب الحوائج عند قبره صلى الله تعالى عليه وسلم فسنذكره في باب الاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

ولنتكلم على الشبهةالثانية والثالثة اللتين بنى ابن تيمية كلامه عليهما ، اما الشبهة الثانية وهي كون هذا ليس مشروعاً وانه من البدع التي لم يستحبها أحد من العلماء لا من الصحابة ولا من التابعين ومن بعدهم فقد قدمنا سفر بلال من الشام الى المدينة لقصد الزيارة ، وان عمر بن عبد العزيز كان يجهز البريد من الشام الى المدينة للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، وان ابن عمر كان يأتي قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيسلم عليه وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهم ، وكل ذلك يكذب دعوى ان الزيارة والسفر اليها بدعة ، ولو طولب ابن تيمية باثبات هذا النفي العام واقامة الدليل على صحته لم يجد اليه سبيلا ، فكيف يحل لذي علم أن يقدم على هذا الامر العظيم بمثل هذه الظنون التي مستنده فيها أنه لم يبلغه وينكر به ما أطبق عليه جميع المسلمين شرقاً وغرباً في سائر الأعصار مما هو محسوس خلفاً عن خلف ويجعله من البدع •

فان قال ان الذي كان يفعله السلف من النوع الأول وهو السلام والدعاء له دون النوع الثاني والثالث ، قلنا اما الثالث فلا استرواح اليه لأنا نبعد كل مسلم منه وأما النوع الأول والثاني فدعوى كون السلف كلهم كانوا مطبقين على النوع الأول وأنه شرعيّ ، وكون الخلف كلهم مطبقين على الثاني وأنه بدعة من التخرص الذي لا يقدر على اثباته فان المقاصد الباطنة لا يطلع عليها الا الله تعالى ، فمن اين له ان جميع السلف لم يكن أحد منهم يقصد التبرك أو ان جميع الخلف لا يقصدون إلاّ ذلك ؟ ، ثم انه قال فيما سنحكيه من كلامه أن احداً لا يسافر اليها الا لذلك ، يعني لاعتقاده انها قربة ، وأنه

Marfat.com

متى كان كذلك كان حراما ، ولا شك ان بلالاً وغيره من السلف وان سلمنا أنهم ما قصدوا الا السلام فانهم يعتقدون ان ذلك قربة •

فلو شعر ابن تيمية ان بلالاً وغيره من السلف فعل ذلك لم ينطق بما قال ولكنه قام عنده خيال ان هذه الزيارة فيها نوع من الشرك ولم يستحضر أن أحداً فعلها من السلف فقال ما قال وغلط فيما حصل له من الخيال وفي عدم الاستحضار ، ودعواه انه لو نذر ذلك لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع بين الأئمة نحن نطالبه بنقل هذا عن الأئمة ، وتحقيق انه لا نزاع بينهم فيه ، ثم بتقرير كون ذلك عاماً في قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره ليحصل مقصوده في هذه المسألة التي تصدينا لها ، ومتى لم تحصل هذه الأمور الثلاثة لا يحصل مقصوده ، وليس الى حصولها سبيل ، ونحن قد نقلنا أن زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تلزم بالنذر وعلى مقتضاه يلزم السفر اليها أيضاً بالنذر على الضد مما قال •

واما قوله إن الصحابة لما فتحوا الشام لم يكونوا يسافرون الى زيارة قبر الخليل وغيره من قبور الأنبياء التي بالشام فلعله لأنه لم يثبت عندهم موضعها فانه ليس لنا قبر مقطوع به الا قبره صلى الله تعالى عليه وسلم •

واما قوله ولا زار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً من ذلك ليلة اسرى به فلعله لاشتغاله بما هو أهم ، وقد تحققنا زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم القبور بالمدينة وغيرها في غير تلك الليلة ، فليس ترك زيارته في تلك الليلة دليلا على ان الزيارة ليست بسنة •

فالتشاغل بالاستدلال بذلك تشاغل بما لا يجدي ، واما قوله ان الحديث الذي فيه هذا قبر أبيك ابراهيم فانزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل ، كذب لا حقيقة له ، فصدق فيما قال •

ثم أفاض في طرق هذا الحديث ثم قال : وانما تكلمنا على هذا الحديث للتنبيه على الفائدة فيه ، وليس بنا ضرورة الى اثباته أو نفيه في تحقيق المقصود ، ولما سبق ان عدم الزيارة في وقت خاص لا يدل على عدم الاستحباب ، وقوله ان الصحابة لم يكونوا يزورون شيئاً من هذه البقاع والآثار ، فكلامنا انما هو في زيارة ساكن البقعة لا في زيارة

Marfat.com

البقعة وقد تقدم التنبيه على الفرق بينهما ثم ان هذه شهادة على نفي يصعب اثباتها وان كنا مستغنين عن منعها وتسليمها •

وقوله حتى ان قبر النبي صلى الله تعالىعليه وسلم هذاهو المقصود في هذه المسألة ، وقوله لم يثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لفظ بزيارته ، قد تقدم ابطال هذه الدعوى وتحقيق ثبوت الحديث فيها ، وقوله ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يزار على قبر نبي ولا غير نبي فضلاً عن ان يسافر اليه الى آخر كلامه ان اراد ما يسمى مشهداً ، فموضع قبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يسمى مشهداً وكلامنا انما هو فيه ، وان اراد انه لم يكن في ذلك الزمان زيارة لقبر نبيّ من الانبياء فهذا باطل لما قدمناه ، وبقية كلامه وتقسيمه الزيارة الى شرعية وبدعية سبق الكلام عليه ، وفيه اعتراف بمطلق الزيارة ويلزمه الاعتراف بالسفر اليها ، ولا يمنع من ذلك كون نوع منها يقترن به من بعض الجهال ما هو منهي عنه ، فمن ادعى ان الزيارة من غير انضمام شيء آخر اليها بدعة فقد كذب وجهل ، ومن حرمها فقد حرم ما احله الله تعالى ، ومن اطلق التحريم عليها لأن بعض أنواعها محرم او يقترن به محرم فهو جاهل •

وهكذا من امتنع من اطلاق الاستحباب على الزيارة من حيث هي لوقوع بعض أنواعها من بعض الناس على وجه التحريم فهو جاهل أيضا فان الصلاة قد تقع على وجه منهي عنه كالصلاة في الدار المغصوبة وما أشبه ذلك ولا يمنع ذلك من اطلاق القول بان الصلاة قربة أو واجبة ، فهكذا أيضاً الزيارة من حيث هي قربة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : زوروا القبور وان كان بعض أنواعها يقع على وجه منهى عنه ، فيكون ذلك الوجه منها منهياً عنه وحده ، والحكم بالابتداع على هذا النوع لا يضرنا ، ونحن نسلمه ونمنع من يفعله ، والحكم بالابتداع على المطلق عين الابتداع •

واما الشبهة الثالثة ، وهي ان من اصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى : (وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تَذرُنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوقَ ونسراً) ، قالوا : كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوّروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها ، وتخيل ابن تيمية ان منع الزيارة والسفر اليها من باب المحافظة على التوحيدوان فعلها مما

Marfat.com

يؤدي الى الشرك ، وهذا تخيل باطل ، لأن اتخاذ القبور مساجد والعكوف عليها وتصوير الصور فيها هو المؤدي الى الشرك ، وهو الممنوع منه ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة، كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لعنَ اللهُ اليهودَ والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، (يحذر ما صنعوا) ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخبر بكنيسة بأرض الحبشة : (اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله) •

واما الزيارة والدعاء والسلام فلا تؤدي الى ذلك ، ولذلك شرعه الله على لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما ثبت من الأحاديث المتقدمة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قولاً وفعلاً وتواتر ذلك واجماعَ الامة عليه ، فلو كانت زيارة القبور من التعظيم المؤدي الى الشرك كالتصوير ونحوه لم يشرعها الله تعالى في حق أحد من الصالحين ، ولا فعلها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة في حق شهداء أحد والبقيع وغيرهم ، وليس لنا أن نحرم الاّ ما حرمه الله وان تخيلنا انه يفضي الى محذور ، ولا نبيح الا ما أباحه الله وان تخيلنا انه لا يفضي الى محذور ، ولما أباح الزيارة وشرعها وسنها رسوله وحظّر اتخاذ القبور مساجد وتصوير الصور عليها ، قلنا باباحة الزيارة ومشروعيتها وتحريم اتخاذ القبور مساجد والتصوير فمن قاس الزيارة على التصوير في التحريم كان مخالفاً للنص •

قياس ابن تيمية زيارة القبور في التحريم

على التصوير فاسد

كما ان شخصاً لو قال باباحة اتخاذ القبور مساجد اذا لم يفض الى الشرك كان مخالفاً للنص أيضا ، والوسائل التي لا يتحقق بها المقصود ليس لنا أن نجري حكم المقصود عليها الا بنص من الشارع ، فان هذا من باب سد الذرائع الذي لم يقم عليه دليل ، فالمفضي الى الشرك حرام بلا إشكال ، واما الامور التي قد تؤدي اليه وقد لا تؤدي فما حرمه الشرع منها كان حراما وما لم يحرمه كان مباحاً لعدم استلزامه للمحذور ، وهذه الامور التي نحن فيها من هذا القبيل ، حرم الشرع منها اتخاذ القبور مساجد

Marfat.com

والتصوير والمكوف عليها ، وأباح الزيارة والسلام والدعاء ، وكل عاقل يعلم الفرق بينهما ويتحقق ان النوع الثاني اذا فعل مع المحافظة على آداب الشريعة لا يؤدي الى محذور ، وان القائل بمنع ذلك جملة سداً للذريعة متقول على الله وعلى رسوله ، منتقص ما ثبت لذلك المزور من حق الزيارة •

(واعلم) أن ههنا أمرين لابد منهما (أحدهما) وجوب تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق ، (والثاني) افراد الربوبية ، واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه ، فمن اعتقد في أحد من الخلق مشاركة الباري تعالى في ذلك فقد أشرك وجنى على جانب الربوبية فيما يجب لها وعلى الرسول فيما ادى الى الامة من حقها ، ومن قصّر بالرسول عن شيء من رتبته فقد جنى عليه فيما يجب له وعلى الله تعالى بمخالفته فيما أوجب لرسوله ، ومن بالغ في تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالباري تعالى فقد اصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً ، وذلك هو العدل الذي لا افراط فيه ولا تفريط ، ومن المعلوم ان الزيارة بقصد التبرك والتعظيم لا تنتهي في التعظيم الى درجة الربوبية ، ولا تزيد على ما نص عليه في القرآن والسنة وفعل الصحابة من تعظيمه في حياته وبعد وفاته ، وكيف يتخيل امتناعها إنا لله وانا اليه راجعون •

وهذا الرجل قد تخيّل ان الناس بزيارتهم متعرضون للاشراك بالله تعالى ، وبنى كلامه كله على ذلك وكل دليل ورد عليه يصرفه الى غير هذا الوجه وكل شبهة عرضت له يستعين بها على ذلك ، فهذا داء لا دواء له إلاّ بأن يلهمه الله الحق ، أيرى هو لما زار قصد ذلك وأشرك مع الله غيره ؟ •

(الفصل الثاني في تتبع كلماته)

وقد سبق تتبع ما نقلته من خطه في فتيا لم يسأل فيها عن الزيارة قصداً ، بل جاء ذكرها تبعاً للكلام في المشاهد والذي اتصل عنه بالدولة فتيا نقلت من خطه :

Marfat.com

فتيا ابن تيمية التي اتصلت بيد السلطان في منعه

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنعه شد الرحال اليها

بسم الله الرحمن الرحيم

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين نفع الله بهم المسلمين في رجل نوى زيارة قبر نبي من الانبياء مثل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا ؟ وقد روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : (من حج ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني بعد موتي كمن زارني في حياتي) •

وقد روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : (لا تشد الرحال الا الى المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) أفتونا مأجورين •

ج : الحمد لله •• أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين :

(أحدهما) وهو قول متقدمي العلمـاء من الـذين لا يجوّزون القصر في سفر المعصية كأبي عبد الله بن بطة وأبي الوفاء بن عقيل وطوائف كثيرين من العلماء المتقدمين أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر لأنه سفر منهي عنـه ومـذهب مالك والشافعي وأحمد أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر فيه ••

(والقول الثاني) : انه يقصر فيه وهذا يقوله من يجوّز القصر في السفر المحرم كأبي حنيفة رحمه الله تعالى ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوّز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين كأبي حامد الغزالي وأبي الحسـين بن عبدوس الحراني وأبي محمد بن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون ان هذا السفر ليس بمحرم لعموم قوله : (زوروا القبور) ، وقد يحتج بعض مـن لا يعرف الأحاديث

Marfat.com

بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله : (من زارني بعد مماتي فكانما زارني في حياتي) = رواه الدارقطني وابن ماجه = ٭

واما ما يذكره بعض الناس من قوله : (من حج ولم يزرني فقد جفاني) ، فهذا لم يروه أحد من العلماء وهو مثل قوله : (من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة) ، فان هذا أيضا باطل باتفاق العلماء لم يروه أحد ولم يحتج به واحد ، وانما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني ، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقبور الانبياء بأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يزور مسجد قباء ، وأجاب عن حديث : (لا تشد الرحال) بان ذلك محمول على نفي الاستحباب ٭

وأما الأولون فانهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : (لا تشد الرحال إلاّ الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) ، وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يأتي المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم او المسجد الأقصى لصلاة او اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي واحمد ، ولم يجب عند أبي حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع ، وأما الجمهور فيوجبون الوفاء بكل طاعة لما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (من نذر ان يطيع الله تعالى فليطعه ومن نذر أن يعصي الله تعالى فلا يعصه) ، والسفر الى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به ، وأما الى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب احد من العلماء السفر اليه إذا نذره حتى نص العلماء على أنه لا يسافر الى مسجد قباء لانه ليس من الثلاثة ، مع ان مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل = كما في الحديث الصحيح = : (من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلاّ الصلاة فيه كان كعمرة)٭

قالوا : ولأن السفر الى زيارة قبور الانبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من

Marfat.com

الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولاجماع الأمّة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في (ابانته الصغرى) من البدع المخالفة للسنة والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد فان زيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل وهو يدلهم ان السفر اليه لا يجب بالنذر ، وقوله : ان قوله لا تشد الرحال محمول على نفي الاستحباب يحتمل وجهين :

أحدهما : ان هذا تسليم منه ان هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا طاعة ولا هو من الحسنات ، فاذا من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين انها قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاده انها طاعة كان ذلك محرماً باجماع المسلمين فصار التحريم من الأمر المقطوع به ، ومعلوم أن أحداً لا يسافر اليها الا لذلك واما اذا قدر ان الرجل يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز • وليس من هذا الباب •

الوجه الثاني : أن النفي يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها بل مالك إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره أن يقول زرت قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم أو مشروعاً أو مأثوراً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه عالم المدينة •

والامام احمد أعلم الناس في زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه الا حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (ما من رجل يسلّم عليّ الا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السّلام) ، وعلى هذا اعتمد ابو داود في سننه وكذلك مالك في الموطأ ، روي عن عبد الله بن عمر انه كان اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله • البسلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف •

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : (لا تتخذوا قبري

Marfat.com

عيداً وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم) ، وفي سنن سعيد بن منصور ان عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يختلف الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو عنده ، فقال : يا هذا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) ، فما أنت ورجل بالأندلس الا سواء .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذه مسجداً فيتخذ قبره وثناً .

وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمان الوليد بن عبد الملك لا يدخل أحد الى عنده لا لصلاة هنالك ولا لمسح بالقبر ولا دعاء هناك بل هذا جميعه انما يفعلونه في المسجد ، وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر واما وقت السلام عليه فقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى : يستقبل القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر .

وقال اكثر الأئمة : بل يستقبل القبر عند السلام خاصة ، ولم يقل أحد من الأئمة انه يستقبل القبر عند الدعاء الا في حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها ، واتفق الأئمة على انه لا يتمسح بقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يقبله ، وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد = كما قال طائفة من السلف = في قوله تعالى : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) ، قالوا هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها . وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ، وذكره ابن جرير الطبري وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف وذكره وثيمة وغيره في قصص الأنبياء من عدة طرق .

وقد بسط الكلام على اصول هذه المسائل في غير هذا ، وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم الذين

Marfat.com

يطلون المساجد ويعظمون المشاهد ، يدعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه يعبد وحده لا شريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها ما لم ينزل الله به سلطاناً فان الكتاب والسنة انما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد كما قال الله تعالى : (قل امرَ ربي بالقسط وأقيموا وجوهكُمْ عندَ كُلّ مسجد وادعوهُ مخلصينَ له الدين) •

وقال الله تعالى : (إنّما يَعْمُرُ مساجدَ اللهِ منْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقام الصلاة : الآية) ، وقال الله تعالى : (وأن المساجدَ للهِ فلا تدعوا مع الله أحداً) ، وقال الله تعالى : (ولا تباشِروهُنّ وأنتم عاكفونَ في المساجد) ، وقال الله تعالى : (ومن أظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مساجِدَ اللهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُهُ وسعى في خَرابها الآية)•

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول : (انّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك) والله سبحانه وتعالى أعلم ، كتبه احمد بن تيمية •

قال الامام المحقق : هذا صورة خطه من أول الجواب الى هنا •

(ابطال العلامة المحقق السبكي لجل هذه الفتوى)

قال ــ قلت اما قوله : (من سافر لمجرّد زيارة قبور الأنبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين) ، فيرد عليه فيه أسئلة :

(احدها) ان زيارة قبور الأنبياء والصالحين اما أن تكون عنده قربة أو مباحة أو معصية ، فان كانت معصية فلا حاجة الى قوله (مجرد) فانالقولين في سفر المعصية سواء ، تجرد قصد المعصية أم انضم اليه قصد آخر ، وان كانت قربة لم يجر فيها القولان بل يقصر بلا خلاف ، وان كانت مباحة فالمسافر لذلك له حالتان احداهما ان يسافر معتقداً أن ذلك من المباحات المستوية الطرفين فيجوز القصر أيضا بلا خلاف ولا اشكال في ذلك كالسفر لسائر الامور المباحة ، والثانية : أن يسافر معتقداً أن ذلك قربة وطاعة وهذا سيأتي الكلام فيه وعلى تقدير أن يسلم له ما يقول يكون كلامه هنا مطلقا في موضع

Marfat.com

التفصيل فهو على التقديرين الأولين خطأ صريح وعلى التقدير الثالث خطأ بالاطلاق في موضع التفصيل •

(الثاني) انه بنى كلامه في ذلك على أن هذا السفر مختلف في تحريمه ، وقد قدمنا انكار هذا الخلاف وانه لم يتحقق صحته الا ما وقع في كلام ابن عقيل ، وقد قدمنا الكلام عليه وعلى تقدير صحته وعدم تأويله لم يتعرض فيه لقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يجوز أن ينقل عنه فيه بخصوصه شيء مع إطباق الناس على السفر اليه •

وابن تيمية نقل المنع من القصر فيه عن ابن بطة وابن عقيل وطوائف كثيرين من العلماء المتقدمين وهو مطلوب بتحقيق هذا النقل وتبيين هؤلاء الطوائف الكثيرين من المتقدمين •

(الثالث) جعله المنع من القصر قول متقدمي العلماء كابن بطة وابن عقيل فجعل ابن عقيل من المتقدمين وجعل القول بجواز القصر قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد كالغزالي وغيره والغزالي في طبقة ابن عقيل بل تأخرت وفاته عنه فان وفاة الغزالي في سنة خمس وخمسمائة ووفاة ابن عقيل في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة فكيف يجعل ابن عقيل من المتقدمين والغزالي من المتأخرين ، وليست طبقتهما بخافية عليه فان كان مراده بجعله ابن عقيل من المتقدمين ان يُنَفَّقَ قوله عند العوام لاختياره إياه ، وبجعله الغزالي من المتأخرين أن يُضَعَّف قوله عند العوام فليس هذا صنيع أهل العلم •

(وقوله) إن (من زارني بعد مماتي فكانما زارني في حياتي) = رواه ابن ماجه = ليس كذلك لم أره في سنن ابن ماجه (وقوله) : (من حج ولم يزرني فقد جفاني) لم يروه أحد من العلماء ليس بصحيح وقد قدمنا من رواه وان كان ضعيفاً •

(وقوله) (لو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة) ، ليس بصحيح فان في مذهب الشافعي وجهين مشهورين فيما اذا نذر الاعتكاف في مسجد معين غير المساجد الثلاثة هل يتعين كما تتعين المساجد الثلاثة أولا ؟ •

Marfat.com

(قوله) (حتى نص العلماء على انه لا يسافر الى مسجد قباء لانه ليس من الثلاثة) ، ليس كذلك عن العلماء كلهم ، فان المنقول عن الليث بن سعد انه متى نذر مسجداً لزمه من المساجد الثلاثة وغيرها ، والمنقول عن بعض المالكية انه يجوز اعمال المطي لغير الناذر مطلقا ، وحمل على ذلك اتيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسجد قباء فانه كان بغير نذر ، فهذان المذهبان يردّان قوله إن العلماء نصوا على انه لا يسافر الى مسجد قباء •

(وقوله) (قالوا ولأن السفر الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولاجماع الامة) ، هذا من البُهْتِ الصريح وقد قدمنا من فعل ذلك من الصحابة والتابعين ومن استحبه من علماء المسلمين وأئمتهم فجحد ذلك مباهتة •

(ثم قوله) (قالوا) : وجعله ذلك على لسان غيره ان كان مراده التخلص من تبعته عند المخالفة فليس ذلك من دأب العلماء ثم هو مطلوب بنقل هذا القول برمته عن المتقدمين الذين نسبه إليهم أو عن بعضهم ، ثم نسبة ذلك الى غيره لا تُخَلِّصه لأنه انما حكاه حكاية من يرتضيه وينتصر له ويفتي به العوام ويغريهم على اعتقاده ولا يفرق العامي الذي يسمع هذه الفتيا بين أن يذكره عن نفسه أو يحكيه عن غيره •

(وقوله) : وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في إبانته الصغرى ، قلنا قد ذكرنا عن ابن بطة في الابانة ما يخالف هذا في حق قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت من يذكر أن لابن بطة إبانتين وان الذي نقله ابن تيمية من الصغرى والذي نقلناه من الكبرى ، فان صح ذلك وصح ما نقله ابن بطة في الصغرى فيحمل على غير قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفيقاً بين الكلامين ، وإن قال ابن بطة خلاف ذلك لم يلتفت اليه ، قال المحقق : وحكى الخطيب في « تاريخ بغداد » كلام المحدثين في ابن بطة من جهة دعواه سماع ما لم يسمع ، وحكى مع ذلك أيضا أنه كان شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة فالله يسلمنا من اثمه وانما أردنا أن نُبيّن حاله ليعلم الناظر انه على تقدير صحة النقل عنه ليس ممن يعد في كلامه الخطأ •

Marfat.com

(وقوله) ان قول أبي محمد المقدسي ان قوله : (لا تشد الرحال) محمول على نفي الاستحباب : يحتمل وجهين :

احدهما : ان هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا طاعة ولا هو من الحسنات ، فاذا من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين انها قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع ، اعلم ان هذا الكلام في غاية الايهام والفساد ، أما الايهام فلأن بعض من يراه يتوهم انه استنتج مما سبق انعقاد الاجماع على أن ذلك ليس بقربة ، ونحن قد قدمنا عن الليث بن سعد وبعض المالكية ما يقتضي أن السفر الى غير المساجد الثلاثة قربة فبطل دعوى الاجماع ، ومقصود ابن تيمية الزام أبي محمد المقدسي على قوله انّ (لا تشد الرحال) محمول على نفي الاستحباب ، وعلى تقدير ان هذا تسليم منه ، ان هذا السفر ليس بعمل صالح ، غاية ما يلزم من هذا ان هذا السفر ليس بقربة ، وان من اعتقد أنه قربة فقد خالف أبا محمد وأين ذلك من مخالفة الاجماع ، واما فساده فلأن أبا محمد انما تكلم في جواز القصر ومقصوده اثبات الاباحة فانها كافية فيه ، فنفي توهم التحريم بحمل الحديث على نفي الفضيلة اي لا يستحب شد الرحال الى مكان الا الى الثلاثة ، ومع هذا لابد فيه من تأويل لأن السفر مستحب لطلب العلم وغيره الى غيرها ، فالمقصود لا يستحب اليها من حيث هي وقد يكون هناك أمر آخر يقتضي الاستحباب أو الوجوب ولا مانع أن يكون قصد زيارة شخص مخصوص او أشخاص مما يقتضي الاستحباب ولم يتعرض أبو محمد لذلك لانه لم يتكلم فيه وانما تكلم في جواز القصر فاقتصر على ما يكفي فيه وهو اثبات الاباحة .

(وقوله) واذا سافر لاعتقاد أنها طاعة كان ذلك محرماً باجماع المسلمين فصار التحريم من الأمر المقطوع به ، هذا أيضاً موهم وفاسد اما ايهامه فلأن كثيراً ممن يسمعه يظن ان هذا كلام مبتدأ ادعى فيه انعقاد الاجماع على التحريم وان ذلك مقطوع به ، وكأن ابن تيمية أراد ذلك وجعله معطوفاً على الزام الشيخ أبي محمد حتى اذا حوقق فيه يخلص من دركه بجعله معطوفاً ، وليس هذا دأب من يبغي الارشاد بل من يبغي الفساد ، واما فساده فلأنا لو سلمنا ان السفر ليس بطاعة بالاجماع فسافر شخص معتقداً انه طاعة كيف يكون سفره محرماً باجماع المسلمين أو على قول عالم من علماء المسلمين

Marfat.com

فان من فعل مباحاً معتقداً أنه قربة لا يأثم ولا يوصف ذلك بكونه محرما بل ان كان اعتقاده ذلك لما ظنه دليلاً وليس بدليل ، وقد بذل وسعه بذلك كان مثاباً عليه بمقتضى ظنه والا كان جهلاً ولا اثم عليه فيه ولا أجر وفعله موصوف بالاباحة على حاله ، فمن أين يأتي وصفه بالتحريم وانما يأتي هذا الكلام في المباح اذا فعله على وجه العبادة مع اعتقاده انه ليس بعبادة فهذا يأثم به ويكون حراماً لأنه تقرب الى الله تعالى بما ليس بقربة عند الله تعالى ولا في ظنه •

ومن هنا نشأ الغلط في هذه المسألة وهكذا سائر البدع ، ومن ابتدع عبادة فعليه إثم ابتداعه لأنه أدخل في الدين ما ليس منه واثم فعله لأنه تقرب بما يعتقد انه ليس من الدين ، واما من قلده من العوام فان كان ذلك مما يسوغ فيه التقليد كالفروع وفعله معتقداً انه عبادة شرعية فلا اثم عليه ، وان كان مما لا يسوغ فيه التقليد كاصول الدين فعليه الاثم ، ومسألتنا هذه من الفروع فلو فرضنا انه لم يقل أحد باستحباب السفر وفعله شخص على جهة الاستحباب معتقداً ذلك لشبهة عرضت له لم يحرم ولم يأثم فكيف وكلُّ الناس قائلون باستحبابه •

(قوله) (ومعلوم أن أحداً لا يسافر اليها الا لذلك) هذا يقتضي ان كلامه ليس في أمر مفروض بل في الواقع الذي عليه الناس وان الناس كلهم انما يسافرون لاعتقادهم انها طاعة والأمر كذلك ، ويقتضي = على زعمه = ان سفر جميعهم محرم باجماع المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون ، أيكون جميع المسلمين في سائر الأعصار من سائر أقطار الأرض مرتكبين لأمر محرم مجمعين عليه ؟ ••

فهذا الكلام من ابن تيمية يقتضي تضليل الناس كلهم القاصدين لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعصيتهم وهذه عثرة لا تقال ومصيبة عظيمة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

(وقوله) : (واما اذا قدر ان الرجل يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز وليس من هذا الباب) ، مفهوم هذا الكلام ان غرض الزيارة ليس بمباح •

(وقوله) : (الوجه الثاني ان النفي يقتضي النهي والنهي يقتضي التحريم) ، ظاهر صدر كلامه ان كلام أبي محمد يحتمل وجهين هذا ثانيهما ، وانما يتجه هذا

Marfat.com

الوجه الثاني على سبيل الرد لقول أبي محمد ، يعني ان حمله على نفي الاستحباب خلاف الظاهر لأنه نفي ، والنفي يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، وجواب هذا بالدليل المانع من حمله على التحريم وتعين المصير الى المجاز ، على ان هذه العبارة فاسدة لأن النفي لا يقتضي النهي وانما يستعمل فيه على سبيل المجاز ، نعم ! قد يقال بأن النهي يقتضي النفي على العكس مما قال ، اما كون النفي يقتضي النهي فلا يقول به أحد وانما مراده أنه نفي بمعنى النهي ، واذا عرف هذا فلأبي محمد أن يقول لا شك ان حقيقة النفي خبر لا يقتضي تحريماً ولا كراهة ، والنهي له معنيان : احدهما هو فيه حقيقة وهو التحريم والآخر هو فيه مجاز وهو الكراهة ، فاذا صرف النفي عن حقيقته الخبرية الى معنى النهي احتمل ان يستعمل في التحريم او الكراهة وايا ما كان فاستعماله فيه مجاز لأن الخبر غير موضوع له ، فان رجح استعماله في التحريم لبعض المرجحات كان ذلك من باب ترجيح بعض المجازات على بعض ، وقد يكون ذلك الترجيح معارضاً بترجيح آخر فلأبي محمد أن يمنع كون اللفظ المذكور حقيقة في التحريم أو ظاهراً فيه ، فان الخبر ليس مستعملاً في لفظ النهي بل في معناه ، ومعناه منقسم الى الحقيقي والمجازي ، فان قيل النهي النفساني شيء واحد وهو طلب الترك الجازم المانع من النقيض وما سواه ليس بنهي حقيقة فاذا ثبت أن المراد بالخبر النهي ثبت التحريم ، قلنا حينئذ يمنع ان المراد بالخبر النهي .

(قوله) : (ان ما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها) ، قد بيّنّا بطلان هذه الدعوى في اول هذا الكتاب ، وما روي عن مالك من كراهة قوله : (زرت قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بيّنّا مراده في الباب الرابع ، (وقد اختار المحقق فيه ما قاله أبو عمران وأبو الوليد بن رشد المالكيان، قالا : انما كره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وزيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم متأكدة ينبغي أن لا تذكر فيه كما تذكر في زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم ومن شاء ترك ، والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف وأعلى من أن يسمى أنه يزار) .

(وقوله) : (ولو كان هذا اللفظ مشروعاً عندهم الخ ...) كلام في غير محل

Marfat.com

النزاع ، لأن النزاع ليس في اللفظ ولم يسأل عنه وانما هو في المعنى ، وما ذكره عن احمد وأبي داود ومالك في الموطأ فكله حجة عليه لا له لأن المقصود معنى الزيارة وهو حاصل من تلك الآثار •

واما حديث : (لا تتخذوا قبري عيداً) فقد تقدم الكلام عليه ، وحديث : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، لا يدل على مدعاه لم تتخذه مسجداً فان أراد قياس الزيارة عليه فقد سبق الكلام في ذلك ، وهو انه قاس المنصوص عليه المأمور به وهو الزيارة على اتخاذ القبور مساجد وقياس النص على النص باطل باجماع العلماء فهو قياس فاسد •

(وقوله) : (فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذه مسجداً فيتخذ قبره وثناً) ، هذا ليس بصحيح وانما دفنوه في حجرة عائشة لما روي لهم : (ان الأنبياء يدفنون حيث يقبضون) بعد اختلافهم في أين يدفن فلما روي لهم الحديث المذكور دفنوه هناك ، وهذا من الامور المشهورة التي يعرفها كل احد ولم يقل أحد أنهم دفنوه هناك للغرض الذي ذكره •

(قوله) : (وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمان الوليد بن عبد الملك لا يدخل أحد الى عنده لا لصلاة هنالك ولا لمسح بالقبر ولا دعاء هناك) • فنقول ان هذا لا يدل على مقصوده ونحن نقول إن من أدب الزيارة ذلك وننهى عن التمسح بالقبر والصلاة عنده ، على أن تلك ليس مما قام الاجماع عليه فقد روى أبو الحسين يحيى بن أبي الحسن بن جعفر بن عبيد الله الحسيني في كتابه « أخبار المدينة » ، قال : حدثني عمر بن خالد حدثنا أبو نباته عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : أقبل مروان بن الحكم فاذا رجل ملتزم القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال هل تدري ماذا تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم اني لم آت الحجر ولم آت اللبن انما جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا تبكوا على الدين اذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير أهله ، قال المطلب وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، قلت وأبو نباتة يونس بن يحيى ومن فوقه ثقات وعمر بن

Marfat.com

خالد لم أعرفه فان صح هذا الاسناد لم يكره مس جدار القبر وانما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك •

(قوله) : (وكان السلف من الصحابة والتابعين اذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر) ، هذا فيه اعتراف بدعاء السلف عند السلام ، وتركهم الدخول الى الحجرة مبالغة في الأدب ، وتركهم استقبال القبر عند الدعاء = ان صح = لا يدل على انكار الزيارة ولا على انكار السفر لها •

(قوله) : (واما وقت السلام عليه فقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى : يستقبل القبلة ايضا) ، وهو كذلك ذكره ابو الليث السمرقندي في الفتاوى عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وقال السروجي الحنفي يقف عندنا مستقبل القبلة ، قال الكرماني عن أصحاب الشافعي وغيره يقف وظهره الى القبلة ووجهه الى الحظيرة وهو قول ابن حنبل ، واستدلت الحنفية بأن ذلك جمع بين عبادتين ، وقول اكثر العلماء استقبال القبلة عند السلام وهو الأحسن والأدب فان الميت يعامل معاملة الحي والحي يسلم عليه مستقبلاً فكذلك الميت ، وهذا لا ينبغي ان يتردد فيه •

(وقوله) : (وان اكثر العلماء قالوا يستقبله عند السلام خاصة) التقييد بقوله خاصة يطلب بنقله بل مقتضى كلام اكثر العلماء من الشافعية والمالكية والحنابلةالاستقبال عند السلام والدعاء ، ونقله استقبال القبلة في السلام عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى ليس في المشهور من كتب الحنفية بل غالب كتبهم ساكتة عن ذلك ، وقد قدمنا عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، انه قال جاء أيوب السختياني فدنا من قبر النبي صلى الله تعالى عليهوسلم فاستدبر القبلة وأقبل بوجهه الى القبر ، وقال ابراهيم الحربي في مناسكه تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه = يعني القبر = ذكره الآجري عنه في كتاب الشريعة وذكر السلام والدعاء •

(قوله) : (ولم يقل أحد من الأئمة انه يستقبل القبر عند الدعاء الا في حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها) إنكاره ذلك عن أحد من الأئمة باطل بما قدمته عن أبي عبد الله السامري الحنبلي صاحب كتاب المستوعب في مذهب أحمد أنه قال : يجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره وذكر كيفية

Marfat.com

السلام والدعاء الى آخره ، وظاهر ذلك انه يستقبل القبر في السلام والدعاء جميعاً .

وهكذا أصحابنا وغيرهم اطلاق كلامهم يقتضي انه لا فرق في استقبال القبر بين حالتي السلام والدعاء ، وكذا ما قدمناه الآن عن ابراهيم الحربي وقد صرح اصحابنا بأنه يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويبعد من رأس القبر نحو أربع أذرع فيسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يتأخر صوب يمينه فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه ، ثم يتأخر أيضا فيسلم على عمر رضي الله عنه ثم يرجع الى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله تعالىعليه وسلم ، ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به الى ربه سبحانه وتعالى ، ويقول حكاية العتبي ثم يتقدم الى رأس القبر فيقف بين القبر والاسطوانة التي هناك ويستقبل القبلة ويحمد الله تعالى ويمجده ويدعو لنفسه ولوالديه ومن شاء بما أحب .

وحاصله ان استقبال القبلة في الدعاء حسن واستقبال القبر أيضا حسن ، لا سيما حالة الاستشفاع به ومخاطبته ، ولا أعتقد أن أحداً من العلماء كره ذلك ومن ادعىذلك فليثبته ، وبعد هذا قال المحقق إن الحكاية التي زعم ابن تيمية انها مكذوبة على مالك وان مذهبه بخلافها ، ذكرها القاضي عياض في الشفاء في الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعقبها بانكار ولا قال ان مذهبه بخلافها ، بل قال في الباب الرابع في فصل في حكم زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم قال مالك في رواية ابن وهب : اذا سلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا ، يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده ، فهذا نص عن مالك من طريق أجل أصحابه وهو عبد الله بن وهب أحد الأئمة الأعلام صريح في انه يستقبل عند الدعاء القبر لا القبلة .

وذكر القاضي عياض انه قال في المبسوط لا أرى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي ، قلت فالاختلاف بين المبسوط ورواية ابن وهب في كونه يقف للدعاء أولا وليس في الاستقبال وقد قدمنا عن كثير من كتب المالكية انه يقف ويدعو ولم نر أحداً منهم قال بانه اذا وقف عند القبر يستدبره ويدعو فكيف يحل لذي علم ان يدعي ان مذهب مالك بل مذهب جميع العلماء بخلاف الحكاية المذكورة ويجعل ذلك وسيلة

Marfat.com

الى تكذيبها وتكذيب ناقليها بمجرد الوهم والخيال من غير دليل الا مجرد شيء في نفسه، وقد ذكر القاضي عياض اسنادها وهو إسناد جيد ، وتكلم المحقق على رجال اسنادها واحداً واحداً ، ثم قال : فانظر الى هذه الحكاية وثقة رواتها وموافقتها لما رواه ابن وهب عن مالك ، وحسبك ابن وهب ، فقد قيل كان الناس بالمدينة يختلفون في الشيء عن مالك فينتظرون قدوم ابن وهب حتى يسألوه عنه ولنا ههنا طرق :

(إحداها) الأخذ برواية ابن وهب فقط .

(الثانية) الاعتراف بالروايتين وان هذا ليس من الاختلاف في حلال وحرام ولا في مكروه فان استقبال القبلة حسن واستقبال القبر حسن إ هـ .

قلت : قال الزرقاني في شرح المواهب : إذا سلكنا مسلك الترجيح على طريقة المحدثين جزمنا بتقديم رواية ابن وهب لاتصالها ومذهب المالكية عليها ، على روايةالقاضي اسماعيل في مبسوطه لأنه لم يدرك مالكا فهي منقطعة إ هـ .

قال المحقق :

(الثالثة) لو ثبت له ما زعمه من استقبال القبلة خاصة وعدم استقبال القبر عند الدعاء فأي شيء يلزم من ذلك وهل لهذا مدخل في الزيارة ؟ ، وقد طالعت عدة كتب من كتب المالكية فلم أر فيها عن أحد المنع من استقبال القبر في الدعاء ولا كراهة ذلك ولا أنه خلاف الأولى ، والذي ادعى ابن تيمية انه مذهب مالك ومذهب جميع العلماء في انه اذا سلم مستقبل القبر وأراد الدعاء استدبر القبر ولأجله رد الحكاية المذكورة عنه لم نلقه في شيء من كتب المالكية ولا من كتب غيرهم ، وقد قدمت في الباب الرابع من كلام المالكية في الزيارة جملة وبقيت جملة اذكرها ههنا إ هـ .

ونقل عن أربعة من أعيان المالكية ما ينطبق على رواية ابن وهب ، ابن حبيب ،وابن يونس ، واللخمي ، وابن بشير ، ثم ختم المحقق هذا الباب بقوله : ولو ثبت عن مالك وعن غيره ان الأولى استقبال القبلة في الدعاء لا القبر لم يكنفي ذلك شيء من منع الزيارة ولا السفر ولا مانعاً من تعظيم القبر ومن اعتقد ذلك فقد ضل ، وكل ما ذكره بعد ذلك تقدم الجواب عنه وانه لا يدل على مقصوده إ هـ .

قلت والحكاية التي زعم ابن تيمية أنها مكذوبة على مالك وان مذهبه بخلافها ، هي

Marfat.com

ان أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور العباسي ناظر مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدّب قوماً فقال : (لا ترفعوا أصواتكُمْ فوقَ صوتِ النبيِّ ـ الآية) ومدح قوماً فقال : (ان الذين يغضونَ أصواتَهُمْ عندَ رسول اللهِ ـ الآية) وذم قوماً فقال : (ان الذين ينادونَكَ ـ الآية) ، وان حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى : (ولو انَّهُمْ اذْ ظَلَموا أنفُسَهم ـ الآية) إ هـ •

قال الزرقاني والحكاية رواها ابو الحسن علي ابن فهر في كتابه « فضائل مالك » ومن طريقه الحافظ أبو الفضل عياض في « الشفاء » باسناد لا بأس به بل قيل إنه صحيح، فمن أين أنها كذب وليس في روايتها كذاب ولا وضاع ؟ ولكنه لما ابتدع له مذهباً ، وهو عدم تعظيم القبور ما كانت وانها انما تزار للاعتبار والترحم بشرط أن لا يشد اليها رحل، صار كل ما خالف ما ابتدعه بفاسد عقله عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه فاذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها = بزعمه = انتقل الى دعوى انه كذب على من نسب اليه ، مباهتة ومجازفة •

وقد أنصف من قال فيه : علمه أكبر من عقله •

وكتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر الشريف مستقبلاً له مستدبر القبلة ، وممن نص على ذلك منهم أبو الحسن القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمن والعلامة خليل بن اسحاق في مناسكه إ هـ •

قلت : فاستقبال القبر الشريف في السلام والدعاء متفق عليه بين الأئمة الأربعة وأتباعهم ، فقول ابن تيمية : واما وقت السلام عليه فقال أبو حنيفة رحمه الله يستقبل القبلة أيضاً ، الذي سلمه له المحقق بقوله : هو كذلك ذكره أبو الليث السمرقندي في الفتاوى عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى •

وقال السروجي الحنفي : يقف عندنا مستقبل القبلة ، قال الكرماني وعن أصحاب

Marfat.com

الشافعي الى قوله واستدلت الحنفية ، باطل من أربعة أوجه :

الأول ـ هذا تلبيس وغش فلو كان أميناً على النقل عن الأئمة وأتباعهم محققا لقال : قال أبو حنيفة في رواية أبي يوسف أو محمد بن الحسن أو زفر في الجامع الكبير مثلاً ولكنه أرسل القول عن النعمان بلا زمام وهو غير صحيح عنه •

الثاني ـ مذهب الامام أبي حنيفة وفحول أصحابه كزفر وأبي يوسف ، دوّنه الامام محمد بن الحسن الشيباني ، ومن كتب هذا استمد جميع أتباعه ، وقد قال المحقق السبكي بعد هذا : وذكرُ النقل في استقبال القبلة عن أبي حنيفة رحمه الله عنه ليس في المشهور من كتب الحنفية بل غالب كتبهم ساكتة عن ذلك •

الثالث ـ الكرماني والسروجي تابعان لأبي الليث ، قال العلامة ملا علي القاري في « المنسك » المتوسط ما نصه : (ثم اعلم انه ذكر بعض مشايخنا كأبي الليث ومن تبعه كالكرماني والسروجي أنه يقف الزائر مستقبل القبلة كذا رواه الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى) •

الرابع ـ قال المحقق الكمال بن الهمام في فتح القدير : وما عن أبي الليث من ان الزائر يستقبل القبلة مردود بما روى أبو حنيفة رضي الله عنه في مسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : من السنة أن تأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول السلام عليك أيها النبي الخ إ هـ

قال ملا علي القاري في منسكه المذكور : ويؤيده ما قال المجد اللغوي : روينا عن الامام ابن المبارك قال : سمعت أبا حنيفة يقول قدم أيوب السختياني وأنا بالمدينة ، فقلت لأنظرنّ ما يصنع ، فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبكى غير متباك فقام مقام فقيه إ هـ •

وقول المحقق : (واستدلت الحنفية بأن ذلك جمع بين عبادتين) ، لعله بعضهم = وهو الكرماني = بدليل ما يأتي وهو استدلال فاسد ، إذ كيف يكون استدبار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في السلام عليه عبادة ؟ ، واستدبار أي انسان في السلام عليه شنعاء لا يرتكبها أدنى الناس مع مثله فكيف بمسلم مع نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم

Marfat.com

عوذ بالله تعالى من فساد الجنان ولعل صواب قول المحقق : وقول اكثر العلماء استقبال القبلة عند السلام ، استقبال القبر •

والخطأ من النساخ ، ويدل له مافي الزرقاني على المواهب اللدنية بعد أن ذكر أن كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً القبلة فيه وفي السلام، آخذاً برواية ابن وهب عن مالك قال : والى هذا ذهب الشافعي والجمهور ونقل عن أبي حنيفة •

قال ابن الهمام وذكر كلام ابن الهمام السابق ثم قال وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة ، وقول الكرماني مذهبه خلافه ليس بشيء لأنه حي ومن يأتي الحيَّ انما يتوجه اليه إ هـ •

وقول ابن تيمية في فتواه : (ولو نذر أن يأتي مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو المسجد الأقصى لصلاة او اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي واحمد ولم يجب عند أبي حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع) غير صحيح ، فاني لم أر في كتب الحنفية نصاً على ان هذا النذر لا يجب الوفاء به عند النعمان رضي الله عنه بل مقتضى قاعدته التي ذكرها يجب عليه الوفاء به ، كالأئمة الثلاثة لأن الصلاة المنذورة في احد المسجدين جنسها مفروض في الشريعة فكلامه حجة عليه •

وقوله : (وقد بسط الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا) ، إحدى تلبيساته التي يرتكز عليها كثيراً لسدّ الفراغ فلا بسط ولا مكان آخر له غير هذا فلو كان محققاً لبسطه وبيّنه هنا ولم يحله الى مكان لا يوجد الا في مخيلته •

وقوله : (وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد يدعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه ويعبد وحده لا شريك له ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها ما لم ينزل الله به سلطاناً) تهويش مشتمل على اربع مسائل:

الاولى : قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مشهد من المشاهد •

Marfat.com

الثانية : أول من وضع الأحاديث لزيارة المشاهد الرافضة ونحوهم من أهل البدع

الثالثة : المسلمون عطلوا المساجد •

الرابعة : وعظموا المشاهد ، ويمكن إرجاع الأربع الى اثنتين :

الأولى : البناء على القبور الذي كرر لوكه بلفظ المشاهد •

والثانية : أول من وضع الأحاديث لزيارة المشاهد هم الرافضة ونحوهم من أهل البدع •

أما الأولى : وهي كون قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مشهداً من المشاهد فهي ظاهرة من تكريره لفظ المشاهد ولأن نصّ فتواه في قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولأنه مبني عليه فهو عندَه كسائر القبور والمشاهد ، فان قيل لم ينشأ على قبره صلى الله تعالى عليه وسلم بناء بعد دفنه حتى يصدق عليه انه مشهد من المشاهد وانما دفن صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (ما دفن نبي قط الاّ في مكانه الذي توفي فيه) ، فالجواب عنه من وجهين :

الاول : دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته لا يمنع من تسمية ما عليه من البناء مشهداً ، ومن كونه مبنياً عليه •

الثاني : قد أنشىء البناء حول قبره وقبري صاحبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهما في زمان الوليد بن عبد الملك لما عزم على توسعة المسجد وعلماء التابعين بالمدينة موجودون ، فان قيل انما بنى الوليد الحجرة على قبورهم لئلا يصلي من كان بالمسجد خلفها اليها ، قلت : هذا لا يمنع من صدق المشهد عليها ولا من صدق البناء على قبره صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث انه قبر كسائر القبور ، ولهذا يصح ان يكون مستنداً ودليلاً لمن قال من العلماء بجواز البناء على القبر في الأرض المملوكة للمقبور أو لغيره باذنه •

واما الثانية : وهي زعمه (ان أول من وضع الأحاديث لزيارة المشاهد هم الرافضة ونحوهم من اهم البدع) فهي دعوى باطلة •

واما الثالثة : وهي زعمه ان المسلمين عطلوا المساجد أي من الصلاة وذكر الله فيها فهي بهتان مكشوف سيجازيه الله عليه جزاء الأفاكين •

Marfat.com

واما الرابعة : وهي زعمه انهم عظموا المشاهد ، اي المبنية على القبور فهي كـذب مكشوف لأن تعظيمهم انما هو لمن في المشاهد من الانبياء والصالحين لا لذات المشاهد ، وتعظيم من فيها من الأنبياء والصالحين اذا لم يتجاوز مراتبهم التي جعلها الله لهم فهو من الدين ، والتعظيم محله القلب ولا يعلم ما فيه من الاعتدال والغلو في تعظيم المعظم الا الله سبحانه وتعالى •

فالمسلمون لا يعظمون قبره صلى الله تعالى عليه وسلم لذاته وانما يعظمونه لساكنه عليه الصلاة والسلام ، ولا يكابر في هذا الا مطموس البصيرة ، وقد قال عليه الصـلاة والسلام : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) ، ولا شك ان الله تبارك وتعالى قد استجاب دعـاءه •

(فقوله يدعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه ويعبد وحده لا شريك له) ثرثرة مؤكدة للبهتان الذي لطخ به المسلمين •

(وقوله) : (ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها الىقوله فانّ الكتاب)، تهجّمٌ مكرر على قلوب المسلمين المعظمين للأنبياء والصالحين وحكم قائل عليهم بالشرك والكذب والابتداع يعامله الله عليه بما يستحقه ، وبهذره هـذا تمسك مقلـدوه تمسك الغريق بالغريق فنبزوا جميع المسلمين الزائرين للقبور بـ (القبورية) و (عباد القبور) •

وحكم ابن عبد الوهاب بكفر أهل كل بلدة فيها قبة على قبر زاعماً انها صنم يعبد من دون الله كما في اول الفصل الثالث عشر من « مصباح الأنام وجلاء الظلام » للسيد الحداد ، هكذا يقف هذا المفتتن به بفهمه ومقلديه في جانب والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وامته المرحومة في جانب آخر •

فالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بزيارة القبور أمراً مطلقـاً ولم يقـل لا تزوروها الا للاعتبار = كما زعم هو = ولم يقل لا تزوروها اذا كان عليها مشاهد فان المشاهد تعظم ويشرك فيها ويكذب فيها الى آخر هذيانه ، ولم يقل كل بلدة فيها قبة على قبر فاهلها مشركون كفار ، فان كان بناء المشاهد على القبور شركاً وعبادة لها أو لمن فيها وزائرو تلك القبور المبني عليها مشركون عبدة لها ، وعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا كله ولم يبينه لأمته بياناً شافياً وهو المبين للناس ما نزل اليهم ، فقد كتم وحي الله ،

Marfat.com

ونسبة كتم الوحي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر ، وان جهل النبي صلى الله عليه وسلم هذا كله وعلمه ابن تيمية ومقلدوه فهذه مصيبة لا يعتقدها ولا يتفوه بها من له مسكة من عقل ودين ، فيلزم من كلامه هذا وكلام مقلده ابن عبد الوهاب الوقوع في احدى المصيبتين لا محالة ؛ إما تجهيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإما نسبة كتم الوحي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان .

والأحاديث وردت في الحث على زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وزعم هو أنها كلها باطلة ، والمسلمون أجمعوا على ان زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل القربات ، وزعم هو ان قصد زيارة قبره عليه الصلاة والسلام على الكيفية التي يفعلها المسلمون منذ زمن السلف الصالح الى وقتنا هذا والى قيام الساعة من نواحي المعمورة ضلال مبين ، وان شد الرحال اليها معصية لا يجوز قصر الصلاة فيه .

والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ـ الحديث) .

وابن تيمية ومقلده قالا إنهم مشركون وان قالوها لجهلهم توحيد الالوهية بتوسلهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصالحين من أمته .

والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا) ، وابن تيمية ومقلده قالا إنه مشرك وان استقبل قبلتنا لجهله توحيد الالوهية .

والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم جعل الأذان من شعائر الاسلام حاقناً للدم ، فكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أرسل سرية يقول لهم : (اذا سمعتم الأذان فلا تغيروا عليهم) ، ولم يقل لهم إذا وجدتم البناء على القبور فأغيروا عليهم ، وابن عبد الوهاب قال كل بلدة فيها قبة على قبر فاهلها مشركون مهدرو الدم والمال وان اذنوا وصلوا وصاموا .

والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (لا هجرة بعد الفتح) ، أي بعد فتحه صلى الله تعالى عليه وسلم مكة صارت دار اسلام الى قيام الساعة باجماع المسلمين ، وابن

Marfat.com

عبد الوهاب قال إنها دار شرك لأن اهلها لم يؤلّهوا هواه •

والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (أيس الشيطان أن يعبده المصلّون بجزيرة العرب إلاّ بالتحريش بينهم) وابن عبد الوهاب قال إن مسلمي الجزيرةالعربية ومسلمي الأرض كلهم مشركون عابدون للأنبياء والصالحين لجهلهم توحيد الالوهية بتوسلهم واستغاثتهم بهم •

وقوله : (فان الكتابوالسنة انما فيهما ذكر المساجد دونالمشاهد الىآخر الثرثرة)، ليس بدليل على حرمة بناء المشاهد على القبور وانما هو عدم دليل ، فان وجود المساجد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بدليل على حرمة المشاهد ، وعدم وجود المشاهد فيهما ليس بدليل على حرمة بنائها على القبور ، وهذا المفتتن به يتيه دائماً في بيداء العدم يعتقده دليلاً وليس العدم بدليل عند العقلاء وانما ينهض الدليل على حرمة المشاهد لو نهى الله عنها في كتابه العزيز ولم يأت فيه ذلك ، وقد عزا في « الجامع الصغير ، حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد على القبر وأن يجصص أو يبنى عليه) الى الامام احمد ومسلم وأبي داود والنسائي ولم يبين درجته وأخرجه الترمذي في سننه عن جابر أيضاً وزاد : (وأنيكتب عليه) وقال حسن صحيح وهو محمول عند العلماء في القعود على القبر وتجصيصه والبناء عليه في غير الأرض الموقوفة على كراهة التنزيه ، وأخرجه الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة خمس وأربعمائة في مستدركه عن جابر أيضا من طريقين •

وقال في الأولى هذا حديث على شرط مسلم ، وقد خرّج باسناده غير الكتابة فانها لفظة صحيحة غريبة •

وقال في الثانية هذه الأسانيد صحيحة ، وليس العمل عليها فان أئمة المسلمين من الشرق الى الغرب مكتوب على قبورهم وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف إ هـ وتعقب كلامه هذا الذهبي في تلخيصه للمستدرك بقوله : (قلت) ما قلت طائلاً ولا نعلم صحابياً فعل ذلك وانما هو شيء أحدثه بعض التابعين فمن بعدهم ولم يبلغهم النهي إ هـ ، وتعقبه هذا ضعيف لأن عدم علمه هو بصحابي فعل ذلك لا ينفي علم غيره من العلماء ذلك وعدم بلوغ النهي للتابعين ومن بعدهم ، وهم ألوف مؤلّفة بعيد عادة وان جاز عقلاً على أنه

Marfat.com

بعد اعترافه باحداث بعض التابعين لها دعوى على الجم الغفير من علماء الاسلام بعدم علمهم بالنهي عن الكتابة على القبور ، وقد نقل العلامة ابن عرفة كلام الحاكم هذا وسلمه هو وتلميذه الحافظ البرزلي وابن ناجي ، وتعقبه أيضا بعض الشيوخ قائلاً لا يسلم له ذلك ، لأن أئمة المسلمين لم يفتوا بالجواز ولا أوصوا أن يفعل ذلك بقبورهم بل تجد أكثرهم يفتي بالمنع ويكتب ذلك في تصنيفه ، وغاية ما يقال انهم يشاهدون ذلك ولا ينكرون ومن أين لنا انهم يرون ذلك ولا ينكرون وهم ينصون في كتبهم وفتاويهم على المنع إ هـ .

وذكر المالكية في كتبهم ان الحافظ أبا بكر بن العربي ضعف في عارضته رواية النهي عن الكتابة على القبر قائلاً : إن النهي الوارد في ذلك لما لم يكن من طريق صحيحة تسامح الناس فيه ولا فائدة فيه الا تعليم القبر إ هـ .

وتعقب كلام الحافظ الحاكم أيضاً العلامة ابن حجر في تحفته بقوله : « ويرد بمنع هذه الكلية ويفرضها فالبناء على قبورهم اكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة كما هو مشاهد لا سيما بالحرمين ومصر ونحوها وقد علموا بالنهي عنه فكذا هي » .

فان قلت : هذا اجماع فعلي وهو حجة = كما صرحوا به = ، قلت : ممنوع ، بل هو اكثري فقط إذ لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذين يرون منعه وبفرض كونه اجماعاً فعلياً فمحل حجيته كما هو ظاهر انما هو عند صلاح الأزمنة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تعطل ذلك منذ أزمنة إ هـ .

* * *

Marfat.com

حكم البناء والكتابة على القبور

في المذاهب الاربعة

حكمها عند الشافعيـة

(الشافعية) : قالوا إن البناء على القبور في الأرض المملوكة له أو لغيره باذنه مكروه كراهة تنزيه ، وفي الأرض الموقوفة أو المسبلة حرام ، والمسبلة هي التي اعتاد أهل بلد الدفن فيها ، وقالوا إن وضع شيء يعرف به القبر مستحب ، فالكتابة بقدر الحاجة = وهي التعريف باسم الميت مستحبة = ولا سيما على قبور الأولياء والصالحين فانها لا تعرف إلا بذلك عند تطاول السنين ، ويحمل النهي فيها على ما قصد به الزينة والمباهاة والصفات الكاذبة ، وكتابة النظم والنثر عليه مكروه كراهة تنزيه ، وكتابة القرآن وكل اسم معظم عليه حرام ، ويجب هدم ما بني في الأرض الموقوفة أو المسبّلة ولا يجوز هدم ما بني في غيرهما .

وقال العلامة ابن حجر في تحفته في باب « الوصايا » وشمل عدم المعصية القربة كبناء مسجد ولو من كافر ونحو قبة على قبر نحو عالم في غير مسبلة (وتسوية قبره ولو بها) .

قال محشيه الشرواني عند قوله (وتسوية قبره ولوبها) ما نصه : خالفه النهاية هنا ، وقال الشيخ علي الشبراملّسي والمعتمد ما ذكره في الجنائز إ هـ ، اي من جواز الوصية لتسوية وعمارة قبور الأنبياء والصالحين في المسبّلة ، وقالوا إن الشافعي رضي الله عنه قال : رأيت الولاة بمكة يأمرون بهدم ما بني منها ، (أي على قبور المعلى) ولم أر الفقهاء يعيبون ذلك عليهم إ هـ .

Marfat.com

حكمها عند المالكيــة

(المالكية) قالوا : ان البناء على القبر أو حوله في الارض المملوكة له أو لغيره باذ
وفي الأرض الموات حرام ان قصد به المباهاة ، ومكروه كراهة تنزيه ان تجرد من هذ
القصد ، وجائز لقصد التميز ان كان يسيراً وجائز مطلقا عند أبي الحسن بن القصا
البغدادي المتوفى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ما لم يقصد به المباهاة ، وحرام في الأرض
المحبسة إلا بقصد التميز فجائز إن كان يسيراً ، ويجب هدم ما بني في الأرض المحبس
ولا يجوز هدم ما بني في غيرها • والكتابة عليه مكروهة كراهة تنزيه ، وحرام إن بوه
بها ، وجوزها بعضهم على قبور الصالحين •

قال العلامة ابن حمدون محشي ميارة الصغير : واذا جاز عند ابن القصار ومـ
تبعه بناء البيت على مطلق القبور في الأرض المملوكة وفي المباحة ان لم يضر بأحد بشرط
أن لا تقصد المباهاة فيهما كان البناء بقصد تعظيم من يعظم شرعاً أجوز •

قال الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي مجيباً من سأله عن البناء على ضريح مولا
عبد السلام بن مشيش : لم يزل الناس يبنون على مقابر الصالحين وأئمة الاسلام شرق
وغرباً = كما هو معلوم = وفي ذلك تعظيم حرمات الله واجتلاب مصلحـة عباد الله
لانتفاعهم بزيارة أوليائه ودفع مفسدة المشي والحفر وغير ذلك والمحافظة على تعيين قبورهم
وعدم اندراسها ولو وقعت المحافظة من الأمم المتقدمة على قبور الأنبيـاء لم تندرس بل
اندرس ايضا كثير من قبور الأنبياء والأولياء لعدم الاهتمام بهم وقلة الاعتناء بأمرهم إ هـ

حكمها عند الحنابلــة

(الحنابلة) قالوا : البناء على القبر ولو في ملكه مكروه كراهـة تنزيـه وهو في
المسبلة أشد كراهة والقول بتحريم البناء في المسبلة هو الصواب ، قال ابو حفص •
تحرم الحجرة بل تهدم ، والكتابة عليه مكروهة كراهة تنزيه ، قال ابن مفلح

Marfat.com

الحنبلي المتوفى سنة اثنتين وستين وسبعمائة الذي قال فيه زميله ابن القيم : (ما تحت ديم السماء أعلم بالفقه من ابن مفلح) ، وقال له شيخه ابن تيمية (انت مفلح لا ابن مفلح) في فروعه ما نصه : ويكره البناء على القبر واطلقه احمد والاصحاب لاصقه اولا ، وذكر صاحب المستوعب والمحرر لا بأس بقبة وبيت وحظيرة في ملكه لأن الدفن فيه مع كونه كذلك مأذون فيه ، وقال في المستوعب ويكره = اي البناء على القبر = إن كانت مسبلة ومراده والله أعلم الصحراء •

ثم قال ابن مفلح : وقال في الفصول : القبة والحظيرة والتربة ان كان في ملكه فعل ما شاء وان كان في مسبلة كره للتضييق بلا فائدة ويكون استعمالاً للمسبلة فيما لم توضع له إ هـ = كتاب الجنائز ص ٦٨١ و ٦٨٢ = •

حكمها عند الحنفيـة

(الحنفية) قالوا : يحرم البناء على القبر للزينة ويكره للاحكام بعد الدفن ، ولا بأس بالكتابة عليه لئلا يذهب الأثر ولا يمتهن ، قال العلامة السيد ابن عابدين في آخر تنقيح الحامدية ما نصه : (فائدة) وضع الستور والعمائم والثياب على قبور الصالحين والأولياء كرهه الفقهاء حتى قال في فتاوى الحجة وتكره الستور على القبور إ هـ •

ولكن نحن الآن نقول إن كان القصد بذلك التعظيم في أعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر الذي وضعت عليه الثياب والعمائم ولجلب الخشوع والأدب لقلوب الغافلين الزائرين لأن قلوبهم نافرة عند الحضور في التأدب بين يدي أولياء الله المدفونين في تلك القبور كما ذكرنا من حضور روحانيتهم المباركة عند قبورهم فهو أمر جائز لا ينبغي النهي عنه ، لأن الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ، فانه وان كان بدعة على خلاف ما كان عليه السلف ولكن هو من قبيل قول الفقهاء في كتاب الحج انه بعد طواف الوداع يرجع القهقرى حتى يخرج من المسجد ، لأن في ذلك إجلال البيت ، حتى قال في منهاج السالكين : وما يفعله الناس من الرجوع القهقرى بعد الوداع فليس فيه سنة مروية ولا أثر محكي وقد فعله أصحابنا الخ إ هـ = من كشف النور عن أصحاب القبور للشيخ عبد الغني النابلسي = إ هـ •

Marfat.com

خلاصة حكم البناء والكتابة على القبور في المذاهب الاربعة

فخلاصة حكم البناء والكتابة على القبور في المذاهب الأربعة : ان البناء على القبور عند الشافعية والمالكية والحنابلة في الأرض الموقوفة والمسبّلة حرام يجب هدمه عند المالكية والشافعية وأبي حفص الحنبلي ، ومكروه كراهة تنزيه في المذاهب الثلاثة في الأرض المملوكة له أو لغيره باذنه ، ولا يجوز هدمه عند الشافعية والمالكية مسكوت عنه عند الحنابلة ، وجائز في هذه عند ابن القصار المالكي وطائفة من الحنابلة ، وحرام للزينة عند الحنفية ومكروه للاحكام بعد الدفن وان الكتابة عليها مستحبة عند الشافعية وجائزة عند الحنفية ومكروهة كراهة تنزيه عند المالكية والحنابلة إ هـ .

فقول ابن القيم في إغاثة اللهفان الذي نقله عنه كشاف القناع (يجب هدم القباب التي على القبور لانها أسست على معصية الرسول) صحيح إن أراد به المبنية في الأرض الموقوفة ، وان كان على اطلاقه فهو خطأ لان النهي عن البناء على القبور في الحديث محمول على كراهة التنزيه في غير الموقوفة والمسبلة عند العلماء ، وحرمة البناء في هذه معلل بالتضييق على المسلمين ، ولا تضييق في المملوكة ولا معصية في البناء فيها ، ولا يجوز هدمه عند العلماء وان كان خلاف السنة وليس بفقيه من أوجب الهدم في المكروه وجعله معصية ، والواجب إنما يقابل الحرام لا المكروه ، والامام احمد رضي الله عنه انما روي عنه منع البناء في وقف عام ، ولم يرو عنه وجوب هدم ما بني فيه .

ويقال لابن تيمية فيما ذكره كشاف القناع عنه (ان تغشية قبور الأنبياء والصالحين بغاشية ليس مشروعاً في الدين) وليس ممنوعاً فيه ، فلو استظهر بجميع المتشدقة على اثبات نهي خاص في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الجزئية بخصوصها لم يظفر به ، وغاية ما يقال في تغشية القبور انها ليست من عمل السلف ، وليس ترك السلف لها دليلاً على المنع الخاص ، فقوله (ليس مشروعا في الدين) تلبيس.

Marfat.com

البناء على القبور والكتابة عليها من زمن السلف

واستفيد من كلام الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وكلام الحافظ أبي عبد الله الحاكم أن البناء والكتابة على القبور من زمن السلف ، فقول من قال من العلماء انه اجماع عملي غير بعيد من الصواب •

تعقب بعض مشايخ المالكية لكلام

الحافظ عبد الله الحاكم خطا من خمسة اوجه

وتَعَقَبُ بعض مشايخ المالكية لكلام الحافظ أبي عبد الله الحاكم خطأ من خمسة أوجه :

الأول : إن أراد بالأئمة في قوله : (لأن أئمة المسلمين لم يفتوا بالجواز) اتباع الأئمة الأربعة فهو خطأ عليهم جميعاً لأن الحنفية أطلقوا في كتبهم جواز الكتابة على القبور ، والشافعية قالوا ان كانت للتعريف بالمقبور فهي مستحبة ، والمالكية والحنابلة قالوا مكروهة كراهة تنزيه ، وان أراد بأئمة المسلمين الذين لم يفتوا بالجواز غيرهم فلم لم يبَينه حتى ينظر فيه ؟ •

الثاني قوله : (ولا أوصوا أن يفعل ذلك بقبورهم) عدم دليل لا دليل ودعوى عريضة على الجم الغفير من علماء المسلمين ، فانه لو ثبت عنهم كلهم بأنهم لم يوصوا بالكتابة على قبورهم لم يلزم من ذلك منع الكتابة على القبور •

الثالث : إن أراد بقوله : (بل نجد اكثرهم يفتي بالمنع ويكتب ذلك في تصنيفه)، الكتابة على القبور فقد علمت بطلانه بما قررته ، وان أراد به البناء عليه فهو غير وارد على الحافظ أبي عبد الله الحاكم لأن كلامه في الكتابة على القبور لا في البناء عليها •

الرابع : يقال في قوله : (وغاية ما يقال انهم يشاهدون ذلك ولا ينكرون ومن أين

Marfat.com

لنا انهم يرون ذلك ولا ينكرون ؟) ومن أين لنا انهم أنكروا الكتابة على القبور لما رأوها؟ .

الخامس : تنصيصهم في كتبهم وفتاويهم على المنع انما هو على البناء على القبور في الأرض الموقوفة أو المسبَّلة خاصة لا على الكتابة عليها ، ولم يقل بحرمة الكتابة على القبور الا الشافعية اذا كانت بقرآن أو اسم معظَّم ، وتعقّبُ العلامة ابن حجر في تحفته له منظور فيه ، فاعترافه بانه اجماع أكثري فقط كاف في الاحتجاج به ، ومنعه وتعليله ضعيفان وتعطيل تنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انما ينهض حجة لو حدث البناء والكتابة على القبور في القرون المتأخرة وحيث وجدا في زمان السلف الصالح أهل الدين المتين المشهود لهم بالخيرية فنسبة تعطيله اليهم لا تليق .

في فتوى ابن تيمية هذه من ادعاء النفي المطلق

على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى السلف الصالح وعلى الائمة والعلماء وادعاء اجماعهم واتفاقهم احد عشر زعماً

وفي فتوى ابن تيمية هذه الزاعم فيها منع قصد زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشد الرحال اليها من ادعاء النفي المطلق على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والسلف الصالح وعلى أئمة الاسلام وعلمائه وادعاء اجماعهم واتفاقهم أحد عشر زعماً :

الأول زعمه : (ان السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة لم يوجب أحد من العلماء السفر اليه) .

الثاني زعمه : (ان السفر الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين) .

الثالث زعمه : (ان من اعتقد السفر الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولاجماع الأمّة) .

الرابع زعمه : (ان من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين انه قربة

Marfat.com

عبادة وطاعة فقد خالف الاجماع) •

الخامس زعمه : انه (اذا سافر لاعتقاده ان الزيارة طاعة كان ذلك محرماً باجماع المسلمين) •

السادس والسابع والثامن زعمه : (ان ما ذكره العلماء من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هي موضوعة لم يرو احد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها) وعدم احتجاج احد من الأئمة بشيء منها لو صح لا ينهض دليلاً على ضعفها ولا على وضعها على انه مجازفة •

التاسع زعمه : (ان السلف من الصحابة والتابعين كانوا اذا سلموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر) •

العاشر زعمه : (أنه لم يقل أحد من الأئمة انه يستقبل القبر عند الدعاء الا في حكاية مكذوبة تروى عن الامام مالك) •

الحادي عشر زعمه : (ان الأئمة اتفقوا على انه لا يتمسح بقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يقبّله) ، وكل هذه المزاعم قد أبطلت وأقول أيضا في ابطال قوله : (وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث بل هي موضوعة) انه ثرثرة دلت على بلبلته واضطراب فكره ، لأنه حكم عليها أولاً بانها كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، ثم أضرب عن هذا الحكم وحكم عليها ثانياً بانها كلها موضوعة ، والموضوع قسيم للضعيف ، فيحتمل ان يكون إضرابه عن الأول إضراب ابطال له ، ويحتمل ان يكون اضراب انتقال عنه الى الثاني ويبقى هو مسكوتاً عنه ، وهراؤه هذا انما يركز على احد الشقين فقط ، اما ان يدعي انها كلها ضعيفة ، واما أن يدعي انها كلها موضوعة •

وقد قال أئمة الحديث : ان الحديث الواحد اذا تعددت طرقه ، وكلها ضعيفة يتقوى بعضها ببعض ويترقى بذلك الى درجة الحسن فكيف بأحاديث ، وهي قاعدة مطردة عندهم حققها العلامة المحقق في الباب الاول من شفاء السقام وغيره ، وحقق فيه

Marfat.com

ان الحديث الثالث صححه سعيد بن السكن ، وقد ولد الحافظ أبو علي سعيد بن عثما ابن السكن البغدادي نزيل مصر سنة أربع وتسْعين ومائتين ، وتوفي في محرم سنة ثلا وخمسين وثلاثمائة ، وترجمته في الثانية عشرة من تذكرة الحفاظ للذهبي حافلة .

وقد كان الواجب عليه علماً وادباً حيث شذّ عن الأمة الاسلامية في هذه المسأل العظيمة ووقف برأيه في جانب وهي في جانب آخر أن يعيّن الواضع لأحاديث زيارتـ صلى الله تعالى عليه وسلم والزمن الذي وضعت فيه ولا يرسل الكلام جزافاً ، (هـ الرافضة ونحوهم من أهل البدع) ولو كان محدثاً محققاً متثبتاً صادقا أمينا على نقل العل لتكلم على أحاديث الزيارة (حيث تلقتها الأمة الاسلامية بالقبول وعملت بها) واحـد واحداً من طريق فنّ الرواية حتى يكون كلامه قريباً من الاعتدال ولا يرسل الكلا جزافاً ويفتري على العلماء بأنهم اتفقوا على ضعفها ثم يضرب عن هذا ويجزم بأنها كل موضوعة ولكن لا دواء لمن صرعه الاعجاب وازدراء عباد الله .

الاجماعات والاتفاقات والسلف والأئمة

بضاعة يلوكها كثيرا لسد الفراغ

وهذه الاجماعات والاتفاقات والسلف والأئمة بضاعة لا توجد الا في مخيلته يلوكها كثيراً لسد الفراغ والتهويل والتلبيس على العامة وأشباههم لتروج في سوقهم وقد راجت

تكذيب امامه احمد بن حنبل

وقد كذّب إمامُه الذي يتغالى فيه عند غرضه احمد بن حنبل رضي الله عنه من ادعى الاجماع مرة واحدة فكيف بمن يرسله جزافاً عند كل هوىً عنّ له ، قال ابن القيم في إعلام الموقعين المطبوع مع حادي الارواح جـ ٢ ص ٣٣٥ . قال في رواية ابن عبد الله من ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل الناس اختلفوا هذه دعوى بِشْر المريسي والأصم ، ولكن لا يقول : لا نعلم الناس اختلفوا أو لم يبلغنا ، وفي رواية المروزي : كيف

Marfat.com

يجوز للرجل أن يقول اجمعوا إذا سمعهم يقولون أجمعوا فاتهمهم ، وفي رواية أبي طالب عنه هذا كذب ما علِمْتُه ان الناس مجمعون إ هـ ، فقد حكم عليه امامه الذي يتغالى فيه بانه كذاب متهم وشهد عليه بذلك نقل تلميذه المؤله لهواه .

وأتْحِفَ القراءَ ببعض هذه الاتفاقات التي يرسلها جزافاً ، نقل عنه صاحب كشاف القناع أيضا في باب الجنائز انه قال في كسوة القبر بالثياب : (اتفق الأئمة على أن هذا منكر اذا فعل بقبور الأنبياء والصالحين فكيف بغيرهم إ هـ) وتغشية القبور بالثياب مستحدثة في القرون المتأخرة التي هو منها رقد تقدم قريباً ذكري لما نقله عنه صاحب كشاف القناع فيها أنها (ليست مشروعة في الدين) ، وقلت في ابطال كلامه هناك انه لو استظهر بجميع المتشدقة على اثبات نهي خاص في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الجزئية بخصوصها لم يظفَرْ بذلك وهنا أتى بلون آخر من الهراء ادعى اتفاق الأئمة على أنها منكر ، فيقال له من هؤلاء الأئمة المتفقون على أن تغشيةالقبور بالثياب منكر ، ألا يسمي لنا ان كان صادقاً ولو واحداً منهم ، وقد تحققنا أن رأيه هو الأئمة كلهم .

الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب

وقال تلميذه ابن مفلح في الجزء الأول من فروعه في صلاة الاستسقاء : قال ابراهيم الحربي : (الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب) وقال شيخنا : (قصده للدعاء عنده رجاء الاجابة بدعة لا قربة باتفاق الأئمة) وقال أيضا : (يحرم بلا نزاع بين الأئمة إ هـ) فقد كذب على الأئمة دفعتين زعم في الكلام الأول انهم اتفقوا على ان قصد قبر معروف للدعاء عنده رجاء الاجابة بدعة ، وزعم في الثاني أنهم اتفقوا على حرمة ذلك ، فيقال له من هؤلاء الأئمة المتفقون على أن قصد قبر معروف للدعاء عنده بدعة ، والمتفقون أيضا على أن قصده للدعاء عنده حرام ، الا سَمَّى لنا ان كان صادقاً ولو واحداً منهم ؟ .

Marfat.com

ترجمة ابراهيم الحربي

وقد تحققنا أنه مفتر على أئمـة الدين وابراهيـم الحربي منهم ، فهو ابراهيم بن اسحاق الحربي البغدادي الامام الحافظ ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، سمع من كثير من أئمة الرواية ، وتفقه على الامام احمد بن حنبل ، وكان من جلة أصحابه اماماً في العلم رأساً في الزهد عارفاً بالفقه بصيراً بالاحكام حافظاً للحديث مميزاً لعلله •

وقد أمر الامام احمد ابنه عبد الله أن يتعلم الفرائض منه ، شهد له بالامامة في العلم والرواية الحفاظ الكبار الدارقطني وثعلب والخَطيب البغدادي توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وثمانين ومائتين وترجمته في التاسعة من تذكرة الحفاظ للذهبي حافلة ، وحيث انه حنبلي مـن خواص الامام احمـد لم يقل فيـه شيئاً ولو كـان غـير حنبلي لما تَورَّع عن ثَلْبه ، ولو انفرد غير حنبلي من المتقدمين بـ (قبر معروف الترياق المجرب) لما تردد هذا المفتتن به في سلقه بلسانه وتكذيبه كما كذب الامام عبد الله بن وهب صاحب الامام مالك الذي هو أجلّ وأقدم من ابراهيم الحربي ، ورواة كثيرين من علماء الأمة ، في سماعه من شيخه مالك ، ان المسلّم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستقبل قبره الشريف ويستدبر القبلة في الدعاء ، ولم يختص ابراهيم الحربي بقوله : (قبر معروف الترياق المجرب) فقد قاله البغداديون •

قبر معروف ترياق مجرب

قال الاستاذ الامام أبو القاسم القشيري المتوفى سنة خمس وستين وأربعمائـة في رسالته في ترجمة معروف : كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره ، يقول البغداديون : (قبر معروف ترياق مجرب) إ هـ وتوفى معروف الكرخي رحمه الله تعالى على رأس المائتين قبل وفاة الامام احمد بأربعين سنة وحال معروف عنده لا يخلو مـن أمرين : إما أن يكون عنده من أولياء الشيطان ، واعتقاده هذا فيه غير مستنكر على من طعن في سادات الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وجهّلهم كما سيأتي بيانه في الفصل الرابع ، واما أن يكون عنده من أولياء الرحمن •

Marfat.com

لا نص في كتاب الله وسنة رسوله ولا عن السلف الصالح

على منع الدعاء عند قبر معروف

وعلى هذا يقال : أيّ دليل قام عنده على أن قصد قبر معروف للدعاء عنده رجاء الاجابة بدعة حرام ؟ ، أبنص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللّذَيْن يهوّل ويلبّس بهما على البسطاء ؟ أو نص عن السلف الصالح الذين يلبس بهم على الأغبياء ؟ فلو استظهر بجميع متشدقة الأرض على وجود نص على هذا المفتري على أئمة الدين في هذه الثلاثة لم يظفر به ، أو بوحي من الله اليه بذلك وليس بنبي فقد ختمت النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام ؟ ، أو بوحي الشيطان اليه بذلك ؟ ، وهذا هو المتعين •

ويقال أيضا : أيّ دليل قام عنده في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو عن السلف الصالح ، على أن استجابة الدعاء عند قبر معروف أو غيره من أولياء هذه الأمة المرحومة المشهورين مستحيل وليس بقربة •

استحباب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون

والشهداء لتناله بركتهم

قال ابن قدامة الحنبلي في مغنيه : فصل ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم وكذلك في البقاع الشريفة إ هـ والمسلمون بَعْد البغداديين متفقون على صلاح معروف وقد تفضل الله سبحانه وتعالى على أولياء هذه الأمة المرحومة فأعطى أرواحهم بعد انتقالهم من الدنيا أقوى مما كان لهم في الدنيا ، وكتاب الروح لتلميذه المؤله هواه شاهد عليه ، ففيه العجب العجاب •

Marfat.com

نبذة من كتاب الروح لابن القيم دامغة باطلة

والى القراء نبذة منه قال في طبعة حيدرآباد الثالثة ص ١٢٧ : (فصل) ومما ينبغي أن يعلم ان ما ذكرنا من شأن الروح يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف والكبر والصغر ، فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها ، وأنت ترى أحكام الأرواح في الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب تفارق الأرواح في كيفياتها وقواها وإبطائها وإسراعها والمعاونة لها ، فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه ، فاذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها فكيف اذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل شأنها روحاً علية زكية كبيرة ذات همة عالية ؟ فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر ، وقد تواترت الرؤيا من أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك ، وكم قد رؤي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عَدَدهم وعُدَدهم وضعف المؤمنين وقلتهم ، ومن العجب أن أرواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها فتسالم وتتعارف فيعرف بعضها بعضا كانه جليسه وعشيره فاذا رآه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته إ هـ •

قد كتب ابن كثير في آخر تفسير سورة الروم نبذة

وأطنب فيها واجاد الحافظ السيوطي في كتابه شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور

وقد كتب في هذا الموضوع ابن كثير في آخر تفسير سورة الروم نبذة ، وأطنب فيه وأجاد وأفاد الحافظ العلامة جلال الدين السيوطي في كتابه شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور •

Marfat.com

ومن أبوابه النفيسة قوله : باب أحوال الموتى في قبورهم وأنسهم فيها فهم يصلون ويقرأون ويتزاورون ويتنعمون ويلبسون ، وأفاض فيه بسوق الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وحكاياتهم في نحو خمس صفحات كبار ، وقوله باب زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم ورؤيتهم لهم ، وأفاض في هذا الباب بسوق الأحاديث والآثار وأقوال العلماء الاسلام وحكاياتهم في اثنتي عشرة صفحة كبيرة ، وفي استيعاب الحافظ ابن عبد البر في ترجمة الصحابي الشهير بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه عن ولده عبد الله قال مات والدي بمرو وقبره بالحصين وهو قائد أهل المشرق ونورهم لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : أيما رجل مات من أصحابي ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة إ هـ .

الصحابي الشهير عبد الرحمن بن ربيعة المستشهد يستسقى به

وفي الاصابة في ترجمة الصحابي الشهير عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي الملقب بذي النور رضي الله تعالى عنه أنه استشهد ببلنجر من أرض الترك ناحية باب الأبواب ودفن هناك فهم يستسقون به الى الآن إ هـ .

كرامة عظيمة للتابعي الجليل عقبة بن نافع الفهري

وفي الاستيعاب والاصابة في ترجمة التابعي الجليل عقبة بن نافع الفهري أنه لما فتح افريقية كان موضع القيروان فيها واديا كثير الاشجار غيضه مأوى للوحوش والحيات فأراد عقبة أن يبني فيه مدينة ينزل فيها جنده فوقف عليه ونادى : « يا أهل هذا الوادي انا حالون فيه ان شاء الله تعالى فاظعنوا » ثلاث مرات ، قالوا فما نرى حجراً ولا شجراً الا يخرج من تحته دابة حتى هبطن بطن الوادي ، ثم قال : « انزلوا باسم الله » ، رواه خليفة بن خياط باسناد حسن إ هـ .

وأخبرني السيد حامد البلخي البدخشاني الساكن بالمدينة المنورة انه لما رحل من بلده في أوائل هذا القرن الى مدينة بخارى لطلب العلم وزار قبر الامام محمد بن اسماعيل

Marfat.com

البخاري بقرية خَرْتَنَك ، وجد رائحة المسك الأذفر تنفح من تراب قبره ، قال وهذا أمر متواتر عندهم هناك •

الجواب الباهر في زوار المقابر

وكتابه (الجواب الباهر في زوّار المقابر) الذي ترثر به في ثمان وثمانين صفح وجرى فيه على سنن أسلافه الحروريين من حمل الآيات القرآنية الواردة في المشرك على المسلمين ، وعلى تهويشه المعروف والخروج من شيء الى شيء آخر ، وخلاصة على رأيه ثلاث جمل فقط : قصد السفر الى زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسل بدعةوضلال • الزائرونللقبور المعظمونلاصحابها مشركون ، المعظمون للأنبياء والأولي المعتقدون كراماتهم مشركون ، حري بتسميته : (الجواب العاثر) قال في مقدمته مخاط للسلطان بعدما حبس بسبب هذه الفتوى زاعماً أنها مختصرة لأنهم استعجلوه في الجواب ان ولي الأمر أيده الله تعالى رسم أن أحضر له كتباً كثيرة من كتب المسلمين قديم وحديثاً ، تؤيد رأيه وهذر بتلبسه المعروف : (ولا يقدر أحد أن يذكر خلاف ذلك ل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعينولا عن أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم ، وانما خالف ذلك من يتكلم بلا علم الى آخر ثرثرته ودعوا الجوفاء التي لا تجوز إلا على البلداء والمغفلين) •

أقول : متحدياً له ولجميع المفتونين به ، لو استظهروا بجميع متشدقة الأرض على أن يثبتوا عن النبي صلى الله تعالىعليه وسلم انه قال : (قصد قبريلزيارته بدعةوضلال) (والزائرون للقبور المعظمون لأصحابها مشركون) ، (والمعظمون للأنبياء والأولي المعتقدون كراماتهم مشركون) لم يستدليوا ذلك ، ولا عن الصحابة ولا عن التابعين و عن أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم •

وقوله في ص ١٤ منه (فصل قد ذكرت فيما كتبته منالمناسكان السفر الىمسجد وزيارة قبره كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج عمل صالح مستحب) تلبيس فان السفر الى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم للصلاة فيه لناذرها شيء واجب ، ول حجة له في الحديث الشريف : (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الخ •••) ، لأ

Marfat.com

المعنى لا تشد لصلاة في مسجد بدليل ذكر مساجد فلا دلالة فيه على منع شد الرحال لزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم أصلاً لا في منطوقه ولا في مفهومه ، والسفر لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم شيء آخر مستحب باتفاق علماء المسلمين ، وتجب عند الشافعية بالنذر ، وأئمة المسلمين إنما صرحوا في مناسك الحج بأن زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم قصداً واستقلالاً من أفضل القربات ، ولم يقرنوا بينهما كما لبس في هذا الهراء ، فقوله كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج ، بهتان عليهم •

وقوله في ص ٢٩ منه (والسفر الى البقاع المعظمة هو من جنس الحج ، وتر لمكرراً هذا الهراء) ، فالسفر الى البقاع المعظمة من جنس الحج ، والمشركون من أجناس الامم يحجون الى آلهتهم كما كانت العرب تحج الى اللات والعزى ومناة ، الى ان قال : (ولهذا كانوا تارة يعبدون الله وتارة يعبدون غيره) تلبيس فاسد على كلا المعنيين للحج اللغوي والشرعي ، لأن الحج لغة : القصد الى الشيء مطلقا ، وشرعاً : قصد بيت الله الحرام لأداء أحد النسكين ، فقصد بيت الله للطواف به وتقبيل الحجر الأسود والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة والمشعر الحرام وغير ذلك ، تعظيم لهذه المشاعر من حيث انها وسيلة لتعظيم الله تبارك وتعالى ، وقصد المدينة المنورة لزيارته صلى الله عليه وسلم تعظيم لقبره من حيث انه وسيلة للسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقصد أي مكان من الأمكنة المدفون فيها نبي أو صالح تعظيم للمكان من حيث انه وسيلة لزيارة المدفون فيه فمنطوق كلامه تعظيم الأمكنة لذاتها وهو فاسد ، لأن المقصد في الحج أو الاعتمار هو تعظيم الله تبارك وتعالى بامتثال أمره والكعبة وسائر المشاعر العظام وسائل لتعظيمه تعالى فتعظيمها ليس لذاتها وانما هو تبع لتعظيم الله تبارك وتعالى ، والمقصد في السفر الى الامكنة من فيها من الأنبياء والأولياء والأمكنة وسائل له ، فتعظيمها ليس لذاتها وانما هو تبع لتعظيم من دفن فيها ، فجعله السفر الى الأماكن المعظمة من جنس الحج فاسد ، وقياسه زُوّار القبور على المشركين الذين يحجون لآلهتهم فاسد أيضا لأنه في مقابلة النص وهو أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بزيارة القبور أمراً مطلقا ، ولو كان السفر اليها معصية ومن جنس الحج = كما زعم = للزم أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أوقع أمته في الشرك لأنه لم يبين لهم أن السفر الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين معصية وشرك ، وللزم أيضا أن يكون تعظيم أعلام دينه تعالى والبدن التي تنحر بمنى اكرم على

Marfat.com

الله من أنبيائه وأوليائه ، ويكون الله تبارك وتعالى حيث قال ان تعظيمها من تقوى القلوب قد أوقع عباده في الشرك وحثهم عليه ، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان .

ومعلوم عند كل من له إلمام بالعلم أن حرمة مطلق مؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة فكيف بالأنبياء والأولياء .

وقد جاءه هذا الغلط القبيح من زعمه : (ان تعظيم المخلوق شرك) ، وهي قضية بدهية البطلان عند العقلاء ، لأن التعظيم المقول بالتشكيك محله القلب ، فهل نقب عن قلوب جميع الزائرين لقبور الانبياء والاولياء ؟ ، فتحقق من كل واحد منهم أنه يعبد ويؤله المزور المقبور ، سبحان الله هذا بهتان عظيم على زائر واحد ، فكيف به على جميع الامة الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ؟ ، لا يتفوه به من له مسكة من عقل ودين .

و (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) قصد به تمييز المساجد الثلاثة على غيرها من مساجد الارض في الأفضلية ، وكون الاستثناء مفرغاً ومتصلاً يعرفه كل من له المام بالعربية ، فلو استظهر هو وجميع المفتونين به بجميع المتشدقة على اثبات منع السفر لزيارة الأنبياء والأولياء عن السلف الصالح الذين يلبس بهم على البسطاء لم يستطيعوا .

وقوله عن أهل الجاهلية إنهم كانوا تارة يعبدون الله وتارة يعبدون غيره كذب مكشوف عليهم وهذا تاريخهم بين أيدينا .

ثم كرر لوك هذا الهذر في ص ٣٧ منه قائلاً : وهذا الذي ذكرنا من أن السفر الى الأماكن المعظمة القبور وغيرها عند أصحابه كالحج عند المسلمين هو أمر معروف من المتقدمين والمتأخرين لفظاً ومعنى ، فانهم يقصدون من دعاء المخلوق والخضوع له والتضرع اليه نظير ما يقصده المسلمون من دعاء الله تعالى والخضوع له والتضرع اليه لكن كما قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) ، وهم يسمون ذلك حجاً اليها ، وهذا معروف عند متقدميهم ومتأخريهم ، ولذلك أهل البدع والضلال من المسلمين كالرافضة وغيرهم يحجون الى المشاهد وقبور شيوخهم وأئمتهم ويسمون ذلك حجاً ويقول داعيتهم السفر الى الحج الاكبر ويظهرون علما للحج اليه إ هـ) .

Marfat.com

أقول : ليتدبر الألباء معنى هذا الهذيان ، (هو معروف من المتقدمين والمتأخرين لفظاً ومعنى) ، ومعنى الاستدراك بالآية الشريفة وليعلموا أن قوله : (فانهم يقصدون من دعاء المخلوق والخضوع له نظير ما يقصده المسلمون من دعاء الله تعالى والخضوع له) بهتان وإفك مبين على الزائرين للقبور ، فان مقاصد القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب ، وليس هو بنبي أوحي اليه بمقاصدهم نعم ! أوحى اليه بذلك شيخه ... ولتيدبروا أيضاً معنى قوله : (وهذا معروف عند متقدميهم ومتأخريهم) ، وان صح قوله : (ويسمون ذلك حجاً ويقول داعيتهم الى آخر الهراء) عن الرافضة وهو مطالب باثبات صحته عنهم فهو على غيرهم من المسلمين بهتان قطعاً يجازيه الله عليه جزاء الباهتين، والثرثرة ليست عليها ضريبة .

كتابه الرد على الاخنائي الذي ثرثر به في ٢٢٠ صفحة

على منوال الجواب العاثر تماماً

وكتابه الرد على الاخنائي في عشرين ومائتي صفحة على منوال الجواب العاثر قال في ص ٩ منه ما نصه : ورأيت كلامه يدل على أن عنده نوعا من الدين كما عند كثير من الناس نوع من الدين لكن مع جهل وسوء فهم وقلة علم حتى قد يجهل دين الرسول الذي هو يؤمن به ويكفر من قال بقول الرسول وصدق خبره وأطاع أمره وقد يجهل أحدهم مذهبه الذي انتسب اليه كما قد يجهل مذهب مالك وغيره من أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ، فان هذه المسألة التي فيها النزاع ـ وهي التي أجبت فيها ـ وان كانت في كتب أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما وقد ذكروا القولين ، وأبو حنيفة مذهبه في ذلك أبلغ من مذهب الشافعي واحمد ، فهي في كلام مالك وأصحابه اكثر ، وهي موجودة في كتبهم الصغار والكبار ، ومالك نفسه نص على قبر نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه انه داخل في هذا الحديث ، بخلاف كثير من الفقهاء فان كلامهم عام ، لكن احتجاجهم بالحديث وغيره يبين أنهم قصدوا العموم وكذلك بيانهم لمأخذ المسألة يقتضي العموم ، فهذا المعترض وأمثاله لا عرفوا ما قاله أئمتهم وأصحاب

Marfat.com

أئمتهم ، ولا ما قاله بقية علماء المسلمين ، ولا عرفوا سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين ، ولا ما كان يفعله الصحابة والتابعون لهم باحسان إ هـ •

ذهابة في تقديس فهمه الى اقصى درجات الغطرسة

وفي تحقير علماء المسلمين الى احط درجات الازدراء

أقول : (أول الدن دُرْدِي) من وقع نظره من الأذكياء على هذه الثرثرة من غير ملاحظة كلامه السابق عليها واطلاع على فتواه التي أبطلها الامام أبو الحسن السبكي لا يفهم منها الا امرين فقط ، ذهابه في تقديس فهمه الى أقصى درجات الغطرسة وفي تحقير علماء المسلمين الى احط درجات الازدراء ، وهما زبدتها فقوله : (ورأيت كلامه) = يعني القاضي الاخنائي = يدل على أن عنده نوعاً من الدين كما عند كثير من الناس نوع من الدين) ، فاسد من سبعة أوجه :

الأول : مجرد كلام الانسان بقطع النظر عن كونه مسلماً لا يدل على دينه سواء جعلت رأى علمية أو بصرية كما هو الظاهر لأن من لا دين له أصلاً قد يتكلم بالكلام الطيب •

الثاني : الدين يشمل أصول الشريعة وفروعها لأنه (وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات قلبياً كان او قالبيا كالاعتقاد والعلم والصلاة)•

الثالث : الدين له أنواع كثيرة من اصول الشريعة وفروعها على هرائه •

الرابع : يقال له أي نوع من أنواع الدين رأيته عند القاضي الاخنائي أمن أصوله أو من فروعه ؟ •

الخامس : المانح للعباد أنواع الدين كلها أصولاً وفروعاً هو الله تبارك وتعالى فقوله (عنده نوع من الدين) دعوى جوفاء لا مبرر لها الا غطرسته يصح أن يقابله الاخنائي بمثلها •

Marfat.com

السادس : لم يكتف في دعوى البهتان بالاخنائي بل بهت ولطخ بها علماء المسلمين بقوله : (كما عند كثير من الناس نوع من الدين) ... سبحان الله هذا بهتان عظيم على الاخنائي وحده فكيف به على علماء المسلمين ؟ فهل جعله الله تعالى رقيباً على دين المسلمين ومنقباً عن قلوبهم فعلم ما فيها وأحصى أنواع دين كل واحد منهم ؟ ، وليس الشتم من اخلاق العلماء وانما يلجأ اليه من يعوزه العلم ووقاره ليسد به الفراغ •

السابع : حيث ثبت أن هذا الهراء مجرد شتم لا مبرر له الا غطرسته ، أقول ينطبق عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (اذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) •

وقوله : (يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه) ، وقوله : (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ... الحديث) ، وقول الشاعر :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وأقول أيضاً : لكل واحد من العلماء الذين سلفهم هذا الذي لا يعرف من تحقيق العلم الا الشتم والتكفير والتحقير • سلمت وهل حي من الناس يسلم ، وبعد اعترافه للاخنائي وغيره من علماء المسلمين بنوع من أنواع الدين استدركه عليهم بدعوى اخرى جوفاء بلغت في الغطرسة والحماقة منتهاها ، (لكن مع جهل وسوء فهم وقلة علم) •

لا يعرف من العلم الا التحقير والتكفير والشتم

ويقال على هرائه هذا اذا كان عند كل واحد من علماء المسلمين نوع واحد من انواع الدين الكثيرة مشوب بجهل وسوء فهم وقلة علم فاي دين بقي له والتدافع في هذا الكلام ظاهر لكل لبيب ، لأن الاخنائي أو غيره من علماء المسلمين اذا كان جاهلاً بنوع واحد من انواع الدين الكثيرة الممنوح له من الشيخ المتغطرس فهو أشد جهلا ببقية أنواعه المفقودة منه من باب أولى ، فلا فهم عنده أصلا لا حسناً ولا سيئاً ، على أن قوله : (وسوء فهم) كلمة ذهبت في الغطرسة الى منتهى غايتها ، يعني أن فهم علماء المسلمين مشروعية شد الرحال لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، سيىء ، وفهمه هو منع

Marfat.com

ذلك حسن ويحق لي ان اتمثل فيه نيابة عن علماء المسلمين بـ (رمتني بدائها وانسلت) والكلام صفة المتكلم •

ويقال في (وقلة علم) ما تقدم ، فليوازن العقلاء بين فهمه الأعوج في هذه المسألة وفهم علماء الاسلام جميعاً ، بقطع النظر عما يؤيدهم من ادلة الكتاب والسنة أيهما اقرب الى الحق والمعقول ؟ •

وقوله : (حتى قد يجهل دين الرسول الذي هو يؤمن به) طعن مكرر في الاخنائي تقدم ابطاله ، وقوله : (ويكفر من قال بقول الرسول) تلبيس وكذب مكشوف على الاخنائي بأنه كفره •

وقد قال (في زعمه) بمنع شد الرحال لزيارة قبر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو : (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) ، أي كفره على فهمه من هذا الحديث منع شد الرحال لزيارة القبور ، وقد تقدم أنه لا دلالة في هذا الحديث على منع شد الرحال لزيارتها لا في منطوقه ولا في مفهومه ، والحقيقة أن الاخنائي ألزمه من استئذانه صلى الله تعالى عليه وسلم ربه في زيارة قبر أمه وغيرها من القبور بأحد أمرين : اما أن يقول بأنها حرام ، وهذا ضلال وكفر ، واما ان يقول بأنها مندوبة أو جائزة ، وقد قامت عليه الحجة بهذا ، وعبارته في رسالته المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية : (وفي الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم استأذن ربه في زيارة قبر امه فأذن له واجيب في ذلك لما سأله) •

فعلام يحمل هذا القائل زيارته لقبر أمه وغيرها ومشيه الذي منه صدر ؟ ، فان حمله على التحريم فقد ضل وكفر ، وان حمله على الجواز أو الندب فقد لزمته الحجة وألقم الحجر إ هـ •

وقوله : (وصدق خبره) تهويش اذ كل مسلم يصدق خبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقوله : (وأطاع أمره) كذلك اذ كل مسلم يطيع أمره صلى الله تعالى عليه وسلم : (وما آتاكُمُ الرسولُ فخذوهُ وما نهاكُمْ عنهُ فانتهوا) ، ولم يأمر صلى الله تعالى عليه وسلم أمته المرحومة بطاعة ابن تيمية في فهمه ، ولم ينهها عن مخالفة فهمه •

Marfat.com

وقوله : (وقد يجهل أحدهم مذهبه الذي انتسب اليه .. إلى قوله فان هذه المسألة) طعن مكرر في الاخنائي وذهاب بنفسه إلى أقصى درجات الغطرسة .

البهتان على شد الرحال لزيارة قبره

صلى الله تعالى عليه وسلم بان فيه نزاعا بين العلماء

وقوله : (فان هذه المسألة التي فيها النزاع الى قوله بخلاف كثير) هراء معمىً ، فلا نزاع بين علماء الاسلام ، وهم متفقون على أن شد الرحال لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل القربات فقوله (التي فيها النزاع) بهتان عليهم وجوابه فيها قد أبطله علماء المسلمين منهم الامامان السبكي والاخنائي وغيرهما .

وقوله : (وان كانت في كتب أصحاب الشافعي واحمد وغيرهما وقد ذكروا القولين) بهتان ثان على كتب المذهبين وعلى غيرهما ، وهي في كتب المذهبين قول واحد وهو استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (وأبو حنيفة مذهبه في ذلك أبلغ من مذهب الشافعي واحمد) بهتان ثالث على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وقد تقدم تحقيقه .

وقوله : (فهيَ في كلام مالك وأصحابه أكثر) بهتان رابع .

وقوله : (وهي موجودة في كتبهم الصغار والكبار) بهتان خامس .

وقوله : (ومالك نفسه نصّ ... الى قوله بخلاف كثير) بهتان سادس ، ولا يستحي هذا المفتون من كثرة البهتان على الأئمة وأصحابهم وأتباعهم ، والحياء من الايمان .

وقوله : (بخلاف كثير من الفقهاء الى قوله فهذا المعترض) هذيان لا يستحق التعليق .

وقوله : (فهذا المعترض وامثاله الى آخر الهراء) بالغ في تزكية نفسه أقصى غاية الغطرسة وفي تحقير الاخنائي وغيره من العلماء أقصى غايته ، سيجازيه الله تعالى عليهما

Marfat.com

جزاء الباهتين المحتقرين عباد الله المتغطرسين ، وقال في آخر ص ٢٠٤ : وهذا المترض وأمثاله التفتوا الى جانب التعظيم لهم دون جانب التوحيد لله والنهي عن الشرك فوقعوا في الغلو والشرك فبقوا مشابهين للنصارى إ هـ •

حكمه على جميع علماء الاسلام بالشرك والكفر

فقد حكم في هذا الهراء على جميع علماء الاسلام السابقين عليه والمعاصرين له والمتأخرين عنه بالشرك والكفر حيث التفتوا كلهم = في زعمه = الى جانب التعظيم لهم ، أي للأنبياء والاولياء ، ولم يعرفوا توحيد الألوهية الذي أوحاه اليه الشيطان ، فقد زعم ان الخلق كلهم عرفوا توحيد الربوبية وجهلوا توحيد الالوهية فكفروا بذلك ، وقد أبطلت زعمه هذا في الفصل الثاني بوجوه كثيرة ، وعبر عن المعرفة في الطرفين بالجانب ، والاخنائي الذي تزثر في الرد عليه بالهراء ، وزعم انه يجهل مذهب امامه الذي انتسب اليه ، ولا يعرف ما قاله إمامه واصحاب إمامه ولا ما قاله بقية علماء المسلمين ولا يعرف سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين •

وزعم أيضاً انه مشرك لتعظيمه ، أي عبادته الانبياء والاولياء بجهله توحيد الالوهية الذي أوحاه اليه ابليس فكفر به المسلمين ترجمه العلامة ابن فرحون في ديباجه فقال : محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي المصري أبو عبد الله المعروف بابن الاخنائي الملقب تقي الدين سمع من ابي محمد الدمياطي وغيره واكثر عن الدمياطي •

وذكر أنه سمع من ابن عساكر بمكة المكرمة ، كان فقيهاً فاضلا صالحاً خيراً صادقاً سليم الصدر ، وكان بقية الاعيان وفقهاء الزمان له تآليف.وأوضاع حسنة مفيدة ، تولى قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية ، وكان من عدول القضاة وخيارهم عَمَّر وأسند ، مولده سنة ثمان وخمسين وستمائة وتوفي سنة خمسين وسبعمائة إ هـ ، ورسالته المسماة بالمقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية مع اختصارها في غاية الاحكام والتحقيق ، وهي مطبوعة في ضمن : (البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة) للعلامة المرحوم الشيخ سلامة العزّامي •

Marfat.com

الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم

قال الامام العلامة ابو الحسن السبكي :

(الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ، إعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه سبحانه وتعالى ، وجواز ذلك وحسنه من الامور المعلومة لكل ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار ، وابتدع ما لم يسبق اليه في سائر الأعصار، ولهذا طعن في الحكاية التي تقدم ذكرها عن مالك فان فيها قول مالك للمنصور استشفع به ، ونحن قد بينا صحتها ، ولذلك أدخلنا الاستغاثة في هذا الكتاب لما يعرض اليها مع الزيارة ، وحسبك أن انكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله وصار به بين أهل الاسلام مثلة ، وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك رأيت من الرأي القويم أن أميل عنه الى الصراط المستقيم ولا أتتبعه بالنقض والابطال ، فان دأب العلماء القاصدين لايضاح الدين وارشاد المسلمين تقريب المعنى الى أفهامهم وتحقيق مرادهم وبيان حكمه ورأيت كلام هذا الشخص بالضد من ذلك فالوجه الاضراب عنه .

التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم جائز

قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته وبعد البعث

(وأقول) : ان التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم جائز في كل حال قبل

Marfat.com

خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة ، وهو على ثلاثة أنواع :

(النوع الاول) أن يتوسل به ، بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به أو بجاهه أو بركته ، فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة وقد ورد في كل منها خبر صحيح .

اما الحالة الأولى قبل خلقه فيدل لذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته ، وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله بن البيع في المستدرك على الصحيحين أو أحدهما (وساق اسناده الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) ، قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ، قال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : (لا اله الا الله محمد رسول الله) ، فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك) .

فقال الله تعالى : صدقت يا آدم انه لأحب الخلق اليّ واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في هذا الكتاب ، ورواه البيهقي أيضا في دلائل النبوة وقال تفرد به عبد الرحمن ، وذكره الطبراني وزاد فيه ، (وهو آخر الأنبياء من ذريتك) .

وذكر الحاكم مع هذا الحديث ايضا عن علي بن حماد العدل ، وساق اسناده الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : أوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام : يا عيسى آمِنْ بمحمد وأمر من أدركه من امتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله فسكن .

قال الحاكم : هذا حديث حسن صحيح الاسناد ولم يخرجاه إنتهى ما قاله الحاكم. والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الاسناد ولا بلغه ان الحاكم صححه

Marfat.com

انه قال ، اعني ابن تيمية ، (اما ما ذكره في قصة آدم من توسله فليس له أصل ولا نقله أحد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد) •

ثم ادعى ابن تيمية انه كذب وأطال الكلام في ذلك جداً بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرص ولو بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك أو لتعرض للجواب عنه ، وكأني به أن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث •

ونحن نقول قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم وايضا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف الى الحد الذي ادعاه وكيف يحل لمسلم ان يتجاسر على منع هذا الامر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع وقد ورد فيه هذا الحديث ، وسنزيد هذا لمعنى صحة وتثبيتاً بعد استيفاء الأقسام •

وأما ما ورد من توسل نوح وابراهيم وغيرهما من الانبياء فذكره المفسرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له ، ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التجوّه والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه متوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأنه جعله وسيلة لاجابة الله دعاءه ، ومستغيث به والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده ، فالباء ههنا للسببية ، وقد ترد للتعدية كما تقول من استغاث بك فأغثه ، ومستشفع به ومتجوّه به ومتوجه فان التجوّه والتوجه راجعان الى معنى واحد •

(فان قلت) : المتشفع بالشخص من جاء به ليشفع له فكيف يصح ان يقال يتشفع به ، (قلت) : ليس الكلام في العبارة وانما الكلام في المعنى وهو سؤال الله بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم = كما ورد عن آدم وكما يفهم الناس من ذلك = وانما يفهمون من التشفع والتوسل والاستغاثة والتجوّه ذلك ، ولا مانع من اطلاق اللغة هذه الألفاظ على هذا المعنى ، والمقصود ان يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع ان له عند الله قدراً ومرتبة ، ولا شك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له عند الله قدرٌ عليٌّ ومرتبة رفيعة وجاه عظيم ، وفي العادة أن من كان له عند الشخص قدر بحيث انه اذا شفع عنده قبل شفاعته ، فاذا انتسب اليه شخص في غيبته وتوسل بذلك وتشفع به فان ذلك الشخص يجيب السائل

Marfat.com

اكراماً لمن انتسب اليه وتشفع به ، وان لم يكن حاضراً ولا شافعاً ، وعلى هذا التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلقه ، ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين الا إياه ، ويكون ذكر المحبوب او العظيم سبباً للاجابة = كما في الأدعية الصحيحة المأثورة = : (أسألك بكل اسم هو لك ، وأسألك بأسمائك الحسنى ، وأسألك بأنك انت الله ، وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك) ، وحديث الغار الذي فيه الدعاء بالأعمال الصالحة ، وهو من الأحاديث الصحيحة المشهورة ، فالمسئول في هذه الدعوات كلها هو الله وحده لا شريك له والمسئول به مختلف ولم يوجب ذلك اشراكاً ولا سؤال غير الله ، كذلك السؤال بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس سؤالاً للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل سؤال الله به ، واذا جاز السؤال بالأعمال وهي مخلوقة ، فالسؤال بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولى ، ولا يسمع الفرق بأن الأعمال تقتضي المجازاة عليها ، لأن استجابة الدعاء لم تكن عليها والا لحصلت بدون ذكرها ، وانما كانت على الدعاء بالاعمال وليس هذا المعنى مما يختلف فيه الشرائع حتى يقال ان ذلك شرع من قبلنا ، فانه لو كان ذلك مما يخل بالتوحيد لم يحل في ملة من الملل ، فان الشرائع كلها متفقة على التوحيد ، وليت شعري ما المانع من الدعاء بذلك ، فان اللفظ انما يتقتضي ان للمسئول به قدراً عند المسئول ، وتارة يكون المسئول به أعلى من المسئول ، أما الباري سبحانه وتعالى ، فكما في قوله من سألكم بالله فأعطوه .

وفي الحديث الصحيح في حديث أبرص وأقرع وأعمى أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن الحديث وهو مشهور . وأما بعض البشر فيحتمل أن يكون من هذا القسم قول عائشة لفاطمة رضي الله تعالى عنهما : أسألك بمالي عليك من الحق ، وتارة يكون المسئول أعلى من المسئول به ، كما في سؤال الله تعالى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم = فانه لا شك أن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدراً عنده ومن أنكر ذلك فقد كفر ، فمتى قال : أسألك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلا شك في جوازه ، وكذا اذا قال بحق محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق الرتبة والمنزلة ، والحق الذي جعله الله تعالى على الخلق أو الحق الذي جعله الله تعالى بفضله له عليه = كما في الحديث الصحيح = قال : فما حق العباد على الله ، وليس المراد بالحق الواجب فانه لا يجب على الله شيء ، وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد عن بعض الفقهاء في الامتناع من اطلاق هذه اللفظة

Marfat.com

التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه

(الحالة الثانية) التوسل به بذلك النوع بعد خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في مدة حياته ، فمن ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه في كتاب الدعوات ، وساق اسناده الى عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه ان رجلاً ضرير البصر ، أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال : ان شئتَ دعوتُ وان شئتَ صبرتَ فهو خير لك ، قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : (اللهم اني أسألك وأتوجّه اليك بنبيّك محمد نبي الرحمة يامحمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم شفّعه فيّ) •

قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر الخطمي •

قال المحقق ابو الحسن السبكي : ورواه النسائي في اليوم والليلة ، وابن ماجه في الصلاة ، ورويناه في دلائل النبوة للحافظ أبي بكر البيهقي ، قال هذا وزاد محمد بن يونس في روايته : (فقام وقد أبصر) •

قال البيهقي : ورويناه في كتاب الدعوات باسناد صحيح وذكر روايات اخرى مؤداها واحد ، قال ابو الحسن وقد كفانا الترمذي والبيهقي رحمهما الله تعالى بتصحيحهما مؤنة النظر في تصحيح هذا الحديث وناهيك به حجة في المقصود •

فان اعترض معترض بأن ذلك انما كان لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفع فيه فلهذا قال له أن يقول : اني توجهت اليك بنبيك ، قلت : الجواب من وجوه :

(احدها) سيأتي أن عثمانُ بن عفان وغيره استعملوا ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك يدل على انهم لم يفهموا اشتراط ذلك •

الثاني انه ليس في الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيّن له ذلك •

الثالث انه ولو كان كذلك لم يضر في حصول المقصود ، وهو جواز التوسل الى

Marfat.com

الله تعالى بغيره ، بمعنى السؤال بها = كما علمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم = وذلك زيادة على طلب الدعاء منه فلو لم يكن في ذلك فائدة لما علمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأرشده اليه ويقول له : اني قد شفعت فيك ، ولكن لعله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يحصل من صاحب الحاجة التوجه بذل الاضطرار والافتقار والانكسار مستغيثاً بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيحصل كمال مقصوده ولا شك ان هذا المعنى حاصل في حضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيبته في حياته وبعد وفاته ، فانا نعلم شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على امته ورفقه بهم ورحمته لهم ، واستغفاره لجميع المؤمنين وشفاعته ، فاذا انضم اليه توجه العبد به حصل هذا الغرض الذي أرشد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الأعمى اليه .

الحالة الثالثة : التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد موته وافاض فيه واجاد

(الحالة الثالثة) أن يتوسل بذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم لما رواه الطبراني في المعجم الكبير ، وساق اسناده الى عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه ، انه رأى رجلاً يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في حاجة له ، فكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف فشكى ذلك اليه ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك فيقضي حاجتي ، وتذكر حاجتك ورُحْ حتى أروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاءه البواب فأدخله على عثمان ابن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه وقضى حاجته ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة .

وقال له أيضا : ما كانت لك من حاجة فاذكرها ، وخرج الرجل من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت اليّ حتى

Marfat.com

اكلمته فيّ ، فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ... = الحديث = ، قال ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط .

قال العلامة المحقق : والاحتجاج من هذا الاثر لفهم عثمان رضي الله عنه ومن حضره الذين هم أعلم بالله ورسوله وفعلهم .

التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه

(النوع الثاني) التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه وذلك في احوال :

احداها : في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا متواتر والأخبار طافحة به ولا يمكن حصرها ، وقد كان المسلمون يفزعون اليه ويستغيثون به في جميع ما نابهم كما في الصحيحين : ان رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما وقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله تعالى يغيثنا ، فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يديه ثم قال : « اللهم أغثنا اللهم أغثنا » فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء فانتشرت ثم أمطرت قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً ... = الحديث = .

وأفاض في الآثار ثم قال : والأحاديث والآثار في ذلك اكثر من ان تحصى ولو تتبعتها لوجدت منها أُلوفاً ، ونص قوله تعالى : (ولو انهم اذ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ جاؤك فاستغفَروا اللهَ واستغْفَرَ لهُمُ الرسولُ ...) الآية ـ صريح في ذلك ، ولذلك يجوز ويحسن مثل هذا التوسل بمن له نسبة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، كما كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اذا قحط استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ويقول : اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاسقنا قال فيسقون = رواه البخاري من

Marfat.com

حديث أنس = واستسقى به عام الرمادة فسقوا ، وروى أنه لما استسقى عمر بالعباس وفرغ عمر من دعائه ، قال العباس : اللهم انه لم ينزل من السماء بلاء الا بذنب و يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وذكر دعاء فما تم كلامه حتى ارتجت السما بمثل الجبال •

وكذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين ، وهذا شيء لا ينكره مسلم بل متدين بملة من الملل •

فان قيل : لم توسل عمر بن الخطاب بالعباس ولم يتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو بقبره ؟ • قلنا : ليس في توسله بالعباس انكار للتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالقبر •

وقد روي عن ابي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقالت : انظروا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا ، فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق ، ولعل توسل عمر بالعباس رضي الله عنه لأمرين :

(أحدهما) : ليدعو كما حكينا من دعائه •

(والثاني) : انه من جملة من يستسقى ويتفع بالسقيا ، وهو محتاج اليها بخلاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الحالة فانه مستغن عنها ، فاجتمع في العباس الحاجة وقربه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشيبه ، والله تعالى يستحي من ذي الشيبة المسلم فكيف من عم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجيب دعاء المضطر ، فلذلك استسقى عمر بشيبته ، فان قال المخالف : انا لا أمنع التوسل والتشفع لما قدمتم من الآثار والأدلة وانما أمنع اطلاق التجوه والاستغاثة ، لان فيهما ايهام ان المتوجه به والمستغاث به اعلى من المتوجه عليه والمستغاث عليه •

(قلنا) : هذا لا يعتقده مسلم ولا يدل لفظ التجوه والاستغاثة عليه فان التجوه من

Marfat.com

الجاه والوجاهة ، ومعناه علو القدر والمنزلة ، وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى جاهاً منه ، والاستغاثة ؛ طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه •

فالتوسل والتشفع والتجوه والاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين ليس لها معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بها أحد منهم سواه ، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأله العافية ، واذا صح المعنى فلا عليك في تسميته توسلا أو تشفعاً أو تجوها أو استغاثة ، ولو سلم ان لفظ الاستغاثة يستدعي النصر على المستغاث منه ، فالعبد يستغيث على نفسه وهواه والشيطان وغير ذلك مما هو قاطع له عن الله تعالى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين متوسلاً بهم الى الله تعالى ليغيثه على من استغاث منه من النفس وغيرها ، والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسطة بينه وبين المستغيث •

الثانية : بعد انتقاله صلى الله تعالى عليه وسلم

(الحالة الثانية) بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم في عرصات القيامة بالشفاعة منه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك مما قام الاجماع عليه وتواترت الأخبار به •

(الحالة الثالثة) المتوسطة في مدة البرزخ ، وقد ورد هذا النوع فيها أيضاً وساق اسناده فيه الى الحافظ ابي بكر البيهقي ، واسناد هذا الى مالك الدار ، قال هذا : أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال يا رسول الله استسق الله لأمتك فانهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام ، فقال ائت عمر فاقرأه السلام وأخبره انهم مسقون ، وقل له عليك الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال : يارب ما آلو الا ما عجزت عنه ، ومحل الاستشهاد من هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته في مدة البرزخ ولا مانع ، فان دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لربه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع ، وقد وردت الأخبار على ما ذكرنا ونذكر طرفاً منه ، وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال من يسأله ورد أيضا

Marfat.com

ومع هذين الأمرين فلا مانع من أن يسأل الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاستسقاء كما كان يسأل في الدنيا •

النوع الثالث من التوسل

(النوع الثالث) من التوسل ان يطلب منه ذلك الأمر المقصود ، بمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قادر على التسبب فيه ، بسؤاله ربه وشفاعته اليه ، فيعود الى النوع الثاني في المعنى ، وان كانت العبارة مختلفة ، ومن هذا قول القائل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : اسألك مرافقتك في الجنة ، قال اعني على نفسك بكثرة السجود ، والآثار في ذلك كثيرة ايضا ، ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك إلا كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سبباً وشافعاً ، وكذلك جواب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وان ورد على حسب السؤال = كما روينا في دلائل النبوة للبيهقي بالاسناد الى عثمان بن أبي العاص = قال: شكوت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سوء حفظي للقرآن ، فقال شيطان يقال له خِنْزب ادن مني يا عثمان ، ثم وضع يده على صدري فوجدت بردها بين كتفيّ وقال : اخرج يا شيطان من صدر عثمان ، قال : فما سمعت بعد ذلك شيئاً الا حفظته •

فانظر أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالخروج للشيطان ، للعلم بأن ذلك باذن الله تعالى وخلقه وتيسيره ، وليس المراد نسبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق والاستقلال بالأفعال ، هذا لا يقصده مسلم فصرف الكلام اليه ومنعه من باب التلبيس في الدين والتشويش على عوام الموحدين ، واذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر المعنى ، فلا عليك في تسميته توسلاً او تشفعاً او استغاثة أو تجوها او توجها ، لأن المعنى في جميع ذلك سواء •

(اما التشفع) فقد سبق في الأحاديث المتقدمة قول وفد بني فزارة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : تشفع لنا الى ربك ، وفي حديث الأعمى ما يقتضيه ايضاً ، والتوسل في معناه ، واما التوجه والسؤال ففي حديث الأعمى والتجوه في معنى التوجه ، قال تعالى في حق موسى عليه الصلاة والسلام : (وكان عندَ اللهِ وجيهاً)، وقال في حق عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : (وجيهاً في الدنيا والآخرة) ، قال المفسرون : وجيهاً اي

Marfat.com

ذا جاه ومنزلة عنده ، وقال الجوهري في فصل وجه وجيهاً ذا جاه وقدر ، وقال الجوهري ايضاً في فصل جوه الجاه القدر والمنزلة وفلان ذو جاه وقد أوجهته ووجهته أنا ، اي جعلته وجيهاً •

وقال ابن فارس : فلان وجيه ذو جاه ، اذا عرف ذلك فمعنى تجوّه توجه بجاهه وهو منزلته وقدره عند الله تعالى اليه •

(واما الاستغاثة) فهي طلب الغوث وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده كقوله تعالى : (إذ تستغيثون ربَّكُمْ) ، وتارة يطلب ممن يصح اسناده اليه على سبيل الكسب ، ومن هذا النوع الاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي هذين القسمين تعدى الفعل تارة بنفسه كقوله تعالى : (اذ تستغيثونَ ربَّكُمْ) ، (فاستغاثَهُ الذي مِنْ شيعتِهِ) ، وتارة بحرف الجر = كما في كلام النحاة = في المستغاث به ، وفي كتاب سيبويه رحمه الله تعالى ، فاستغاث بهم ليشتروا له كليباً ، فيصح ان يقال : استغثت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واستغثت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى واحد ، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه على النوعين السابقين في التوسل من غير فرق وذلك في حياته وبعد موته ويقول : استغثت الله واستغثت بالله ، بمعنى طلب خلق الغوث منه ، فالله تعالى مستغاث فالغوث منه خلقا وايجادا •

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستغاث والغوث منه تسبباً وكسباً ، ولا فرق في هذا المعنى بين ان يستعمل الفعل متعدياً بنفسه او لازماً او تعدى بالباء ، وقد تكون الاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه آخر وهو ان يقال : استغثت الله تعالى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم = كما تقول = سألت الله تعالى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيرجع الى النوع الأول من أنواع التوسل ويصح قبل وجوده وبعد وجوده ، وقد يحذف المفعول به ويقال : استغثت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى ، فصار لفظ الاستغاثة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم له معنيان :

(أحدهما) : أن يكون مستغاثاً •

(والثاني) : ان يكون مستغاثاً به ، والباء للاستغاثة ، فقد ظهر جواز اطلاق الاستغاثة والتوسل جميعاً ، وهذا أمر لا يشك فيه ، فان الاستغاثة في اللغة طلب الغوث ،

Marfat.com

وهذا جائز لغة وشرعاً من كل من يقدر عليه بأي لفظ عبر عنه = كما قالت أم اسماعيل = : آغث ان كان عندك غواث •

وقد روينا في المعجم الكبير للطبرانَي حديثا ظاهره قد يقدح في هذا وساق اسناد الطبراني الى ابي بكر قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه : قوموا نستغيث برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إنه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله عز وجل) ، وهذا الحديث في اسناده عبد الله بن لهيعة ، وفيه كلام مشهور فان صح الحديث فيحتمل معاني :

(احدها) : ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان قد اجرى على المنافقين أحكام المسلمين بأمر الله تعالى فلما آبا بكر ومن معه استغاثوا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فأجاب بذلك ، يعني أن هذا من الأحكام الشرعية التي لم ينزل الوحي بها وأمرها الى الله تعالى وحده ، والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعرف الخلق بالله تعالى فلم يكن يسأل ربه تغيير حكم من الاحكام الشرعية ولا يفعل فيها الا ما يأمره به ، فيكون قوله : لا يستغاث بي عاماً مخصوصاً ، أي لا يستغاث بي في هذا الأمر ، لأنه مما استأثر الله تعالى به ولا شك ان من أدب السؤال ان يكون المسئول ممكناً فكما انا لا نسأل الله تعالى الا ما هو في ممكن القدرة الالهية كذلك لا نسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ما يمكن أن يجيب اليه •

(والثاني) ان يكون ذلك من باب قوله : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم ، اي أنا وان استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى ، وكثيراً ما تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة الأمر ويجيء القرآن باضافة الفعل الى مكتسبه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لن يدخل أحداً منكم الجنة عملُه) ، مع قوله تعالى : (ادخلوا الجنَّةَ بما كنتُم تعملونَ) ، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعليّ كرم الله وجهه : (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً) ، فسلك الأدب في نسبة الهداية الى الله تعالى ، وقد قال تعالى : (وجعلنا منهُمْ أئمَّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا) ، فنسب الهداية اليهم • وذلك على سبيل الكسب ، ومن هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم : (وإنك لتهدِي الى صراط مُسْتَقِيم) •

Marfat.com

وأما قوله تعالى : (انَّكَ لا تهْدي من أحبَبْت) ، فالأحسن أن يكون المراد به التسلية ، والحمل عن قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عدم اسلام عمه أبي طالب، فكأنه قد قيل انت وفّيت بما عليك وليس عليك خلق هدايته ، لأن ذلك ليس اليك فلا تذهب نفسك عليه •

وبالجملة إطلاق لفظ الاستغاثة بالنسبة لمن يحصل منه غوث اما خلقاً وإيجاداً وإما تسبيا وكسباً أمر معلوم لا شك فيه لغة وشرعاً ، ولا فرق بينه وبين السؤال فتعين تأويل الحديث المذكور ، وقد قيل ان في البخاري في حديث الشفاعة يوم القيامة « فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم » ، وهو حجة في اطلاق لفظ الاستغاثة ، ولكن ذلك لا يحتاج إليه ، لان معنى الاستغاثة والسؤال واحد ، سواء عبر عنه بهذا اللفظ أم بغيره ، والنزاع في ذلك نزاع في الضروريات وجوازه شرعاً معلوم ، فتخصيص هذه اللفظة بالبحث مما لا وجه له ، وانكار السؤال بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخالف لما قدمنا من الأحاديث والآثار وما أشرنا اليه مما لم نذكره إ هـ ، هذا آخر الباب الثامن •

قد اطلعت على ثرثرة لابن تيمية

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

وقد اطلعت على ثرثرة لابن تيمية في التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذكرها برمتها ثم ابطلها •

قال في الجزء الاول من فتاواه ص ٢٩٣ و ٢٩٤ مسألة في التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هل يجوز أم لا •

الجواب : الحمد لله ، اما التوسل بالايمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه فهو مشروع باتفاق المسلمين ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتوسلون به في حياته وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه كما كانوا يتوسلون به ، واما قول القائل : اللهم اني أتوسل اليك

Marfat.com

به ، فللعلماء فيه قولان كما لهم في الحلف به قولان ، وجمهور الأئمة كمالك والشافعي وأبي حنيفة على انه لا يسوغ الحلف به كما لا يسوغ الحلف بغيره من الانبياء والملائكة، ولا تنعقد اليمين بذلك باتفاق العلماء ، وهذا إحدى الروايتين عن أحمد ، والرواية الاخرى تنعقد اليمين به خاصة دون غيره ، ولذلك قال احمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه انه يتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه ، ولكن غير أحمد قال : إن هذا اقسام على الله به ولا يقسم على الله بمخلوق ، وأحمد في احدى الروايتين قد جوز القسم به ، فلذلك جوز التوسل به ، ولكن الرواية الاخرى هي قول جمهور العلماء إنه لا يقسم به ، فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء ، فانا لا نعلم أحداً من السلف والأئمة قال : إنه يقسم على الله ، كما لم يقولوا إنه يقسم بهم مطلقاً ، ولهذا أفتى أبو محمد بن عبد السلام انه لا يقسم على الله بأحد من الملائكة والأنبياء وغيرهم ، لكن ذكر له أنه روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حديث في الاقسام به فقال : ان صح الحديث كان خاصاً به ، والحديث المذكور لا يدل على الاقسام به ، وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) ، وقال : (من حلف بغير الله فقد أشرك) ، والدعاء عبادة ، والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع إ هـ .

أقول : كلامه من اول الجواب الى قوله وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتوسّلون به ، باطل بستة أوجه :

الاول : هو السائل لنفسه أو أحد المفتونين به ، وعلى كل فالسؤال غير محرر ، وتحريره = على رأيه = أن يقول : هل يجوز التوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم أم لا ، لأنه زعم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا جاه له فالتوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عنده شرك وعبادة للمتوسَّل به .

والمتوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم مشرك عابد له عليه الصلاة والسلام ، لأنه = في زعمه = التفت الى جانب تعظيم الرسول وأهمل جانب توحيد الالوهية الذي جهله جميع المسلمين ولم يعرفوا = في زعمه = الا توحيد الربوبية الذي شاركهم فيه جميع الكفار ، ويكون الجواب المطابق لرأيه أن يقول بايجاز : لا يجوز ذلك فَهَذْرُهُ

Marfat.com

بما هو مشروع باتفاق المسلمين دسس وتلبيس •

الثاني : معنى التوسل والوسيلة لغة عام فالتوسل لغة التقرّب ، والوسيلة كل ما يتوسل به الى المقصود وعلى هذا المفسرون ، فقد حكى ابو جعفر بن جرير في تفسيره في معناها ثلاثة أقوال : القربة عن سبعة من علماء التابعين ، والمسألة عن السدى ، والمحبة عن ابن زيد ، ومعلوم لكل لبيب ان القربة عامة ، ولذلك اقتصر عليها البغوي في تفسيره والنّيسابوري في تفسيره قال : ولهذا (أي لأجل عموم الوسيلة لغة) قد تسمى السرقة توسلاً ، وجعل منها اجتناب النواهي وامتثال الأوامر ، والخطيب الشربيني قال في تفسيره: اطلبوا ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي ،والزمخشري قال في تفسيره : كل ما يتوسّل به أي يتقرب به من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك إ هـ •

فتحقق بهذا عموم معنى التوسل والوسيلة ، وعليه فتتناول قول الناس اللهم إني أتوسل إليك بفلان وتتناول أيضاً يا فلان ادع الله لي ، فان طلب دعاء الغير وسيلة إلى الله تعالى إذ هو من قبيل الشفاعة •

وتتناول أيضا احضار من يتوسل به ، ودعا الله بحضرته كاحضار الفاروق للعباس ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما ، أو الاتيان به مجرداً عن الدعاء رجاء ان ينصرهم الله تعالى بوجوده معهم في الحروب كما أشار الامام البخاري الى ذلك في صحيحه ، حيث ترجم بما يدل على الاستعانة في الحروب بالضعفاء وأخرج فيه ما يدل على ان الاستعانة لمجرد الحضور •

وتتناول أيضا زيارة الصلحاء لتعود بركتهم على الزائر فجميع هذا يقصد منه التوجه الى الله تعالى والتقرب اليه بالمتوسل به ولا محذور في ذلك ، ولا يعد عبادة للمتوسل به ، وقد تقدم في بحث العبادة أن ارادة نفع الجاه المجردة عن التذلل لمن يراد جاهه ليست من العبادة في شيء ، لأن التذلل والحالة هذه حقيقة انما هو لله تعالى ، والتوسل اليه تعالى بالمعظم عنده مما يقوي ذلك ويؤكده ، فقصره التوسل المشروع على أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأفعال العباد جهل باللغة أو تحكم فيها لا مبرّر له إلاّ هواه •

الثالث : قوله (المأمور بها في حقه) افتراء على الله تعالى ، فانه تعالى لم يأمر في كتابه العزيز بالتوسل بأفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعال العباد فقط بل أمر بالوسيلة اليه

Marfat.com

آمراً مطلقاً وقرنها بالجنسية ، فهي عامة في الأقوال والأعمال والذوات شاملة لما ذكره ، وللتوسل بذاته صلى الله عليه وسلم ، اي جاهه الذي منعه وكفر به المسلمين المتوسلين بالقياس الفاسد فشاق الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين •

ومن الآيات القرآنية الدالة على التوسل والتشفع بالمقربين لا سيما سيد المرسلين قوله تعالى : (وكانوا من قبل يستفتِحُونَ على الذينَ كفروا فلما جاءَهُمْ ما عرَفُوا كفروا به فلعْنَةُ اللهِ على الكافرين) ، اتفق المفسرون على انها نزلت في يهود خيبر •

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان يهود خيبر يقاتلون غطفان كلما التقوا هزمت غطفان اليهود فعاذت اليهود بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق هذا النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان الا نصرتنا عليهم ، فصاروا بعد اذا التقوا دعوا به فيهزمون غطفان ، فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم كفروا به فأنزل الله تعالى الآية ، فليتدبر العقلاء هذه المكانة التي له صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه كيف كان يستجيب لمن هو كافر به ، ويعلم تعالى أنه يكون من أشد الناس عداوة له وايذاءً ، وكان ذلك قبل بروزه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الوجود ، فكيف وقد بعث رحمة للعالمين ، فمن منع التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم فقد أعلم الناس أنه أسوأ حالاً من اليهود •

قال ابن القيم في بدائع الفوائد : إن اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية ويستنصرون عليهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ظهوره فيفتح لهم وينصرون عليهم ، فلما ظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفروا به وجحدوا نبوته فاستفتاحهم به مع جحد نبوته مما لا يجتمعان ، فان كان استفتاحهم به لأنه نبي كان جحد نبوته محالاً وان كان جحد نبوته = كما يزعمون حقاً = كان استفتاحهم به باطلاً ، وهذا مما لا جواب لأعدائه عنه ألبتة إ هـ •

ومن الآيات القرآنية الدالة على الطلب من المخلوق ولو لما لا يقدر عليه الا الله اذا كان في مقام الكرامة للأولياء قوله تعالى عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام : (يا أيها الملأُ أيكُمْ يأْتيني بعرشِها قبلَ أنْ يأْتوني مسلمينَ •• الآية) ، فطلب من

Marfat.com

لأ ، وهم الجن والانس وفيهم مردة الشياطين ، فأتى به الذي عنده علم من الكتاب لم يتخلخل •

وقد أجمع أهل العلم ان هذا من نوع الكرامة ، والله تعالى ذكره في كتابه العزيز مقام الافتخار لذلك الرجل الصالح ولم يعتب على سليمان ولم يقل له لِمَ دعوت غيري وأنا أقرب اليك من حبل الوريد ، وعبيدي غير قادرين على هذا الامر الذي لا يقدر عليه غيري ، وذلك لأن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام يعلم أن ذلك من التماس لأسباب ، وهو من المشروع الذي أمر الله تعالى به وكذلك الطلب من الرسول صلى الله عالى عليه وسلم أو من شهداء وصلحاء امته انما هو من نوع الكرامة والتسبب ، والفاعل لحقيقي في ذلك هو الله تعالى ، وكرامات الأولياء داخلة في معجزات الأنبياء لأنها واسطتهم تكون للأولياء بسبب متابعتهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام •

الرابع : قوله ايضا : (المأمور بها في حقه) ، افتراء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلو استظهر هو وجميع المفتونين به بالثقلين على اثبات ان الرسول صلى الله عالى عليه وسلم أمر بالتوسل بأفعاله وأفعال العباد فقط لم يستطيعوا ذلك •

وحديث الأعمى نص صريح في التوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكذلك قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ، وقد أوّله في ردّه على الاخنائي ص ١٩٨ بحذف مضاف قال ومعنى : (كنا نتوسل اليك بنبينا) ، أي بدعائه وشفاعته ، ولم يرد عمر بقوله : (كنا نتوسل اليك بنبينا) ، أي نسألك بحرمته ، وتر تر ثم قال : (وكثير من الناس يغلط في معنى قول عمر) ، وكلامه هذا فاسد بأربعة أوجه :

الاول : كلام أمير المؤمنين عمر نص في التوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقبل التأويل •

الثاني : الحذف على خلاف الأصل •

الثالث : الارادة محلها القلب ولا علم له بأن عمر لم يرد التوسل بحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم الا من وحي الشيطان إليه •

Marfat.com

الرابع : لو كان فهمه عدم جواز التوسل بحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم من ك
عمر هذا صحيحاً ، وفهم علماء الاسلام قاطبة الذين عبر عنهم بالكثير ، وزعم أنهم غلط
في معنى قول عمر منه جواز ذلك فاسداً لكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملبساً مو
رعيته والمسلمين جميعا في الشرك = برأه الله من ذلك = ، ولكان الواجب عليه لرع
= على مقتضى فهمه = أن يقول : اللهم انا كنا نتوسل اليك بدعاء نبيك وشفاعته ، تل
وتخبط هذا المفتون في ابطال صريح توسل الفاروق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسل
فجعله هنا على حذف مضاف ، وفي الثرثرة التي أنا بصدد ابطالها جعل توسله بالعبا
وعدم توسله بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم دليلاً على عدم جواز التوسل بجاهه ص
الله تعالى عليه وسلم = كما تلوّن وتخبط في كتبه في إبطال حديث الأعمى =
= وكما تلون وتخبط في الاسباب والموانع في رسالته الواسطة بين الخلق والحق =
وهي في خمسة أوراق ، فقد جزم في أولها بأنه لا واسطة بين الخلق والخالق
بالرسالة ، وناقض نفسه في وسطها فمشى على نهج أهل الحق فقال : (فالالتفات
الاسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب ان تكون اسباباً نقص في العقل ، والاعرا
عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع إ هـ) .

الخامس : (اللهم بحق السائلين عليك) الذي طفحت بذكره كتب الحنابلة ن
صريح في التوسل بحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ، فان الحق هو الحرمة والمنز
والجاه قطعاً ، أيكون يا عباد الله لكل مؤمن سائل حق وحرمة عند الله ولا يكون ذ
لسيد الوجود ؟ ، انها لا تعمى الأبصار .

السادس : الصحاح والسنن والمسانيد مملوءة بالتبرك والتسبب بالذوات ، فمن ذ
قول عروة بن مسعود الثقفي لقريش يوم الحديبية : لقد رأيت ملوك الروم وفار
وما رأيت قوماً يعظمون صاحبهم مثل تعظيم اصحاب محمد لمحمد ، انه ليرمي بالنخ
فما تقع إلا في يد أحدهم فيدلك بها وجهه ، ومن ذلك ازدحام الصحابة على وضوئه ص
الله تعالى عليه وسلم متبركين به ، فكان الذي لا يصل الى لمس اعضائه الشريفة للبلل يأ
من بلل يد صاحبه ، ومن ذلك قسم أبي طلحة الانصاري رضي الله عنه شعر رأ
الشريف لما حلقه عام حجة الوداع بين الصحابة ، وقد أخذ خالد بن الوليد رضي

Marfat.com

الى عنه شعرات من شعر ناصيته صلى الله تعالى عليه وسلم وخاطها في قلنسوة ولبسها
ل : فما حضرت زحفاً مهما كثر العدو إلا وتبين النصر بين عيني ، أيرزق خالد النصر
ى أعدائه بشعرات من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتوسل الى الله تعالى بجاهه •

ومن ذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مر على قبرين فقال : إنهما يعذبان وما
عذبان في كبير ، ودعا بعسيب فشقه وجعل على كل قبر نصفاً وقال لعله يخفف عنهما
ا لم ييبسا ، ولا شك ان الجريد ذات ، وليس هذا خاصا بالنبي صلى الله تعالى عليهوسلم
حتى يقال ان ارتفاع العذاب عنهما بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل اجمع العلماء على
العمل به في كل عصر ، أيجوز التسبب بجريد النخل وهو ذات ولا يجوز التوسل
والتسبب بذات سيد الوجود ، فاي عقل لمن يمنع ذلك ، ومن ذلك شرب مالك بن سنان
رضي الله عنه دمه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم : (لن
تصيبك النار) ، وشرب عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما دم حجامته صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم : (ويل لك من الناس وويل لهم منك لا
تمسك النار الا تحلة القسم) ولم ينكر فعله •

ومن ذلك شرب أم أيمن بوله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها صلى الله تعالى عليه
وسلم : (انك لا تشتكي بطنك بعد يومك هذا) ، فيا امة الاسلام أيكون الدم والبول
الخارجان من ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم سببا لدفع النار والوجع عن شاربهما ؟ ويمتنع
التسبب والتوسل بذاته الى الله تعالى ؟ وهي من نور الله تعالى = كما في حديث جابر
وغيره = فهل يعد المانع للتوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم من الأعداء أو من
الأصدقاء ؟ •

وقوله : (وكان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون به) دليل على مشروعية
التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه ليس بعبادة للمتوسَّل به = كما زعم = •

وقوله : (في حياته) تقييد فاسد ودعوى كاذبة ، لأن الأصل في كل مشروع للامة
كتاباً او سنة أن لا يتقيد بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بزمن مخصوص بل على
الاطلاق والتأبيد عند علماء الاسلام قاطبة ، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ناسخ ولا
مخصص ولا مقيد للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مشروعيته ، واتفاق العلماء

Marfat.com

عليها ، وفعل الصحابة رضوان الله عليهم له ، حجة دامغة له ، وتقييده مشروعيته بأفعال صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعال العباد ، فاسد ، لا مبرر له إلا هواه ، ولو كان صحيحا لكان صلى الله تعالى عليه وسلم ملبساً على أمته المرحومة = برأه الله من ذلك وصلى عليه = ولكان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم لنصح امته والشفقة عليها أن يقول لهم : (لا تتوسلوا الا بأفعالي وأفعالكم) ولا يوقعها في اللبس ، وتقييده أيضا مشروعية بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم فاسد لا مبرر له الا هواه ، ولو كان صحيحاً للزم منه تلبيسه صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته المرحومة = برأه الله من ذلك وصلى عليه = ولكان الواجب عليه لها لنصحها والشفقة عليها أن يقول : (لا تتوسلوا بي بعد وفاتي) ولا يوقعها في اللبس ، على أنها دعوى كذبتها الأحاديث الثابتة في توسل الصحابة رضي الله عنهم به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته كحديث عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه ، وقوله : (وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه كما كانوا يتوسلون به) ، تمسك" على تقييده الفاسد بالعدم وهو جعله توسل الفاروق بالعباس عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتركه التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم دليلاً على منع التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته ، والترك عدم ، والعدم ليس بدليل عند جميع العقلاء ، وهذا يدل على جهله بالدليل وباصول الفقه جهلا مركباً كما هو جاهل باللغة وأصول الدين .

ولما كان هذا النوع من التوسل وهو خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصلى وصلاته بهم ركعتين ودعاؤه لهم غير ممكن بعد انتقاله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الدار الآخرة ، خرج أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه الى المصلى والحق له في الاستسقاء بالناس كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ، ولكنه تنازل عن حقه لعم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه تعظيماً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوقيراً ومبالغة منه في التوسل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطاع ، واشادة بفضل أهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم .

والعباس لما دعا توسَّل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال : (وقد تقرب القوم بي اليك لمكاني من نبيك) ، أي لقرابتي له ، (فاحفظ اللهم نبيك في عمه) يعني اقبل دعائي لأجل نبيك ، ومن فهم من توسل الفاروق بالعباس أنه انما توسل به

Marfat.com

لم يتوسل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأن العباس حيّ ، والنبي صلى الله الى عليه وسلم ميت ، فقد فسد جنانه واستحوذ عليه شيطانه ، على أن عمر رضي الله ه لم يتوسل بالعباس من حيث ذاته وشكله وانما توسل به من حيث قرابته من رسول ه صلى الله تعالى عليه وسلم .

ولا ريب عند كل عاقل أن القرابة معنى من المعاني ، فهي الوجاهة والمنزلة .

ولا ريب أيضا عند كل من له مسكة من عقل ودين ان الوجاهة صفة ملازمة احبها ، لا فرق بين وجوده في الدنيا وبين انتقاله الى الآخرة ، فوجاهته صلى الله تعالى به وسلم عند ربه ملازمة له في الدارين ، وهذا مما لا يشك فيه الا من استحوذ عليه يطان ، كما أنّ حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وحياة جميع اخوانه الأنبياء عليهم صلاة والسلام في قبورهم ، لا يشك فيها مسلم .

وقد استفاضت الأحاديث بذلك ، فمن قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم انقطع جاهه د موته فهو مُضَاه لمن قال : انقطعت رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ، ولا لاف بين علماء الاسلام في كفر من قال بانقطاع رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته .

وقوله : (وأما قول القائل : اللهم اني أتوسل اليك به فللعلماء فيه قولان) : تلبيس كذب مكشوفان .

افتراؤه على العلماء بان لهم في التوسل به صلى الله عليه وسلم قولين

فالتوسل مشروع معروف لم ينكره أحد من أهل الملل ، ولم يقل أحد من علماء سلام (فيه قولان) : فهو قول واحد لعلماء الاسلام قاطبة ، وهو الجواز ضم اليه رأيه اسد ولبس به على البسطاء وافترى على العلماء ، فلو كان صادقاً أميناً على نقل العلم عن لماء لعزا كل قول منهما الى قائله من العلماء الذين لبس بلفظهم ، ولو كان صادقا حققاً لبيّن القولين ، هل هما مثلا بالجواز والمنع أو بالمنع والكراهة ؟ ، ولو كان صادقاً

Marfat.com

محققاً ما تركهما من غير توضيح ووثب الى الثرثرة فيما لم يسأل عنه ، وهو الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم •

وقوله : (كما لهم في الحلف به قولان ، الى قوله ولِذلِكَ قال احمد في منسكه الذي كتبه للمروزي) طفرة الى غير مسؤول عنه قبل توضيحه المسؤول عنه وتلبيس فان الأكثرين من أصحاب وأتباع الامام احمد على لزوم الكفارة لمن حلف به صلى الله عليه وسلم وحنث واحتجوا له بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم شطر الايمان ، فاليمين تنعقد به •

قال ابن قدامة في مغنيه :

(فصل) ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق كالكعبة والانبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها ، هذا ظاهر كلام الخرقي ، وهو قول اكثر الفقهاء ، وقال أصحابنا : الحلف برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمين موجبة للكفارة ، وروي عن احمد أنه قال : إذا حلف بحق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحنث فعليه الكفارة ، قال أصحابنا : لأنه أحد شرطي الشهادة ، فالحلف به موجب للكفارة كالحلف باسم الله إ هـ •

الاكثرون من اصحاب واتباع الامام احمد

على لزوم الكفارة لمن حلف به صلى الله تعالى عليه وسلم وحنث

وقال ابن مفلح في الفروع جـ ٣ ص ٧٠٣ :

وتلزم الكفارة حالفاً بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اختاره الأكثرون ، واختار ابن عقيل ذلك في كل نبي إ هـ •

وقوله : (ولذلك قال احمد في منسكه الذي كتبه للمروزي الى قوله ولكن احمد) ، ذكره الحنابلة في كتبهم وأخذوا منه جوازَ أو استحبابَ التوسل بالصالح

Marfat.com

تنصيص الحنابلة في كتبهم على التوسل بالصالحين

قال ابن مفلح في الفروع جـ ١ ص ٥٩٥ : ويجوز التوسل بصالح وقيل يستحب ، ل أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي إنه يتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عائه ، وجزم به في المستوعب وغيره إ هـ • وقال في كشاف القناع : وقد استسقى عمر لعباس ومعاوية بيزيد بن الاسود واستسقى به الضحاك مرة اخرى ، ذكره الموفق الشارح ، وقال السامري وصاحب التلخيص : لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ العلماء المتقين •

وقال في المذهب يجوز ان يستشفع برجل صالح وقيل يستحب •

قال احمد في منسكه الذي كتبه للمروزي : إنه يتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه بسلم في دعائه ، وجزم به في المستوعب وغيره إ هـ •

قال حامد الفقي في تعليقه على كشف القناع :

يريد الامام احمد التوسل بطاعته واتباع هديه صلى الله تعالى عليه وسلم لا التوسل بجاهه

وقد علق على كلام الامام احمد هذا حامد الفقي في الطبعة الجديدة من كشاف لقناع بقوله : يريد الامام رضي الله تعالى عنه : التوسل بطاعته واتباع هديه صلى الله تعالى عليه وسلم لا التوسل بجاهه = كما يفعله المبتدعون الغارقون في بحار الغفلة لتقليدهم لأعمى وهم لا يشعرون = ، وهذا الذي حققه الامام ابن تيمية رحمه الله وغيره من علماء السلف الصالح إ هـ •

هذا المؤجر كامامه لا يحسن غير الشتم والتحقير

لينظر الألباء كلام هذا المؤجر الذي لا يحسن من العلم الا بضاعة شيخه الحراني

Marfat.com

شتم علماء الأسلام وتكفيرهم وتحقيرهم ، فأصحاب الامام احمد واتباعه آلاف الفق
كانوا كلهم = في رأي هذا السفيه = مبتدعة غارقين في بحار الغفلة حيث لم يفهم
المراد من كلام امامهم العربي الواضح ، وهو (انه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم
دعائه) ، فحملوه على التوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم غلطاً منهم ، ولم يشعر
بهذا الغلط العظيم حتى جاء امامه الحرّاني في المائة الثامنة ففهم مراد الامام احم
وحققه ، وبهتانه على علماء السلف الصالح ، ولا أحد من علماء السلف والخلف ايض
قال بهذا فلفظ (وغيره الى آخر الهراء) بهتان على السلف ، ولو كان صادقا لسمّى
ولو واحداً من هذا الغير المفرغ في صيغة التلبيس التي يتسنمها الدجالون الأفاكون وتروج
عند الأغبياء .

تلبيسه وخلطه بين التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والاقسام على الله به

وقوله : (ولكن غير أحمد قال ان هذا اقسام على الله به الى قوله وأحمد في احدى
الروايتين) تلبيس ، فغير من صيغ التلبيس التي سنها هذا المفتون لمؤلهي رأيه ، وهي
متوغلة في الابهام باتفاق أهل اللسان ، فمن هذا الغير الذي خلط بين التوسل بالنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم والاقسام على الله به ، ألا سمى لنا ولو واحداً من هذا الغير الذي
خالف احمد حتى نَعْرِض قوله على محك التحقيق .

وقوله : (وأحمد في احدى الروايتين قد جوز القسم به الى قوله ولكن الرواية
الاخرى عنه) تعليل فاسد ، ومن أين له ان الامام احمد جوّزَ التوسل به صلى الله عليه
وسلم لأجل أنه قد جوز القسم به الا من وحي الشيطان ؟ ، وهل آلاف الفقهاء من
أصحاب الامام احمد وأتباعه كلهم كانوا أغبياء ؟ ، حيث انهم لم يفهموا هذا التعليل من
كلام الامام احمد الواضح حتى جاء هو في المائة الثامنة ففهمه ؟ .

وقوله : (ولكن الرواية الاخرى عنه الى قوله فانا لا نعلم أحداً) ، باطل لأنه لا
ملازمة بين القسم به صلى الله عليه وسلم والاقسام على الله تعالى به ، ومن أين له ان الامام

Marfat.com

أحمد قال في الرواية الاخرى التي هي قول جمهور العلماء إنه لا يقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لا يقسم على الله به ؟ ، ومن أين له أيضا ان جمهور العلماء القائلين بعدم جواز القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا أيضا بعدم جواز الاقسام على الله تعالى به صلى الله تعالى عليه وسلم إلا من وحي الشيطان ؟ ، وهل الآلاف المؤلفة من أتباع الامام احمد كانوا كلهم أغبياء ، حيث لم يفهموا الملازمة بين عدم جواز القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم في الرواية الاخرى لأحمد ، وبين عدم جواز الاقسام على الله به صلى الله تعالى عليه وسلم حتى جاء هو في المائة الثامنة ففهمها ؟ .

الجمهور على جواز الاقسام على الله تعالى

وقوله : (فانا لا نعلم أحداً الى قوله ولهذا أفتى أبو محمد بن عبد السلام) باطل، فعدم علمه هو بذلك لا يستلزم نفي علم غيره بذلك ، والجمهور على جواز الاقسام على الله تعالى ببعض مخلوقاته نبياً أو غيره ، والدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (ان من عباد الله من لو أقسم على الله عز وجل لأبره) = أخرجه الشيخان والامام احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه = .

وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) = رواه الامام احمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه = ، ورواه الحاكم وأبو نعيم بلفظ : (رب أشعث أغبر تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره)، ورواه البزار عن ابن مسعود بلفظ : (رب ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره) .

وروى الشيخان وابن ماجه عن حارثة بن وهب : (ألا اخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر) .

ورواه الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه بلفظ : (رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك) ، فلما كان يوم تُسْتَر انكشف الناس،

Marfat.com

فقال المسلمون يا براء اقسم على ربك فقال : أقسم عليك يارب لما منحتنا اكتافهم وألحقتني بنبيك ، فحمل وحمل الناس معه فقتل. مرزبان الزارة من عظماء الفرس وأخذ سلبه ، فانهزم الفرس وقتل البراء رضي الله تعالى عنه •

أهل الدلال يقسمون عليه تعالى

ملاحظين ما اكرمهم به من نعمة الايمان والتوفيق لطاعته

فان قيل لا دلالة في هذين الحديثين على جواز الاقسام على الله بمخلوق لأن المقسم به محذوف فيهما ، ويتعين حمله على الله تبارك وتعالى ، والتقدير لو أقسم على الله بـه فيتحد المقسم عليه والمقسم به •

فالجواب : تعيين حمله على الله دون المخلوق يحتاج الى دليل خاص ، والأصل عدم اتحاد المقسم عليه والمقسم به ، وعليهما فيجوز تقدير المحذوف لو أقسم على الله به ، كما يجوز تقديره نبياً او غيره كأقسمت عليك يارب بنبيك ، أو بي مثلاً ، على انهما يدلان صراحة على التنويه بعظمة المقسم ومنزلته عند الله تعالى ، واهل الدلال يقسمون عليه تعالى ملاحظين ما اكرمهم به من نعمة الايمان والتوفيق لطاعته واثقين في فضلـه وكرمه باجابة طلبهم •

ذكر التستري عن معروف الكرخي انه قال لتلامذته : اذا كان لكم الى الله تعالى حاجة فأقسموا عليه بي ، فاني الواسطة بينكم وبينه الآن بحكم الوراثة عن المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم •

وقوله : (ولهذا أفتى أبو محمد بن عبد السلام الى قوله والحديث المذكور لا يدل على الاقسام به) غير محرر عن ابن عبد السلام ، فانه رحمه الله تعالى جزم بان الاقسام على الله تعالى خاص بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتعقبه العلماء بان الخصائص لا تثبت بالاحتمال •

وقوله : (والحديث المذكور لا يدل على الاقسام به) صحيح أن قصد به حديث

Marfat.com

الأعمى ، فانه انما يدل على جواز التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومعلوم لدى كل عاقل ان التوسل شيء والاقسام على الله تعالى شيء آخر ، وفاسد ان قصد بهالحديثين اللذين ذكرتهما ، فلا يقول من له مسكة من عقل وفهم فيهما انهما لا يدلان على الاقسام على الله تعالى •

التوسل شيء ، والإقسام على الله شيء آخر

من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك

محمول على الزجر والتغليظ

وقد حمل العلماء الحديثين في قوله : (وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى قوله والدعاء عبادة) على ما يأتي :

قال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب الايمان : وقد اخرج الترمذي من وجه آخر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه سمع رجلا يقول : لا والكعبة ، فقال : لا تحلف بغير الله تعالى ، فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) قال الترمذي حسن والحاكم صحيح والتعبير بقوله فقد كفر أو أشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك •

وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك •

وقال أيضا في شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) : ـ

« وأما اليمين بغير الله تعالى وصفاته فقد ثبت المنع فيها ، وهل المنع للتحريم قولان: المشهور عند المالكية انه للكراهة والخلاف ايضاً عند الحنابلة والمشهور عندهم للتحريم، وجمهور أصحاب الشافعي على أنه للتنزيه • وقال امام الحرمين : المذهب القطع بالكراهة ، وجزم غيره بالتفصيل ، فان اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله تعالى حرم الحلف به وكان بذلك الاعتقاد كافراً ، وعليه يتنزل الحديث المذكور إ هـ ••

Marfat.com

ومقصوده بالحديث المذكور : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) ، وبهذا يعلم ماقي اطلاقه الاستدلال بالحديثين من المجازفة ، ويلزم من مجازفته هذه ان يكون امامه احمد وأصحابه واكثر أتباعه حيث جوزوا الحلف بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأوجبوا الكفارة على من حنث بذلك قد جوزوا الكفر والشرك للمسلمين نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان •

الدعاء لفظ مشترك بين معان منها : العبادة

وقوله : (والدعاء عبادة) ليس بصحيح ، والدعاء لفظ مشترك بين معان منها : العبادة نحو : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك » ، والاستعانة نحو : « وادعوا شهداءكُمْ » والسؤال نحو : « ادعوني استَجِبْ لكُمْ » ، والقول نحو : « دعواهم فيها سبحانَكَ اللَّهُمَّ » ، والنداء نحو يوم يدعوكم،والتسمية نحو لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، والنسبة كقوله تعالى : ادعوهم لآبائهم ، أي انسبوهم اليهم •

وقوله : (والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع) ، كلمة حق أريد بها باطل ، أراد ان التوسل بجاه نبي أو صالح عبادة له وقد تقدم ابطاله في الفصل الثاني وفي هذا بالبراهين ، فليس التوسل من العبادة في شيء ، ولا يكون عبادة الا اذا عَظَّم المتوسَّلُ المتوسَّلَ به كتعظيم الله تعالى •

الباب التاسع في حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

ورتب الكلام فيه على خمسة فصول وافاض واجاد

قال الامام العلامة ابو الحسن السبكي : الباب التاسع في حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، قد تضمنت الأحاديث المتقدمة ان روح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ترد عليه وأنه يسمع ويرد السلام ، فاحتجنا الى النظر فيما قد قيل في ذلك بالنسبة الى الانبياء والشهداء وسائر الموتى ، ورتَّب الكلام في هذا الباب على خمسة فصول :

Marfat.com

الفصل الأول : فيما ورد في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذكر أن الحافظ ابا بكر البيهقي صنَّف في ذلك جزءاً وأفاض في سرد الأحاديث والتحقيق في ذلك في عشر صفحات •

الفصل الثاني : حقق فيه حياة الشهداء •

الفصل الثالث : حقق فيه سماع سائر الموتى وكلامهم وادراكهم وعـود الروح الى الجسد في ثمان صفحات •

الفصل الرابع قال : قد عرفت مقالات الناس في سائر الموتى وفي الشهداء ،وعرفت ان القول فيهم بعود الروح الى الجسد وبقائها فيه الى يوم القيامة بعيد مخالف للحديث الصحيح انها ترجع الى جسده يوم القيامة •

وعرفت ان النعيم حاصل لأرواح السعداء من الشهداء وغيرهم ، والعذاب حاصل للأشقياء ، فلعلك تقول ما الفرق حينئذ بين الشهداء وغيرهم ؟ ، والجواب عـن هـذا من وجهين :

احدهما : ان اثبات الحياة للشهداء لا ينفي ثبوتها عن غيرهم ، فالآيتان الكريمتان الواردتان في قوله تعالى : (ولا تحسبَنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم) ، ليس فيهما نفي هذا الحكم عن غيرهم ، بل الرد على من يعتقـد أنهم ليسوا كذلك ، ونص عليهم لأنّ الواقعة كانت فيهم ، الثاني : انواع الحياة متفاوتة ؛ حيـاة الأشقياء معذبين ، أعاذنا الله تعالى منها ، وحياة بعض المؤمنين من المنعمين ، وحياة الشهداء أكمل وأعلى ، فهذا النوع من الحياة والرزق لا يحصل لمن ليس في رتبتهم •

وأما حياة الأنبياء فأعلى وأكمل وأتم من الجميع ، لأنها للروح والجسد على الدوام على ما كان في الدنيا على ما تقدم عن جماعة من العلماء ، ولو لم يثبت ذلك فلا شك في كمال حياتهم أيضاً اكبر من الشهداء وغيرهم •

أما بالنسبة الى الروح فلكمال اتصالها ونعيمها وشهودها للحضرة الالهية ، وهي مع ذلك مقبلة على هذا العالم ومتصرفة فيه ، وأما بالنسبة الى الجسد فلما ثبت فيه مـن الحديث ، وبالجملة كل أحد يعامل بعد موته كما كان يعامل في حياته ، ولهذا يجب

Marfat.com

الأدب مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته كما كان في حياته .

وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال : لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً ولا ميتاً ، وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطنبة بمسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فترسل اليهم : لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقياً لذلك = هكذا رواه الحسيني في أخبار المدينة = .

وهذا مما يدل على انهم كانوا يرون أنه حي ، وعن عروة قال وقع رجل في علي عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فقال له عمر : قبحك الله لقد آذيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قبره ، ومن نظر سير السلف الصالحين والصحابةوالتابعين علم انهم كانوا في غاية الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته كما كانوا في حياته وكانوا مع قبره الشريف كذلك .

ثم قال : ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يغضون أصواتهم في مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيماً له .

ففي البخاري عن عمر بن الخطارب رضي الله تعالى عنه انه قال لرجلين من أهل الطائف : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولو جمعنا الأحاديث الصحيحة التي فيها ما كانت الصحابة عليه من تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم آثاره وأدبهم معه لجاءت مجلدات .

ثم قال : الفصل الخامس ، كان المقصود بهذا كله تحقيق السماع ونحوه من الأعراض بعد الموت ، فانه قد يقال ان هذه الاعراض مشروطة بالحياة ، فكيف تحصل بعد الموت وهذا خيال ضعيف ؟ ، لأنا لا ندعي ان الموصوف بالموت موصوف بالسماع ، وانما ندعي ان السماع بعد الموت حاصل لحي ، وهو اما الروح وحدها حالة كون الجسد ميتاً أو متصلة بالبدن حالة عود الحياة اليه ، والانسان فيه أمران : جسد ونفس، فالجسد اذا مات ولم تعد اليه الحياة لا نقول بقيام شيء من الأعراض المشروطة بالحياة

Marfat.com

به ، وان عادت الحياة اليه صح اتصافه بالسماع وغيره من الاعراض ، والنفس باقية بعد موت البدن عالمة باتفاق المسلمين ، حتى ان عائشة رضي الله عنها لما أنكرت سماع أهل القليب وافقت على العلم وقالت : انما قال انهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق ، بل غير المسلمين من الفلاسفة وغيرهم ممن يقول ببقاء النفوس يقولون بالعلم بعد الموت ، ولم يخالف في بقاء النفوس الا من لا يعتد به ، وليس مرادنا انها واجبة البقاء = كما قال به بعض أهل الزيغ والالحاد = ولا انها تبقى دائما وان كانت ممكنة فانه قد يفنيها الله تعالى عند فناء العالم ثم يعيدها ، وانما المراد أنها تبقى بعد موت البدن ، ثم بعد ذلك إن فنت اعيدت مع البدن يوم القيامة وان لم تفن اعيد البدن ورجعت

قال العلامة السيد علوي بن احمد الحداد في كتابه مصباح الأنام وجلاء الظلام في الفصل الرابع عشر : أعلمني من حضر في صلاتهم يوم الجمعة بالدرعية شهراً والخطيب حسين الأعمى بن محمد بن عبد الوهاب يقول في خطبته الثانية : (ومن توسل بالنبي فقد كفر) ، ومن أشهر مسائلهم التي يكفرون بها المسلمين : (يا رسول الله) ، فكل من تلفظ بهذا الكلام فهو عندهم مشرك كافر ، وحجتهم على تكفيره زعمهم ان فيه نداء الأموات ، ونداء الأموات عندهم شرك •

وقد كذبهم الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ابنه ابراهيم : (إن القلب يحزن وان العين تدمع وانا عنك يا إبراهيم لمحزونون) ، فيلزم على فهمهم الأعوج أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ••• حيث نادى ميتاً ، = نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان = • وكذبهم أيضاً ما ذكره ابن كثير في بدايته ، وهو تيمي ، ان شعار الصحابة رضوان الله عليهم يوم اليمامة (وامحمداه) فيلزم على فهمهم الأعوج ان يكون الصحابة رضوان الله عليهم ••• حيث نادوا ميتاً ، = نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان = •

Marfat.com

كشف حال ابن تيمية في دفع شبه من شبه وتمرد

« دفع شُبَه من شَبَّه وتمرد ونسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد » ، كتاب ألّفه العلامة الشريف تقي الدين أبو بكر الحصني الدمشقي المتوفى سنة تسع وعشرين وثمانمائة أثبت فيه كثيراً من مسائل ابن تيمية التي حاد فيها عن طريق الحق ولو لم يكن فيه الا مرسوم السلطان الناصر محمد بن قلاوون في شأن ابن تيمية لكان كافياً في كشف حال ابن تيمية لكل مسلم نور الله بصيرته ، طبع في مطبعة عيسى الحلبي سنة خمسين وثلاثمائة وألف •

واني أنقل للقراء مقدمة كلامه في ابن تيمية ، ثم مرسوم السلطان المذكور ، ثم بعض شواذ ابن تيمية •

قال رحمه الله تعالى : فاعلم اني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ المتتبع ما تشابه في الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة ، وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن أراد الله عز وجل إهلاكه ، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به ، ولا لي آنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره ، لما فيه من تكذيب رب العالمين في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين ، وكذا الازدراء باصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين وأتباعهم الموفقين ، فعدلت عن ذلك الى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه واخراجه ببعضه من الدين ، فمنه ما دُوّن في المصنفات ومنه ما جاءت به المراسيم العليات ، وأجمع عليه علماء عصره ممن يرجع اليهم في الامور الملمات والقضايا المهمات ، وتضمنه الفتاوى الزكيات من دنس أهل الجهالات ، ولم يختلف عليه أحد كما اشتهر بالقراءة والمناداة على رؤوس الأشهاد في المجامع الجامعة حتى شاع وذاع واتسع به الباع حتى في الفلوات، فمن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطاني ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون رحمه الله تعالى وقرىء على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة •

Marfat.com

كـلام التقي الحصني ايضاً في ابن تيمية

وقال العلامة تقي الدين الحصني في دفع شُبَه من شبَّه وتمرد : ومن قواعـده المقررة عنده ، وجرى عليها أتباعه التوقي بكل ممكن ، حقاً كان أو باطلاً ، ولو بالأيمان الفاجرة سواء كانت بالله عز وجل أم بغيره •

وأما الحلف بالطلاق فانه لا يوقعه ألبتة ولا يعتبره سواء كان بالتصريح أم الكناية أم التعليق أم التنجيز ، وهذا مذهب الشيعة فانهم لا يرونه شيئاً ، وإشاعته هو وأتباعـه أن الطلاق الثلاث واحدة خُزَعبلات ومكر ، والاّ فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به ولو أتى به في اليوم مائة مرة على أي وجه ، سواء كان حنثاً أم منعا أم تحقيـق خبر ، كما عرف ذلك ، وان مسألة الثلاث انما يذكرونها تستراً وخديعة ، وقد وقفت على مصنف له في ذلك وكان عند شخص شريف زينبي وكان يرد الزوجة الى زوجها في كل واقعة بخمسة دراهم ، وإنما أطلعني عليه لأنه ظن أني منهم فقلت له : يا هـذا أتترك قول الامام احمد وقول بقية الأئمة بقول ابن تيمية ؟ ، فقال اشهد عليّ أني تبت وظهر لي أنه كذب في ذلك ، ولكن جرى على قاعدتهم في التستر والتقية ، فنسأل الله تعالى العافية من المخادعة فانها صفة أهل الدرك الأسفل إ هـ •

وقوله : (ثم قاموا عليه سنة ٧٢٦ بسبب مسألة الزيارة وحبس بالقلعة إلى أن مات سنة ٧٢٨) ، أي علماء دمشق أيضا صحيح أيضاً ، فقد أفتى بأن شد الرحال الى زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة ومعصية لا يجوز قصر الصلاة فيها ، وقد ردّ عليه فيها علماء أعلام في مقدمتهم الامام السبكي ، وقد تقدم تلخيصي لكتابه •

وقوله : (ونسبوه الى التجسيم لما ذكره في عقيدته الحموية والواسطية وغيرهما الى قوله وخطأ عمر بن الخطاب) صحيح أيضاً ، ولو لم يدل على تجسيمه من كلامه الا زعمه ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله تعالى ، وأنه تعالى مستو على العرش بذاته لكفى •

Marfat.com

قد افترى في هذا الزعم على الله تبارك وتعالى

وعلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

وقد افترى في هذا الزعم على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم و
السلف الصالح الذين يلبس بهم على الأغبياء وأشباههم أربع مرات ، تسميته للمذكور
بالصفات ، وزعمه أنها حقيقية ، وزعمه أنه تعالى مستو على العرش بصيغة اسم الفاعل
وبذاته ، فلو استظهر بمشبهة الأرض جميعاً على اثبات هذه الاربعة في كتاب الله عز وج
أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أي واحد من السلف الصالح لم
يستطع ، والزام العلماء له بأنه قال بالتحيز في ذات الله تعالى صحيح ، وعدم تسليمه ك
التحيز والانقسام من خواص الاجسام دليل على نقصان عقله ومكابرته .

قال الامام المحقق أبو الحسن السبكي في طليعة رسالته : (الدرة المضية في الر
على ابن تيمية) ما نصه : أما بعد ! فانه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في اصول العقائد
ونقض من دعائم الاسلام الأركان والمعاقد ، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسن
مظهراً أنه داع الى الحق هاد الى الجنة ، فخرج عن الاتباع الى الابتداع وشذ عن جم
المسلمين بمخالفة الاجماع ، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة و
الافتقار الى الجزء ليس بمحال ، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى ، وان القر
محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن ، وانه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الاراد
بحسب المخلوقات ، وتعدى في ذلك الى استلزام قدم العالم (والتزامه) بالقول بأنه
أول للمخلوقات ، فقال بحوادث لا أول لها ، فأثبت الصفة القديمة حادثة ، والمخل
الحادث قديماً ، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ولا نحلة من النحل ،
يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين ، وكل ذلك وان كان كفراً شنيعاً مما
جملته بالنسبة الى ما أحدث في الفروع ، فان متلقى الاصول عنه وفاهم ذلك منه
الأقلون والداعي اليه من أصحابه هم الأرذلون ، وإذا حوققوا في ذلك أنكروه وف

Marfat.com

ه ، كما يفرون من المكروه ، ونبهاء أصحابه ومتدينوهم لا يظهر لهم الا مجرد التبعية لكتاب والسنة والوقوف عند ما دلت عليه من غير زيادة ولا تشبيه ولا تمثيل إ هـ •

قال الحافظ ابن حجر في كتاب التوحيد

وقال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب « التوحيد » في شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (كان الله ولم يكن شيء قبله) ما نصه :

تقدم في بدء الخلق بلفظ ولم يكن شيء غيره ، وفي رواية أبي معاوية : (كان الله قبل كل شيء) ، وهو بمعنى : (كان الله ولا شيء معه) ، وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها (من رواية الباب) وهي من مستثنى المسائل المنسوبة لابن تيمية إ هـ •

تخطئته وطعنه في مسألة الطلاق الثلاث

وقوله : (١) (وخطأ امير المؤمنين عمر بن الخطاب) ، أراد به تخطئته له في ايقاعه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثاً بمحضر علماء الصحابة مهاجرين وأنصاراً ، فلا اختصاص للفاروق بالطعن والتخطئة فقد طعن وخطّأ الصحابة الذين وافقوه عليها وخالف اجماعهم واجماع من بعدهم من علماء الأمة ، وقد نثر ابن القيم في هذه المسألة في هديه وتوقح وتغطرس ومدح نفسه ، وشيخه الحراني قال في جـ ٤ ص ٦٢ منه :

وليس التحاكم في هذه المسألة الى مقلد متعصب ولا هياب للجمهور ، ولا مستوحش من التفرد اذا كان الصواب في جانبه ، وانما التحاكم فيها الى راسخ في العلم قد طال فيه باعه وأسهب في اطراء نفسه •

ثم قال : فقد توفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن أكثر من مائة ألف عين ، كلهم قد رآه وسمع منه ، فهل يصح لكم عن هؤلاء كلهم أو عشرهم أو عشر عشرهم أو

Marfat.com

عشر عشر عشرهم القول بلزوم الثلاث بفم واحد ؟ •

ثم قال : لم يخالف عمر اجماع من تقدمه بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم إ هـ

قوله وليس التحاكم في هذه المسألة الى مقلد متعصب ، يصدق عليه المثل : (رمتني بدائها وانسلت) ، ولا شك عند كل عاقل ان التقليد والتعصب لعلماء خير القرون خ وأولى من تقليده وتعصبه للحراني الذي جاء في القرون المتأخرة عند الموازنة ، والوق الذي لم يتأدب بآداب الشرع الشريف ، ومن آدابه مراعاة السواد الأعظم ، كما قا صلى الله تعالى عليه وسلم : (عليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية) خليق بعدم الهيبة من الجمهور وعدم الاستيحاس من التفرد ، ومعاذ الله ان يكون الصوا في جانب الشاذ الطاعن في الامة الاسلامية جمعاء سلفها وخلفها •

وقوله : (وإنما التحاكم فيها الى راسخ في العلم قد طال فيه باعه إلى آخر هذره) بلغ في الغطرسة والتعاظم على خير القرون فمن بعدهم منتهاهما •

وقوله : (فقد توفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن اكثر من مائة ألف الخ•• رده الكمال ابن الهمام بما نصه :

وقول بعض الحنابلة القائلين بهذا المذهب ، (توفي رسول الله صلى الله تعالى عل وسلم عن أكثر من مائة الف الخ) باطل ••• أما اولاً : فاجماعهم ظاهر فانه لم ينق عن أحد منهم أنه خالف عمر رضي الله تعالى عنه حين أمضى الثلاث ، وليس يلزم نقل الحكم الاجماعي عن مائة ألف أن يسمى كل ليلزم في مجلد كبير حكم واحد ، ع انه اجماع سكوتي •

واما ثانياً : فان العبرة في نقل الاجماع ، نقل ما عن المجتهدين لا العوام ، والم الالف الذين توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم لا يبلغ عدة الفقهاء المجتهد منهم أكثر من عشرين ، كالخلفاء والعبادلة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي هري رضي الله تعالى عنهم وقليل ، والباقون يرجعون اليهم ويستفتون منهم •

Marfat.com

وقد أثبتنا النقل عن أكثرهم صريحاً بايقاع الثلاث ، ولم يظهر لهم مخالف ، فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ ، وعن هذا قلنا : لو حكم حاكم ان الثلاث بفم واحدة لم ينفذ حكمه لأنه لا يسوغ الاجتهاد فيه فهو خلاف لا اختلاف ، والرواية عن أنس رضي الله عنه بأنها ثلاث أسندها الطحاوي وغيره •

وغاية الأمر أن يصير كبيع امهات الأولاد اجمع على نفيه ، وكن في الزمن الاول يُبَعْنَ ، وبعد ثبوت اجماع الصحابة رضي الله عنهم لا حاجة الى الاشتغال بالجواب إ هـ •

وأما دعواه الاجماع القديم وانه لم تجمع الامة على خلافه فهي دعوى عجيبة غريبة ، لا أدري كيف ساغ لابن القيم أن يتوكأ عليها ويتخذها حجة ، مع ان انعقاد الاجماع لا يكون الا اذا صح اشتهار الفتوى بما زعمه وبلوغها للكل والاقرار والسكوت عليها ، وكل ذلك لم يثبت ، وانما اخذ ذلك من سياق رواية ابن عباس رضي الله عنهما وقد علمت ما فيه ، على أنه لو صح ان فيه اجماعاً قديماً سابقاً على مناداة عمر يلزم ان عمر خالف السنة الصحيحة وخالف الاجماع أيضا بمحض رأيه •

ويلزم منه أن كل من في عصر عمر ، وكان موجوداً وقت المناداة ووافقوه على ما أمضاه قد خالفوا السنة والاجماع ايضاً ، مع أن الذين وافقوه على ذلك هم جميع المجتهدين في عصره من الصحابة والتابعين ، إذ لم ينقل عن أحد منهم أنه خالفه ، فتكون الامة قد أجمعت ثانياً على خلاف ما أجمعت عليه أولاً ، فيلزم أن تكون الامة قد أجمعت على خطأ : اما أولاً واما ثانياً وكل ذلك باطل •

واما قوله : (ولكن رأي أمير المؤمنين أن الناس قد استهانوا بأمر الطلاق الخ ..) فهو قول باطل ، لأن العقوبة لا يجوز ان تكون بما يخالف السنة والاجماع ، واحداث حكم على خلافهما وحاشا عمر أن يرى من المصلحة عقوبة الناس باحداث حكم على خلاف السنة والاجماع ، مع ان احداث ذلك أكبر جرما مما فعله الناس لو صح إ هـ ، تحقيق شيخنا العلامة المرحوم محمد بخيت المطيعي ، والشوكاني من المتشبعين بما لم يُعْطَوْا ، المقدسين ابن تيمية ، وهو أشد في هذه المسألة وقاحة وسفاهة من ابن القيم قال في نيل

Marfat.com

اوطاره : والحاصل ان القائلين بالتتابع قد استكثروا من الأجوبة على حديث ابن عباس (وكلها خارجة عن دائرة التعسف) ، والحق أحق بالاتباع فان كانت تلك المحاماة لأجل مذاهب الأسلاف فهي أحقر وأقل من ان تؤثر على السنـة المطهرة ، وان كانت لأجل عمر بن الخطاب ، فأين يقع المسكين من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ثم أي مسلم يستحسن عقله وعلمه ترجيح قول صحابي على قول المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ إ هـ •

قوله وكلها خارجة عن دائرة التعسف حجة عليه ، ولعله أراد وكلها غير خارجة عن دائرة التعسف ، فطمس الله بصيرته أو بصيرة صاحب المطبعة فحذف لفظة (غير)

أين في السنة المطهرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال

من طلق امراته ثلاثا بلفظ واحد فهو واحدة

وقوله : فان كانت تلك المحاماة الى قوله وان كانت لأجل عمر ، مشتمل على سفاهة وتحقير صريحين للامة الاسلامية جمعاء سلفها وخلفها وعلى افتراء على السنة المطهرة فيقال له ولأشباهه الجعجاعين المتغطرسين ، أين في السنة المطهرة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من طلق امرأته ثلاثا بلفظ واحد فهو واحـدة ؟ ، فلو استظهرتم بمبتدعة الأرض جميعاً على اثبات هذا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم تستطيعوا •

وقوله (وان كانت لأجل عمر بن الخطاب فاين يقع المسكين من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ، ازدراء صريح للفاروق الذي قال فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : (ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) = أخرجه الامام احمد والترمذي عن ابن عمر وأبو داود والحاكم عن أبي ذر وأبو يعلى والحاكم عن أبي هريرة والطبراني عن بلال ومعاوية = ، ولعلماء الصحابة الذين وافقوه على وقوع الثلاث بلفظ واحد فلفظة المسكين دالة على ازدرائه باجماع الصحابة رضوان الله عليهم عـلى رأي معبود الحراني ان يكونوا كلهم مساكين ، وقوله (ثم اي مسلم الى آخر الهراء) كلمة اريد بها باطل ، وتقويم قوله يستحسن عقله ، يسوغ له عقله وعلمه تقديم قول صحـ

Marfat.com

ع ٠٠ ، والأحسن والأخصر تعبيراً أن يقول لا يسوغ لأي مسلم أن يقدم قول صحابي
ى قول المصطفى صلى الله عليه وسلم •

هو في زعمه مجتهد كبير ويوجب الاجتهاد

في دين الله على جميع الناس

وكل مسلم يقول بموجب هذا ، = وهو في زعمه مجتهد كبير ، ويوجب الاجتهاد دين الله على جميع الناس حتى الغوغاء أتباع كل ناعق والأجلاف •

وقد ازداد الأوباش المجتهدون في عصرنا هذا كثرة ، وهاهم منتشرون في أنحاء معمورة يفسرون كلام الله تعالى برأيهم ، وينزلون السنة المطهرة على حسب اهوائهم ، يطعنون فيها ، اذا صادمت أهواءهم ولو كانت متواترة أو صحيحة ، وأسس اجتهادهم : الوقاحة وجه حده يفلق الصخر ، وموضوعه وغايته : ادعاء السلفية للتلبيس على العامة ، والطعن في أئمة الدين وعلمائه •

فأركان اجتهادهم ثلاثة : الوقاحة وادعاء السلفية والطعن في العلماء الماضين ، لا يتم ولا يكمل إلا بها ، وهو بهذا الرأي الفاسد مصادم لحكمة الله تعالى في خلقه ، فانه عز وجل كما جعل الناس مختلفين في الألوان والألبسة جعلهم مختلفين في الفقر والغنى والعلم والجهل والصنائع والمهن ، فلو جعلهم تعالى كلهم أغنياء أو فقراء أو علماء أو زارعين أو حدادين أو آو ٠٠٠ لم يعمر الكون أبداً ، ولو جعلهم تعالى كلهم مجتهدين بطلت الآية الشريفة الدالة على سائل ومسؤول، (فاسألوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) ، ويبطل أيضاً قوله تعالى : (ولو ردّوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ، واولوا الامر هم العلماء المجتهدون ، مصادم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى لها من سامع ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه) ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ايضاً : (قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم

Marfat.com

يعلموا) ، ومصادم ايضاً للواقع فانه صلى الله تعالى عليه وسلم توفي عن اكثر من ألف صحابي ، والعلماء المفتون منهم لا يتجاوزون العشرين •

وهذا الجمهور العظيم يرجع في الفتوى اليهم = كما اعترف بذلك ابن القيم اول أعلام الموقعين = •

من زعم ان كل واحد من الصحابة

كان كثيره من علمائهم في العلم فهو مفتر افاك

ومن زعم ان كل واحد من هذا الجمهور كان كثيره من علمائهم فهو مفتر أفاك ومن زعم ايضاً ان علماء الصحابة كانوا يخبرون السائل بدليل مسألته من كتاب الله ورسوله = كما ادعى هذا السخيف = فهو مفتر أفاك •

ومن زعم ان جميع النوازل الفقهية منصوص عليها

في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو مفتر افاك

ومن زعم أيضاً ان جميع النوازل الفقهية منصوص عليها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مفتر أفاك ، والاجتهاد عند علماء الاسلام قاطبة انما هو في احكام الحلال والحرام التي لا يوجد فيها نص في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولذلك عرفوه بانه (بذل الوسع في استخراج مسألة غير منصوص عليها لادخالها تحت قاعدة منصوص عليها) •

أما الاقذاع والغطرسة والسب والتكفير والتحقير لعباد الله تعالى فليس اجتهادا كل من له مسكة من عقل ودين وانما هو بضاعة الشيخ الحراني ورثها منه المفتنون واجتهاد هذا النفاج متمثل في احسن تآليفه ، وهو نيل الأوطار وارشاد الفحول ، الأوطار ملخص من فتح الباري وتلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير

Marfat.com

والحافظ ابن حجر مؤلف هذين الكتابين ، مع كونه خيراً من هذا المتشبع الجفاخ، قد عرف قدره ولم يتعد طوره ، فلم يدع هذا المنصب العظيم ، لعلمه بانه انما جمع كتابيه من كلام من تقدمه من العلماء ، واولئك العلماء الذين استفاد منهم هذه الثروة العظيمة كلهم من أتباع الأئمة الأربعة لم يفه اي واحد منهم بهذه الاحموقة ، وهي ادعاء الاجتهاد المطلق ، لعلمهم ان من تقدمهم من مشايخهم ومشايخ مشايخهم كانوا اعلم واتقى لله منهم ، ولم يرتكبها اي واحد منهم ، والذي جمعه في اصول الفقه مضخماً اسمه زاعماً انه إرشاد الفحول ، (والفحول لا يحتاجون الى ارشاده) وانما الارشاد للحيارى ، انما جمعه من كلام فحول من المقلدين للأئمة الأربعة كالآمدي وابن الحاجب وابن السبكي وغيرهم ممن لا يلحق هذا المتفطرس غبار أيّ واحد منهم ، وما كانوا متفطرسين ولا محتقرين لعباد الله تعالى ، وقد تحقق من تعريف الاجتهاد انه ليس بكثرة الحفظ للمسائل ، ولا بحكاية اقوال العلماء في التآليف والمذاكرة ومن ظن كهذا الجفاخ انه يحصل بهاتين معاً أو باحداهما ، فهو جاهل جهلاً مكعباً ، فتنازله وهو المجتهد الكبير عند نفسه الى نقل العلم عن المقلدين والاحتجاج بأقوالهم في كتابيه دليل على انحطاط رتبته عنهم بكثير ، وهل ينزل من في الثريا الى من في الثرى ؟ ، وهل هذا إلا عين التناقض ؟ .

ولقد كان من اللازم لاجتهاده المزعوم ان يقعّد قواعد كالامام المطّلبي ، ويستنبط من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فروعاً مخالفة لفروع الأئمة المتبوعين يبرهن بها على انه مجتهد بحق ، ولا يحشر نفسه في كتيبة العلماء المقلدين لهم ولا يستظل بظلهم اصلاً ولكن قد تحقق كل عاقل انه ليس عنده الا بضاعة قدوته الحراني التكفير .

شحنه تآليفه باقوال العلماء المقلدين للأئمة الأربعة

مع ادعائه الاجتهاد المطلق تناقض قبيح

فان كان مجتهداً كما زعم فكيف ساغ له تقليد المقلدين للأئمة الأربعة والثقة بأقوالهم ، وان كان المقلدون للأئمة الأربعة كفاراً = في زعمه = فكيف ساغت له الثقة

Marfat.com

في دين الله تعالى باقوال الكفار ، والواثق في دين الله بقول الكافر ؟ ....

وقد كفر الامة الاسلامية جمعاء اتباع الأئمة الأربعة وشبههـا باليهود والنصارى تشبيهاً فاسداً في تفسيره عند قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله)

تكفيره الأمة الإسلامية جمعاء

فلو كان عالماً وللعلم وقار لحجزه علمه عن تكفير مسلم واحد ، فضلاً عن تكفير امة بأسرها ، ولو كان في قلبه مثقال ذرة من خوف الله تعالى ، لمَا أقدم على تكفير مسلم واحد ، فضلاً عن تكفير امة بأسرها ، ولو كان عنده حياء ، (والحياء من الايمان) ما كفر مسلماً واحداً فضلاً عن تكفير أمة بأسرها ، وفيها من العلماء والفضلاء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والأولياء والعباد والزهاد ما أدهش التاريخ وأنطق أعداء الاسلام بفضل الاسلام ، (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً) ، وكل من قدس نفسه واتبع هواه فلا بد أن يضل عن سبيل الله وكل من امتلأ أنانيـة وكبراً فلا بـد ان يحتقر المسلمين (إن في صدورهم الا كِبْر ما هم ببالغيه فاستعذْ بالله إنه هو السميع البصير) .

(٢) ـ وخطأ أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه ايضاً في الفتوى التي زعم أنه سئل عنها : (أيما أفضل مكة أو المدينة فأجاب (مكة أفضل بالاجماع وكتبه أحمد بن تيمية الحنبلي) ، وقد تقدم هذا في كلام العلامة الحصني قال : وفي هذه الفتوى رمز الى عدم الاعتداد بقول عمر رضي الله تعالى عنه فانه من القائلين بان المدينة أفضل من مكـة إهـ .

وذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في فتاواه الحديثية عن بعض العلماء المعاصرين

Marfat.com

لابن تيمية أنه سمع على منبر جامع الجبل بالصالحية ، وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال :

ان عمر له غلطات وبليات وأي بليات إ هـ •

وقوله : وخطأ علياً كرم الله وجهه في سبعة عشر موضعاً خالف فيها نص الكتاب ، ونسبوه أيضاً الى النفاق لقوله هذا في عليّ كرم الله وجهه ، ولقوله ايضاً فيه الى قوله وقال : إن عثمان كان يحب المال)، غير مستنكر على من رمز الى تكفير الصديق الاكبر وجهل الفاروق وعلماء الصحابة وطعن في اجماعهم ان يقول في حيدرة كرم الله وجهه اكثر من هذا •

وقد ذكر العلامة الهيتمي في فتاواه الحديثية عن بعض العلماء المعاصرين لابن تيمية انه ذكر حيدرة في مجلسه فقال :

انه أخطأ في اكثر من ثلاثمائة موضع ، ونسبة العلماء له الى النفاق مأخوذة من قوله كرم الله وجهه : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي اليّ انه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق) = اخرجه الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه عنه = •

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : (كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً) ، وقوله : (والصبي لا يصح اسلامه على قول) بهتان ، وعلماء الاسلام متفقون على صحة اسلام الصبي ، ولو كان صادقاً لعزا هذا القول لقائله حتى ينظر فيه ، ولكنه النصب لحيدرة خصوصاً ولبني هاشم عموماً ، وسيأتي البرهان عليه فيما أستخرجه من خطله من منهاجه •

Marfat.com

وغير مستنكر على من جهل الفاروق وعلماء الصحابة

ولم يبال باجماعهم في مسالة الطلاق ان يقول في الذي تستحي منه ملائكة الرحمن: انه يحب المال

وغير مستنكر ايضاً على من جهل الفاروق وعلماء الصحابة ولم يبال باجماعهم على ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً ، ان يقول في الذي تستحي منه ملائكة الرحمن انه كان يحب المال •

كتابه (رفع الملام عن الأئمة الاعلام)

لون آخر من الطعن في الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم

وكتابه (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) لون آخر من الطعن في الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم والأئمة المتبوعين رحمهم الله تعالى •

وكان العلامة عبد الله بن زيدان الشنقيطي يقول فيه : إنه وضع الملام لا رفعه ، ومن لامهم حتى يرفع الملام عنهم ؟ ، وقد صدق رحمه الله تعالى ، وتوضيحه ان الناس في الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وفي من بعدهم من الأئمة المتبوعين ، ثلاث طوائف ، رافضة وخوارج وأهل السنة ، فالرافضة والخوارج تجاوزتا في الصحابة والامة الاسلامية حد الملام الى التكفير ، فالرافضة كفروا الصحابة الا علياً وأولادَه فانهم غلوا في تقديسهم الى درجة التأليه ، وكفروا الامة الاسلامية جمعاء ، والخوارج كفروا كثيراً من الصحابة والامة الاسلامية جمعاء وقدسوا الشيخين فلا كلام في هاتين الطائفتين ، وأهل السنة عوام ومتعلمون ، فالعوام يحترمون الصحابة والأئمة المتبوعين ، ولا شعور لهم بلوم أي واحد منهم أصلاً ، والمتعلمون يعلمون ان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن بعدهم من أئمة الدين ليسوا بمعصومين من الخطأ ويعلمون ان صوابهم اكثر من خطئهم وخيرهم اكثر من شرهم ويعلمون هذه المسائل التي خطّأ فيها الخلفاء الراشدين •

Marfat.com

وقال في كل واحدة منها إن السنة لم تبلغه ولم يلوموهم ولم يجمعوا ذلك في كتاب وينشروه بين العامة ، تأدباً معهم ، فتحقق بهذا انه هو الذي وضع الملام عليهم ، وحاول رفعه بجمجمته هذه ، وهيهات رفعه فان رفع الواقع محال ، ولا يرفعه عنهم قوله في آخر صفحة ٨ : (وهؤلاء ـ يعني الخلفاء ـ كانوا أعلم الأمة وأفقهها وأتقاها وأفضلها فمن بعدهم أنقص منهم) •

ففحوى كلامه هذا أنهم ناقصون بدليل : (فمن بعدهم أنقص منهم) ، وليس العلم بكثرة الرواية ، وانما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده = كما قال إمام دار الهجرة = ، وهو الفهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) •

والغالب ان من يحفظ كثيراً يكون أقل علماً ، والخلفاء الأربعة محفوظ كلٌّ واحد منهم من السنة قليل جداً بالنسبة لحفاظ الصحابة وكل واحد منهم أعلم ممن يحفظها منهم ، وهكذا يطرد فيمن بعدهم من التابعين وأتباعهم ، وهلم جراً ، وهذا الامام احمد بن حنبل قالوا : كان يحفظ مليوناً من الأحاديث ، اي باعتبار تعدد طرقها ، وكان ينعى للامام الشافعي الذي كان اقل حفظاً لها منه ويأخذ بركابه •

وقد قال الامام احمد : ما من صاحب محبرة الا وللشافعي عليه منة ، وكان الامام الشافعي يقول له وللامام عبد الرحمن بن مهدي : اذا رأيتما حديثاً صحيحاً فأعلماني به•

وكان التابعي الشهير سليمان بن مهران الأعمش أحفظ للسنة من أبي حنيفة الذي هو من أقرانه ، وقد قال مرة للامام أبي حنيفة معترفاً بفضله : أنتم الأطباء ونحن الصيادلة، وطلب من أبي حنيفة لما أراد الحج أن يكتب له مناسكه ، وقال الامام مالك لمن سأله عن الامام أبي حنيفة بعد اجتماعه به : (رأيت رجلاً لو استدل لك على هذه السارية أن تكون ذهباً لأقام عليها الحجة) ، والأمثلة لهذا لا تحصى يعرفها الممارس للعلم •

ومصداق ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (رُبَّ مبلَّغ أوعى لها من سامع ورُبَّ حاملِ فقه الى من هو أفقه منه) •

Marfat.com

تحقق انه لا فائدة في كتابه هذا يستفيدهـا العامة

ولا المتعلمون سوى تنقيصه لائمة الدين كلهم صحابة وغيرهم

وبهذا تحقق انه لا فائدة في كتابه هذا يستفيدها العامة ولا المتعلمون سوى تنقيصه لأئمة الدين كلهم صحابة وغيرهم ، واظهار عظمته وكماله عليهم جميعاً للمفتونين به .

والدليل على هذا ما ذكره العلامة الحصني في : (دفع شُبَهِ من شبَّه وتمرد) ، بعد ذكره تفرقة ابن تيمية بين حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وموته التي أخذها عن اليهود في تجويزه التوسل به بدعائه فقط في حياته ، ومنعه ذلك بعد موته .

قال : ويقطع الواقف عليها أو على بعضها بأن القائلين بالتفرقة من متغالي اهـل الزيغ والزندقة ، وان ابن تيمية الذي كان يوصف بانه بحر في العلم لا يستغرب فيـه ما قاله بعض الأئمة عنه من انه زنديق مطلق .

وسبب قوله ذلك أنه تتبع كلامه فلم يقف له على اعتقاد حتى انه في مواضع عديدة يكفر فرقة ويضللها ، وفي آخر يعتقد ما قالته أو بعضه ، مع أن كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم ، والاشارة الى الازدراء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والشيخين وتكفير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وانه من الملحدين ، وجعل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما من المجرمين وانه ضال مبتدع .

ذكر ذلك في كتاب له سماه : (الصراط المستقيم والرد على اهل الجحيم) ، وقد وقفت في كلامه على المواضع التي كفر فيها الأئمة الأربعة .

وكان بعض أتباعه يقول انه أخرج زيف الأئمة الأربعة ، يريد بذلك إضلال هذه الامة لأنها تابعة لهم في جميع الأقطار والأمصار وليس وراء ذلك زندقة إ هـ .

Marfat.com

وقوله : (ونسبوه الى الزندقة لقوله : ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستغاث به) ، تقدم تقريره بالحجج القاطعة في كلام الامام السبكي ، وفي كلامي •

وقوله : (ونسبه قوم الى السعي في الامامة الى قولهوكان اذا حوقق) ، غير مستنكر هذا منه ولكن بينه وبين ابن تومرت من الفرق كما بين السماء والأرض في كل شيء ، فأفعل التفضيل لا يدخل بينهما •

وقوله : (وكان اذا حوقق والزم الى قوله ودار بينه وبين أبي حيان كلام) ، دليل على جهله وانطوائه على غرض سيء •

ولم نر ولم نسمع في التاريخ الاسلامي ان البدعي اذا ناظر سنياً فالزمه السني الحجة ، قال لم أرد هذا وانما أردت كذا ويذكر احتمالاً بعيداً روغان الثعلب ، فاما أن يرجع الى الحق وهم قليل واما ان يسكت ويبقى مصراً على ضلاله •

وقد ناظر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الحروريين فألزمهم الحجه فافترقوا على ثلاث فرق : فرقة رجعت الى حيدرة كرم الله وجهه ، وفرقة بقيت متحيرة ، وفرقة صممت على الضلال ومحاربة أمير المؤمنين حيدرة كرم الله وجهه •

وناظر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صاحبي شوذب الخارجي فألزمهما الحجة فرجع احدهما الى الحق وتاب ، وصمم الآخر على ضلاله •

وناظر الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه الزنادقة فقطعهم فتابوا على يده ، وناظر أيضاً أصحاب الضحاك الخارجي فقطعهم ولم يرجعوا عنعقيدتهم ، وناظر الامامالشافعي رضي الله تعالى عنه كلاً من حفص الفرد وبشر المريسي فألزمهما الحجة ولم يرجعا عن ضلالهما ، وناظر أبو محمد الأذرمي القاضي أحمد بن أبي دؤاد رئيس المعتزلة امام الوائق فأفحمه ولم يرجع عن عقيدته ، وناظر الامام أبو الحسن الأشعري شيخهالجبائي فألزمه الحجة ولم يرجع عن اعتزاله ، وناظر القاضي أبو بكر الباقلاني جماعة من المعتزلة في رؤية الله تعالىوغيرها عند الصاحببن عبّاد فأفحمهمولم يرجعوا عناعتزالهم•

Marfat.com

دليل على جهله وانطوائه على غرض سيء

ويدل على جهله وانطوائه على غرض سيء في مراوغته للعلماء عند محاققتهم لـه بقوله لم أرد هذا وانما أردت كذا ويذكر احتمالاً بعيداً •

ما ذكره العلامة الحصني في : (دفع شُبَه من شبَّه وتمرَّد) في آخر صفحة ٣٤قال:

ثم شرع ينظر في كلام العلماء ويعلق في مسودته حتى ظن انه صار له قوة في التصنيف والمناظرة وأخذ يدوّن ويذكر أنه جاءه استفتاء من بلد كذا ، وليس لذلك حقيقة فيكتب عليها صورة الجواب ويذكر ما لا ينتقد عليهوفي بعضها ما يمكن أن ينتقد ، الا أنه يشير اليه على وجه التلبيس بحيث لا يقف على مراده الا حاذق عالم متفنن ، فاذا ناظر أمكنه أن يقطع مناظره إلا ذلك المتفنن الفطن إ هـ •

وفي صفحة ٣٦ منه قال : انه يذكر في بعض مصنفاته كلام رجل من أهل الحق ويدس في غضونه شيئاً من معتقده الفاسد فيجري عليه الغبي بمعرفة كلام أهل الحق فيهلك ، وقد هلك بسبب ذلك خلق كثير ، وأعمق من ذلك انه يذكر ان ذلك الرجل ذكر ذلك في الكتاب الفلاني وليس لذلك الكتاب حقيقة وإنما قصده بذلك انفضاض المجلس ، ويؤكد قوله بأن يقول ما يعد أن هذا الكتاب عند فلان ويسمي شخصاً بعيد المسافة ، كل ذلك خديعة ومكر وتلبيس لأجل خلاص نفسه ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله إ هـ •

لا تناقض عند أبي حيان في مدحه لابن تيمية

اولا وذمه له ثانيا

والمفتتنون بالحراني يسجلون على أبي حيان تناقضه ، قالوا إنه مدح إمامهم مدحاً بليغاً ، ولما جهّل إمام النحويين سيبويه نافره وذمه ، ويفتخرون بهذا الهذيان الذي صبه

Marfat.com

قدوتهم على عمرو بن بشر : (يفشر سيبويه ، وما كان نبي النحو ، وأخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً لا تفهمها أنت) •

ولا تناقض عند أبي حيان ، أما مدحه له اولاً فهو مبني على تحسين الظن وعلى الشهرة الكاذبة والدعاية التي جعلها لنفسه ونشرها له الغوغاء ، واما ذمه بعد ذلك فلما انكشف له من عقيدته وعجرفته وغطرسته •

وقد مدح عمرو بن الأهتم التميمي ابن عمه الزبرقان بن بدر عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الزبرقان : يا رسول الله انه حسدني فترك كثيراً من فضائلي فذمّه عمرو ذماً بليغاً ، وقال : والله يا رسول ما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : (ان من البيان لسحراً) •

كل مائق يستطيع ان يقول لمناظره اخطأ فلان

او إمامك في مائة او الف مسالة لا تفهمها انت لان الكلام لا ضريبة عليه

وقد دل هذا الهذيان على جهله وغطرسته وحمقه ، فلو عقلوا لم يفتخروا بـه ولستروه كما تستر الهرة خرأها ، إذا كل مائق يمكنه أن يقول لمناظره أخطأ إمامك في مائة أو ألف مسألة في الفقه مثلا لا تفهمها أنت ويسفه عليه بهذا الهذيان أو بأشد منه يفشر ••• وما كان إمامك نبي •••

وفي استطاعة أبي حيان أن يقول له مثل هذا الهراء أو اكثر منه لأن الكلام لا ضريبة عليه ولكنه ليس بسفيه ولا متغطرس ، وهو عالم بفنه العربية غير مدافع قد أخذها عنه بمصر أعيان العلماء واعترفوا بفضله ، منهم الامام أبو الحسن السبكي ، ولا يلحق ابن تيمية غباره وغبارهم فيها ، فلو قال قائل إن ابن اتيمية لا يعرف العربية ، فضلاً عـن فهمه كتاب الامام سيبويه وتخطئته بدليل خطأه القبيح في حديث : (لا تُشَدُّ الرحال الخ •••) في حمله له على منع زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخالفاً للأمة الاسلامية ، وغيره ، وقد تقدم اظهار جهله فيه وفي غيره بالعربية ، وبدليل ما ذكره التاج

Marfat.com

السبكي في طبقاته الكبرى في ترجمة المحدث أبي الحجاج المزي ، قال انه كان بارعاً في العربية نحواً وتصريفاً ، قال : وكان الذين يقرأون عليه يلحنون فيردهم ، وكان ابن تيمية يقرأ عليه فيلحن ، لكان صادقاً •

قول العلامــة ابن حجر الهيتمي في ابن تيمية

•

سئل عنه في فتاواه الحديثية فأجاب بقوله :

ابن تيمية عبد خذله الله تعالى وأضلَّه وأعماه وأصمه وأذلَّه وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله ، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الامام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولـده التـاج والشيخ الامام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية •

ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن بل يرمى في كل وعر وحزن ويعتقد فيه انه مبتدع ضال ومضل جاهل غال ، عامله الله تعالى بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته •

وأفاض في ذكر أعيان من الصوفية طعن فيهم ثم قال : ولا زال يتتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسقوه وبدعوه ، بل كفره كثير منهم ، وقد كتب اليه بعض أجلاء أهل عصره علماً ومعرفة سنة خمس وسبعمائة :

من فلان الى الشيخ الكبير العالم امام أهــل عصره = بزعمه = أما بعـد ، فانا أحببناك في الله زماناً ، وأعرضنا عما يقال فيك اعراض الفضل إحسانا ، إلى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم ما يقتضيه العقل والحس ، وهل يشك في الليل عاقل اذا غربت الشمس ؟ ، وانك أظهرت انك قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والله تعالى أعلم بقصدك ونيتك ، ولكن الاخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول ، وما رأينا آل أمرك

Marfat.com

الى هتك الأستار والأعْراض باتباع من لا يوثق بقوله من أهل الأهواء والأغراض ، بل سائر زمانه يسب الأوصاف والذوات ولم يقنع بسب الأحيـاء حتى حكم بتكفـير الأمـوات •

ولم يكفه التعرض على من تأخر من صالحي السلف حتى تعدى الى الصدر الاول ممن له أعلى المراتب في الفضل ، فياويح من هؤلاء خصماؤه يوم القيامة ، وهيهات أن ينالـه غضب وأنى له بالسلامة •

وذكر سماعه منه تخطئة الخليفتين عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وقد تقدم، ثم قال : فياليت شعري من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ عليّ بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب ؟ ، والآن قد بلغ بهذا الحال الى منتهاه والأمر الى مقتضاه ولا يفضي الا القيام في أمرك ودفع شرك ، لأنك قد أفرطت في الغيّ ووصل أذاك الى كل بيت وحيّ ، وتلزمني الغيرة شرعاً لله تعالى ولرسوله ويلزم ذلك جميع المؤمنين وسائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء وهم أهل الشرع ، وأرباب السيف الذين بهم الوصل والقطع ، الى أن يحصل منك الكف عن أعراض الصالحين رضي الله عنهـم أجمعين إ هـ •

وقال العلامة الهيتمي بعد هذا مباشرة : واعلم أنه خالف الناس في مسائل نبّه عليها تاج السبكي وغيره ، فمما خرق فيه الاجماع قوله في (عليّ الطلاق) إنه لا يقع عليه بل عليه كفارة يمين ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله ، وأن طلاق الحائض لا يقع، وكذا الطلاق في طهر جامع فيه ، وان الصلاة اذا تركت عمداً لا يجب قضاؤها ، وان الحائض يباح لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها ، وأن الطلاق الثلاث يرد الى واحدة ، وكان هو قبل ادعائه ذلك نقل اجماع المسلمين على خلافه ، وأن المكوس حلال لمـن يقطعها ، وأنها اذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة وان لم تكن باسم الزكاة ولا بسمها ، وان المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة ، وان الجنب يصلي تطوعـه بالليل ، ولا يؤخره الى ان يغتسل قبل الفجر وان كان بالبلد ، وأن شرط الواقف غير معتبر بل لو وقف على الشافعية صرف الى الحنفية وبالعكس وعلى القضـاة صرف الى الصوفية في امثال ذلك من مسائل الاصول ، مسألة الحسن والقبح التزم كل ما يرد عليها،

Marfat.com

وأن مخالف الاجماع لا يكفر ولا يفسق ، وان ربنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً محل الحوادث تعالى الله عن ذلك وتقدس ، وانه مركب تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء تعالى الله عن ذلك وتقدس ، وان القرآن محدث في ذات الله تعالى الله عن ذلك ، وان العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوقاً دائما فجعله موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار تعالى الله عن ذلك •

وقوله بالجسمية والجهة والانتقال وأنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح والكفر البراج الصريح وخذل متبعيه وشتت شمل معتقديه •

وقال إن النار تفنى ، وأن الانبياء غير معصومين ، وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا جاه له ولا يتوسل به ، وان انشاء السفر اليه بسبب الزيارة معصية لا تقصر الصلاة فيه وسيحرم ذلك يوم الحاجة ماسة الى شفاعته ، وان التوراة والانجيل لم تبدل ألفاظهما وإنما بدلت معانيهما إ هـ •

فان قيل ان المحدث ابن ناصر الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ قد ألّف مجلداً سماه : « الرد الوافر على من زعم ان من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر » ، دافع فيه عن ابن تيمية ، ونفى عنه ما يذم به ، وسرد فيه ستاً وثمانين عالماً كل قد أطرى ابن تيمية •

الرد الوافر لابن ناصر الدين ليس برد وهو باطل بأربعة عشر وجهاً

قلت : ليس برد فضلاً عن كونه وافراً وهو باطل بأربعة عشر وجهاً :

الأول : ـ خلوه من الركنين الأهمين ، وهما المردود عليه وموضوع الرد ، والتسمية واسم الراد لا يفيدان شيئاً •

الثاني : ـ تركه للركنين الأهمين يدل على انه ليس بعالم ولا يعرف معنى الرد •

الثالث : ـ سرده في صدره طبقات المعدلين والمجرحين من الصدر الاول إلى الذهبي التي هي خارجة عن موضوع كتابه يدل على ذلك •

Marfat.com

الرابع : ـ إطراؤه للذهبي بقوله : امام الجرح والتعديل والمعتمد عليه في المدح والقدح ، وانه كان عالما بالتفريع والتأصيل فقيهاً في النظريات له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات ، خارج ايضا عن موضوع كتابه دال على غباوته .

وقد صدق في امامة الذهبي ولكنها في أحد الشقين ، الجرح ، وما كان الذهبي يعرف الفروع ولا الاصول فضلاً عن كونه عالما بالتفريع والتأصيل ، وما كان يعرف مطلق النظريات فضلا عن كونه فقيهاً فيها ، وما كان له دربة بمذهب امامه المطلبي ، فضلاً عن دربته بمذاهب الأئمة الآخرين ، فضلاً عن دربته بمقالات أصحاب المقالات .

الخامس : ـ ان وقف على ما قاله ابن الوردي والتاج السبكي وغيرهما في الذهبي من انه طعن في المعاصرين له والسابقين عليه من فحول علماء الاسلام للهوى والمخالفة في الرأي فمدحه له تعصب ممقوت باطل وان لم يقف عليه فمدحه له مبني على جهل مركب وكلاهما معصية .

السادس : ـ هذا العدد الذي زعم انهم مدحوا ابن تيمية وسموه شيخ الاسلام مفتعل من المفتتين به .

السابع : ـ لو صح عنهم كلهم أنهم مدحوه وسموه بذلك لا يجديه شيئاً لأنه تحلية ، والتحلية لا تكون الا بعد التخلية ، فيحمل اطراؤهم له على أول أمره لما كان متستراً بالسلف متظاهراً بالتنسك والعفة ، ولما انكشف حاله رجع بعض ممن كان أطراه ، فذمه كابن الزملكاني وأبي حيان ، ولا يجدي ابن ناصر شيئاً لانه لا يلاقي موضوع كتابه ، فكان عليه أن يذكر كلام المردود عليه الّذي كفر به العلماء الذين سموه شيخ الاسلام ، ويحلله تحليلا علميا يظهر به فساده للألباء ، ثم بعد ذلك يسرد العلماء الذين سموه بذلك ان شاء .

أما صنيعه هذا فهو دال على جهله مفيد للمكفر لابن تيمية ولمن على رأيه فيه ، غير مفيد للذين ينتظرون ويفهمون معنى الرد ، لانه ما زاد على أن قال لهم الذين كفرهم فلان لتسميتهم ابن تيمية شيخ الاسلام هم فلان وفلان الى آخرهم ، فتحقق بهذا ان كتابه محشو بشيئين طبقات المعدلين والمجرحين ، وأسماء الذين مدحوا ابن تيمية ولا رد فيه أصلاً فالرد في واد وهو في واد آخر .

Marfat.com

الثامن : ـ مما هو مفتعل قطعاً من المفتتين بالحراني ادخاله الامام ابن دقيق العي في المثنين عليه ، وهو باطل بوجهين :

الاول : ـ ابن دقيق العيد توفي سنة ثلاث وسبعمائة ، وابن تيمية انما دخل مص سنة خمس وسبعمائة •

الثاني : ـ الكلام الذي زعم المفتعل مدح ابن دقيق العيد به ابن تيمية بعضه مؤدا الكفر وبعضه أقرب الى ذم ابن تيمية من مدحه مما يدل على منتهى غباوة المفتعل ؛ وهاهو (ما كنت أظن ان الله تعالى بقي يخلق مثلك) ، وركاكة هذا الكلام في المبنى وفساد في المعنى يدركهما كل من له إلمام بالعلم •

ولا ريب انه صريح في تعجيز القدرة الالهية ، لأن معناه نفي ظنه خلق الله تعالى مثل فلان ، ونفي ظنه ذلك تعجيز للقدرة الالهية ، وتعجيز القدرة الالهية كفر فيستحيل صدور هذا الكلام من أي عالم فضلاً عن الامام ابن دقيق العيد الذي تسن فنون العلم ، وزعم المفتعل أيضاً ان ابن دقيق العيد سئل بعد انقضاء المجلس عن ابن تيمية فقال : (هو رجل حفظه) ، فقيل له : فهلا تكلمت معه ؟ ، فقال : (هذا رجل يحب الكلام وأنا أحب السكوت) ، هذا الكلام أقرب الى ذم ابن تيمية من مدحه ، لأن الحفظة معناه كثير الحفظ ولا يلزم من كثرة حفظه قوة علمه وفهمه ، والذي يحب الكلام يهذر ، والمهذار يغلط كثيراً ولا بد ، والذي يحب السكوت صوابه أكثر من خطئه في العادة المستمرة ، رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم •

وزعم أيضا ان ابن دقيق العيد قال : (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد) ، وهذا باطل مستحيل صدوره من ابن دقيق العيد ، فابن تيمية لا يعرف الا علم الحديث على مجازفته في الطعن في الأحاديث التي لا توافق هواه وسوء فهمه لها ، وغيره من العلوم انما هو متهجم عليه •

قال التاج السبكي : في طبقاته في ترجمة ابن دقيق العيد : « انه كان لا يزيد القول لجميع الناس الكبير والصغير الأمير والمأمور ، على : (يا انسان) ، ما عدا الباج وابن الرفعة ، فانه كان يقول للأول : يا امام وللثاني : يا فقيه » •

Marfat.com

التاسع : ـ يكذبه (وان لم يطلع على كتب ابن تيمية) قيام علماء دمشق عليه مراراً وإفحامهم له وتضليلهم له وتسجيل ذلك عليه الذي سارت به الركبان واشتهر اشتهار الغزالة ، فمحال جهله له فهو تيمي قطعاً .

العاشر : ـ يكذبه أيضا ما سجله وأثبته من مصائب ابن تيمية العلامة تقي الدين الحصني في كتابه : « دفع شُبَه من شبَّه وتمرد ونسب ذلك الى السيد الجليل الامام أحمد » .

الحادي عشر : ـ يكذبه أيضاً كتب ابن تيمية التي طبعت الآن فمن تجرد عن العاطفة وتحلى بالانصاف وطالعها كلها يجد فيها المصائب التي نسبها العلماء اليه .

الثاني عشر : ـ المكفر كفر ابن تيمية لما اطلع على كلامه وكفر كل من سماه شيخ الاسلام ، وابن ناصر الدين اشتغل بالقشور وأهمل لباب الموضوع وروحه ، ولقد كان الواجب عليه أولاً ان يذكر كلام ابن تيمية الذي كفره به المكفر ، ويحطه تحليلاً علمياً يبين به فساد فهم المكفر له به بياناً شافياً وثانيا يبين به ان الذين سموه شيخ الاسلام محقون في هذه التسمية .

الثالث عشر : ـ المكفر لابن تيمية ولمن سماه شيخ الاسلام كان مع ابن ناصرالدين في دمشق ، توطنها بعد القاهرة ، وكان كلما عرض عليه كلام ابن تيمية كفره بمرأى ومسمع من ابن ناصر ، فكان الواجب عليه للمدافعة عن الحراتي ان يذهب اليه ويناظره في الكلام الذي كفر به ابن تيمية ، حتى يفحمه ويبين للناس جهله وتطرفه ، وهو ابن البلد والمكفر غريب طارىء عليها ، ولا يطلب الطعن والنزال في الخلاء ووراء الجدران، فعدوله عن كبح تطرفه بالمناظرة الى سرد طبقات المعدلين وسرد أسماء المادحين للحراني الخارجين عن موضوع الكتاب دليل على جبنه وافلاسه من العلم .

الرابع عشر : ـ لو كانت عقيدة ابن تيمية على نهج أهل الحق صحيحة مستقيمة ، وكتبه خالية من التلبيس ومخالفة اهل الحق نظيفة سليمة ، ومدحه أهل الأرض جميعا ، ما نفعه ذلك شيئاً ، لان مدحهم له لا يضمن له الصواب في الأقوال والاستقامة في الأعمال

Marfat.com

وثبات قلبه على الايمان في سائر الأزمان والأحوال والخلو من الأخلاق الذميمة المردية لغير الأنبياء من الرجال ، بل مدحهم له قطع عنقه بالاعجاب الذي عن عيوب نفسه أصمَّ وأعماه ، والازدراء لعباد الله الذي في مهوى هواه أرداه •

وقد أثنى الصحابة يوم أحد على قزمان بالشجاعة فقال لهم عليه الصلاة والسلام (انه من أهل النار) ، فتعجبوا من ذلك ، فلما قال لقومه لما بشروه بالجنة : (انها جنة من حرمل وقتل نفسه) ، تحققوا صدقه عليه الصلاة والسلام •

وقال الصحابة يوم خيبر لعبده صلى الله عليه وسلمالذي قتل : (هنيئاً له الجنة) فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : (كلا ان العباءة التي غَلَّهَا لتشتعل عليه ناراً) •

ومر صلى الله تعالى عليه وسلم على أبي هريرة ورجل من الأنصار والرَّجَّال بن عَنْفُوة الحنفي فقال لهم : (ضرس احدكم في جهنم مثل جبل أحد) وكان الرَّجَّال قدم في وفد بني حنيفة فأسلم وحفظ سوراً كثيرة من القرآن ، قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه : فما زلت أنا وصاحبي الأنصاري خائفين من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغنا ان الرَّجَّال ارتد عن الاسلام واتبع مسيلمة الكذاب •

المكفر لابن تيمية ولمن سماه شيخ الاسلام

هو علاء الدين البخاري تلميذ العلامة السعد التفتازاني

والمكفر لابن تيمية ولمن سماه شيخ الاسلام هو علاء الدين البخاري تلميذ السعد التفتازاني المتوفى بدمشق الشام سنة احدى وأربعين وثمانمائة •

تكفير العلاء البخاري ايضا لمحي الدين ابن عربي

قال السخاوي في (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع في ترجمته) : وكان ممن يقبح ابن عربي ويكفره وكل من يقول بمقاله وينهي عن النظر في كتبه ، (ووصف

Marfat.com

بالزهد وانه كانت له منزلة كبيرة عند السلطان) قال : وشرع في ابراز ذلك = أي تكفير ابن عربي = ، ووافقه اكثر من حضر الا البساطي ، فانه قال انما ينكر الناس عليه ظاهر الالفاظ التي يقولها ، والا فليس في كلامه ما ينكر اذا حمل لفظه على معنى صحيح بضرب من التأويل ، وانتشر الكلام بين الحاضرين في ذلك .

قال شيخنا وكنت مائلاً مع العلاء ، وان من أظهر لنا كلاماً يقتضي الكفر لا نقره عليه ، وكان من جملة كلام العلاء الانكار على من يعتقد الوحدة المطلقة ، ومن جملة كلام البساطي : أنتم ما تعرفون الوحدة المطلقة ، فاستشاط العلاء غضباً وصاح : أنت معزول ولو لم يعزلك السلطان ، = أي من القضاء لأن البساطي كان أحد القضاة الأربعة = ، بل قيل انه قال له صريحاً كفرت .

ثم قال السخاوي انه دار بين شيخه ابن حجر والبساطي بعض كلام (ولم يبينه)، وان البساطي تبرأ من مقالة ابن عربي وكفر من يعتقدها ، (وذكر كلاماً كثيراً حاصله ان العلاء وابن حجر كانت لهما منزلة عند السلطان قهرا بها البساطي) .

ثم ذكر ان العلاء انتقل الى دمشق الشام فتوطنها وحصلت له بها حوادث ، منها انه كان يسأل عن مقالات ابن تيمية التي انفرد بها ، فيجيب بما يظهر له من الخطأ فيها وينفر عنه قلبه ، الى ان استحكم أمره عنده فصرح بتبديعه ثم بتكفيره ، ثم صار يصرح في مجلسه بأن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الاسلام فهو بهذا الاطلاق كافر ، واشتهر ذلك فانتدب حافظ الشام ابن ناصر الدين لجمع كتاب سماه : « الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الاسلام كافر » ، وقال في آخر ترجمته : وكان يقول : ابن تيمية كافر ، وابن عربي كافر ، إ هـ .

استسمان السخاوي لكتاب ابن ناصر الدين دليل على انه مثله

واستسمان السخاوي لكتاب ابن ناصر الدين دليل على انه مثله ، ومن يطلع على كتابه « الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع » يجده قد طعن في كل فاضل محقق ،

Marfat.com

وممن طعن فيهم شيخ الاسلام زكريا الأنصاري ، وأما السيوطي فقد جرده من الفضائل ووسمه بالرذائل ، وقد علم العقلاء تبريز السيوطي عليه بالتفنن في العلوم وكثرة التآليف .

بعض العلماء الرادين على ابن تيمية والمناظرين له

وقد ابطلت كثيراً من فاسد كلام ابن تيمية بما لم يسبقني اليه احد في علمي ، واذكر من رد عليه وناظره من العلماء المعاصرين له والمتأخرين عنه .

فممن ردّ عليه من الشافعية رداً محكماً ونقض رسالته الحموية في الجهة العلامة شهاب الدين احمد بن يحيى الحلبي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وقد لخصت رده سابقاً .

وناظره العلامة محمد بن عمر بن مكي صدر الدين بن المرحّل المتوفى سنة ستة عشر وسبعمائة .

قال التاج السبكي في طبقاته الكبرى : وله مع ابن تيمية المناظرات الحسنة ، وبه حصل عليه التعصب من اتباع ابن تيمية وقيل فيه ما هو بعيد عنه ، وكثر القائل فارتاب العاقل إ هـ .

قلت : صدق التاج ، لقد رماه ابن كثير في بدايته بالقبائح وقذفه ، فالله يجازيه جزاء القاذفين الأفّاكين .

وناظره فأفحمه العلامة كمال الدين الزملكاني المتوفى سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ورد عليه برسالة في مسألة الطلاق واخرى في مسألة الزيارة .

ورد عليه العلامة عز الدين بن جماعة وشنع عليه .

والامام المحقق ابو الحسن السبكي رد عليه بشفاء السقام في زيارة خير الأنام ، والدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية ، ونقد الاجتماع والافتراق في مسائل الايمان والطلاق ، والنظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق ، والاعتبار ببقاء الجنة والنار ، وكلها مطبوعة ، توفي الامام السبكي سنة ست وخمسين وسبعمائة .

Marfat.com

والعلامة الشريف تقي الدين الحصني الدمشقي المتوفى سنة تسع وعشرين وثمانمائة بـ : (دفع شُبَهِ من شَبَّهَ وتمرّد ، ونسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد) وهو مطبوع •

والعلامة ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة اربع وسبعين وتسعمائة بـ : (الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم) وهو مطبوع •

ورد عليه من المالكية المعاصرين له في الزيارة العلامة عمر بن ابي اليمن اللخمي الشهير بالتاج الفاكهاني المتوفى بالاسكندرية سنة اربع وثلاثين وسبعمائة بـ : (التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة) ،

وقاضي القضاة العلامة محمد السعدي المصري الاخنائي المتوفى سنة خمسين وسبعمائة برسالة محكمة سماها : (المقالة المرضية فيالرد على من ينكر الزيارة المحمدية) وهي مطبوعة ضمن البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة للعلامة الشيخ سلامة العزامي الشافعي المتوفى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة والف •

ورد عليه في مسألة الطلاق العلامة عيسى ابو الروح الزواوي المتوفى بالقاهرةسنة ثلاث واربعين وسبعمائة •

Marfat.com

حال محمد بن عبد الوهاب عند العلماء المعاصرين له والمتأخرين عنه

تقدم في المقدمة ان أمّهات عقيدته منحصرة في اربع ، تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه وتوحيد الالوهية والربوبية ، وعدم توقيره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتكفيره المسلمين ، وانه مقلد فيها كلها احمد بن تيمية ، وهذا مقلد في الاولى الكرامية ومجسمة الحنابلة ، ومقتد بهما وبالحروريين في الرابعة ، ومخترع توحيد الالوهية والربوبية الذي تفرع عنه عدم توقيره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتكفيره المسلمين .

وقد فرق ابن تيمية تكفيره المسلمين في كتبه تلبيساً وتحت ستار الكتاب والسنة والسلف وأئمة السنة والأئمة .. المزيف ، وهذا صرح بتكفيرهم وجعل رأي ابن تيمية اصلاً بنى عليه رسائله المؤلفة في التوحيد قالوا :

كان محمد بن عبد الوهاب ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتأذى من سماعها ، وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها على المنائر ، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه اشد العقاب حتى انه قتل رجلاً اعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن ، نهاه عن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنارة بعد الاذان فلم ينته فأمر بقتله فقتل .

ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة ، يعني الزانية اقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنائر ، ويلبس على اصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد ، واحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويستتر بقوله : إن ذلك بدعة وإنه يريد المحافظة على التوحيد ، وكان يمنع اتباعه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث ، واحرق كثيراً منها وأذن لكل

Marfat.com

ن اتبعه ان يفسر القرآن بحسب فهمه ، فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ، ولو كان لا يحفظ القرآن ولا شيئاً منه ، وامرهم ان يعملوا ويحكموا بما يفهمونه ، وجعل ذلك مقدماً على كتب العلم ونصوص العلماء •

وكان يقول في كثير من اقوال الأئمة الأربعة ليست بشيء ، وتارة يتستر فيقول إن الأئمة على حق ويقدح في اتباعهم الذين التَفوا وحرروا مـذاهبهم فيقول إنهـم ضلوا واضلوا ، وتارة يقول إن الشريعة واحدة ، فما لهؤلاء جعلوها مذاهب اربعة ؟ ، هذا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نعمـل إلا بهما ، ولا نقتـدي بقول مصري وشامي وهندي ، يعني بذلك اكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تآليف في الرد عليـه •

فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وإن خالف النصوص الشرعيـة وإجماع الامة ، وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وإن كان على نص جلي أجمعت عليه الامة•

قلت : هذا الذي قالوه عنه يطبقه الآن مقلدوه اتم تطبيق ، ولا سيما الطعن في الأئمة وعلماء الاسلام ، وادعاء الاجتهاد والتمسك بالكتاب والسنة ، فانه بضاعتهم التي تروج في سوق العامة ولا يحسنون غيرها ، ما عدا الاحراق لكتب الفقه والتفسير والحديث فانا لم نعلمه حصل منهم في هذا العصر •

نعم ! يتلفون الكتب المخالفة لهواهم الرادة عليهم جزماً ، وما عدا الحكم بما يفهمونه فانهم الآن يحكمون في المدن والقرى ظاهراً بمذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ، وكان ينتقص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أن قصده المحافظة على التوحيد ، فمنها قوله : إنه طارش ، وهو في لغة اهل نجد بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين ، فمراده انه صلى الله تعالى عليه وسلم حامل كتب اي غاية امره انه كالطارش الذي يرسله الامير او غيره في امر لأناس ليبلغهم إياه ثم ينصرف •

ومنها انه قال : نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا وكذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا ، حتى ان اتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك ايضا ويقولون مثل قوله ، بـل

Marfat.com

اقبح مما يقول ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به، حتى ان بعض اتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ، ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم قد مات ، ولم يبق فيه نفع اصلاً وإنما هو طارش وقد مضى •

قال بعض من الّف في الرد عليه ان ذلك كفر في المذاهب الأربعة بل هو كفر عند جميع اهل الاسلام إ هـ •

وقالوا ايضا : كان اخوه سليمان بن عبد الوهاب من اهل العلم فكان ينكر عليه إنكاراً شديداً في كل ما يفعله او يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه •

وقال له يوماً : كم اركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب ؟ فقال : خمسة ، فقال له : انت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للاسلام•

قال له رجل يوماً : كم يعتق الله كل ليلة في رمضان ؟ فقال له : يعتق في كل ليلة مائة الف وفي آخر ليلة يعتق مثل ما اعتق في الشهر كله ، فقال الرجل : لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت ، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك ؟ ، فبهت •

ولما طال النزاع بينه وبين اخيه خاف سليمان ان يأمر بقتله فارتحل الى المدينة المنورة والّف رسالة في الرد عليه وارسلها له فلم ينته ، والّف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرد عليه وارسلوها له فلم ينته •

وقال له رجل آخر ، وكان رئيساً على قبيلة لا يقدر ان يسطو عليه ، ما تقول إذا اخبرك رجل صادق ذو دين وامانة وانت تعرف صدقه بأن قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت الف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا اثراً ولا احداً منهم بل ما جاء تلك الأرض احد منهم ؟ ، اتصدق الألف ام الواحد الصادق عندك ؟ ، فقال : اصدق الألف ، فقال له الرجل : إن جميع المسلمين من العلماء

Marfat.com

الاحياء والاموات في كتبهم يكذبون ما اتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جواباً لذلك •

وقال له رجل آخر : هذا الدين الذي جئت به متصل ام منفصل فقال لـه حتى مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون ، فقال له الرجل : إذاً دينك منفصل لا متصل ، فممن اخذته ؟ فقال : وحي إلهام كالخضر ، فقال له إذاً ليس ذلك محصوراً فيك ، كل احد يمكنه ان يدعي وحي الألهام الذي تدعيه •

ثم قال له : إن التوسل مجمع عليه عند اهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيـه قولين ، ولم يذكر ان فاعله يكفر بل حتى الرافضة والخوارج وكافة المبتدعة يقولون بصحة التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلا وجه لك في التكفير اصلاً ، فقال له محمد بن عبد الوهاب إن عمر استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حياً ، وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ميت فلا يستسقى به ، فقال له الرجل : هذا حجة عليك ••• فان استسقاء عمر بالعباس إنما كان لاعلام الناس بصحة الاستسقاء والتوسل بغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يخلق ؟ •

فالتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان معلوماً عند عمر وغيره وانما اراد عمر ان يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبهت وتحير وبقي على عماوته إ هـ •

اقول : لا مقصد لمحمد بن عبد الوهاب وانما هو كالصدا حاك رأي إمامه ابن تيمية الذي ورطه استسقاء عمر بالعباس في الجهل مرتين ، احتجاجه على منع التوسل بالجاه بالعدم ، وتفرقة بين الحي فاجاز التوسل به فيما يقدر عليه ، والميت فمنع التوسل به أي بجاهه وحقه وإن كان نبياً ، فالزام هذا المحاور لابن عبد الوهاب انما يتوجه حقيقة على

Marfat.com

ابن تيمية ، وقد فات هذا المحاور ان يقول لابن عبد الوهاب ايضا : احتجاجك بالعدم على منع التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصالحين من امته تقليداً لابن تيمية فاسد ، لأن عدم توسل عمر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه القصة لا يلزم منه تكفير المتوسلين بل ولا منع التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وبالصالحين من امته ، فان العدم ليس بدليل عند جميع العقلاء ، فالاحتجاج به دليل على جهل إمامك الحرّاني باصول الفقه والدليل •

وفاته ايضا ان يقول له : تكفيرك لنمسلمين المتوسلين تقليداً لابن تيمية ، إما بنص من كتاب الله او من سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم صريح عليه ، وإما باجماع ، ولا نص فيهما على تكفير المتوسلين ، ولا اجماع عليه ، بل نصوصهما دالة على جواز التوسل ، والاجماع منعقد ايضا على جوازه •

فشيخك الحراني مشاقق لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متبع غير سبيل المؤمنين •

وفاته ايضا ان يقول له : منعه التوسل بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاه الصالحين من امته ، وتفرقته بين الحي والميت فيه لا سند لهما الا فهمه الفاسد ، فلو استظهرتم بالثقلين على اثبانهما عن اي واحد من السلف الذين اتخذتموهم مجنّاً لأهوائكم الفاسدة لم تستطيعوا ، فضلاً عن اثبانهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي تشدقون باتباع سنته ، فضلاً عن إثباتهما من كتاب الله تعالى الذي تزعمون انكم متمسكون به •

فنحن نطالبكم ونتحداكم باثباتهما عن واحد من هذه الثلاثة ، ولاشتهار ابن عبد الوهاب واتباعه بتكفير المتوسلين بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصالحين اعتقد كثير من العلماء الذين لم يطلعوا على كلام ابن تيمية في التوسل انّ ابن عبد الوهاب هو الشاذ عن الامة الاسلامية فيه •

وقد رد على محمد بن عبد الوهاب علماء كثيرون معاصرون له ومتأخرون عنه ،

Marfat.com

زالت سهام الرد من علماء الاسلام مشارقة ومغاربة مسددة اليه الى وقتنا هذا ، وفي مة الرادين عليه المعاصرين له حنابلة الأحساء ، وجميع الردود إنما تتوجه حقيقة ابن تيمية •

العلماء الرادون على ابن عبد الوهاب المعاصرون له

والمتاخرون عنه الى وقتنا هذا

فمن الرادين عليه والناصحين له :

١ ـ شيخه محمد بن سليمان الكردي الشافعي بتقريظ لرسالة اخيه سليمان بن الوهاب ورسالة مجموعهما في نحو ثلاثة اوراق ، وقد تفرس فيه شيخه هذا انه ل ومضل كما تفرس فيه ذلك شيخه محمد حياة السندي ووالده عبد الوهاب •

٢ ـ ورد عليه شيخه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف الشافعي بكتاب سماه : يد سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد •

٣ ـ ورد عليه العلامة عفيف الدين عبد الله بن داود الحنبلي بكتاب سماه: الصواعق الرعود في عشرين كراساً ، قال العلامة علوي بن احمد الحداد : كتب عليه تقاريظ ة من علماء البصرة وبغداد وحلب والاحساء وغيرهم ، تأييداً له وثناء عليه ، قال : وقفت عليه قبل هذا ما الفت كتابي هذا ، ولخصه محمد بن بشير قاضي رأس يمة بعمان •

٤ ـ ورد عليه العلامة المحقق محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي بكتاب سماه : تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين ، رد عليه في كل مسألة من المسائل ابتدعها بأبلغ رد ، ثم مسألة عن اشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والأدبية بسؤالات بية عن كتاب الرد ارسلها له ، منها اسئلة كثيرة من علم البيان تتعلق بسورة : العاديات) ، فعجز عن الجواب عن اقلها فضلا عن اجلها •

Marfat.com

٥ ـ ورد عليه العلامة احمد بن علي القباني البصري الشافعي برسالة في نحو عش
كراريس زيف بها رسالة له •

٦ ـ ورد عليه العلامة عبد الوهاب بن احمد بركات الشافعي الاحمدي المكي

٧ ـ ورد عليه الشيخ عطاء المكي برسالة سماها الصارم الهندي في عنق النجد

٨ ـ ورد عليه الشيخ عبد الله بن عيسى المويسي

٩ ـ ورد عليه الشيخ احمد المصري الاحسائي •

١٠ ـ ورد عليه عالم من بيت المقدس بكتاب سماه : السيوف الصقال في اعناق
انكر على الأولياء بعد الانتقال •

١١ ـ ورد عليه السيد علوي بن احمد الحداد بكتاب سماه : السيف الباتر
المنكر على الأكابر ، في نحو مائة ورقة •

١٢ ـ ورد عليه الشيخ محمد بن الشيخ احمد بن عبد اللطيف الاحسائي •

١٣ ـ ورد عليه العلامة عبد الله بن ابراهيم ميرغني الساكن بالطائف سم
تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء •

١٤ ـ قال السيد علوي بن احمد الحداد : وقد رأيت امام مقام ابراهيم بم
الشيخ محمداً صالحاً الزمزمي الشافعي ، جمع كتاباً في هذا المعنى في نحو عشرين كرا

١٥ ـ وقال السيد المذكور ايضا : ورأيت لما وصلنا الطائف العلامة ظاهراً س
الحنفي الف كتابا في ذلك سماه : الانتصار للأولياء الابرار •

١٦ ـ وقال السيد المذكور ايضا : ورأيت جوابات للعلماء الأكابر من المذ
الأربعة لا يحصون من اهل الحرمين الشريفين والاحساء والبصرة وبغداد وحلب وا
وبلدان الاسلام ، نثراً ونظماً ، اتى الي بمجموع رجل من آل ابن عبد الرزاق
الذين في الزبارة والبحرين فيه رد علماء كثيرين ونحن على ظهر سفر فلم يمكني
فطالعته كله •

Marfat.com

١٧ ـ وقال السيد المذكور ايضا : وأتى الينا الشيخ المحدث صالح الفلاني المغربي بكتاب ضخم فيه رسالات وجوابات كلها من العلماء اهل المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة يردون على محمد بن عبد الوهاب بالعجب ، وقد امرنا بنسخ هذا المجلد لنا •

١٨ ـ ورد عليه العلامة السيد المنعمي لما قتل ابن عبد الوهاب جماعة لم يحلقوا رؤوسهم بقصيدة طنانة مطلعها :

اني حلق رأسي بالسكاكين والحد حديث صحيح بالأسانيد عن جدي

١٩ ـ ورد عليه العلامة السيد عبد الرحمن من اكابر علماء الاحساء بقصيدة طنانة عدة ابياتها سبع وستون مطلعها :

بدت فتنة كالليل قد غطّت الافقا وشاعت فكادت تبلغ الغرب والشرقا

٢٠ ـ ورد عليه العلامة السيد علوي بن الحداد بكتاب سماه : مصباح الأنام وجلاء الظلام ، في رد شبه البدعي النجدي التي اضل بها العوام ، وهو مطبوع بالمطبعة العامرة سنة ١٣٢٥ وما تقدم من التآليف مذكور فيه •

٢١ ـ ورد اخيه سليمان بن عبد الوهاب عليه المسمى بـ : الصواعق الالهية مطبوع •

٢٢ ـ ورد العلامة المحقق شيخ الاسلام بتونس اسماعيل التميمي المالكي المتوفى سنة ١٢٤٨ وهو في غاية التحقيق والاحكام نقض به رسالة لابن عبد الوهاب مطبوع في تونس •

٢٣ ـ ورد العلامة المحقق الشيخ صالح الكواش التونسي وهو رسالة مسجعة محكمة نقض بها رسالة لابن عبد الوهاب مطبوع ضمن سعادة الدارين في الرد على الفرقتين •

٢٤ ـ ورد العلامة المحقق السيد داود البغدادي الحنفي جيد مطبوع •

٢٥ ـ ورد الشيخ ابن غلبون الليبي على قصيدة الصنعاني التي مدح بها ابن عبد

Marfat.com

الوهاب بقصيدة طنانة من بحرها ورويها مذكورة في سعادة الدارين عدة ابياتها اربعون بيتاً مطلعها :

سلامي على اهل الاصابة والرشد وليس على نجد ومن حل في نجد

٢٦ ـ ورد السيد مصطفى المصري البولاقي ايضا على قصيدة الصنعاني التي مدح بها ابن عبد الوهاب بقصيدة طنانة من بحرها ورويها مذكورة في سعادة الدارين عدة ابياتها مائة وستة وعشرون مطلعها :

بحمد ولي الحمد لا الذم استبدي وبالحق لا بالخلق للحق استهدي

٢٧ ـ ورد السيد الطباطبائي البصري ايضا على قصيدة الصنعاني التي مدح بها ابن عبد الوهاب بقصيدة طنانة من بحرها ورويها ذكر صاحب سعادة الدارين ابياتاً منها وسهام هذه القصائد الصائبة هي التي ارجعت الصنعاني الى كنيبة اهل الحق فقال :

« رجعت عن القول الذي قلت في النجدي » .

٢٨ ـ سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية ، للعلامة الشيخ ابراهيم السمنودي المنصوري المتوفى في العقد الثاني من هذا القرن وهو مطبوع في مجلدين .

٢٩ ـ رد مفتي مكة السيد احمد دحلان المتوفى سنة (١٣٠٤) المسمى « الدرر السنية » مطبوع .

٣٠ ـ رد الشيخ يوسف النبهاني المسمى « شواهد الحق في التوسل بسيد الخلق» مطبوع في مجلد .

٣١ ـ رد جميل صدقي الزهاوي البغدادي المسمى « الفجر الصادق » مطبوع .

٣٢ ـ إظهار العقوق ممن منع التوسل بالنبي والولي الصدوق للشيخ المشرفي المالكي الجزائري .

٣٣ ـ الف العلامة المرحوم مفتي فاس الشيخ المهدي الوزاني رسالة في جواز التوسل رد بها على محمد عبده الذي منع ذلك .

Marfat.com

٣٤ ـ رد الشيخ مصطفى الحمامي المصري المسمى « غوث العباد ببيان الرشاد » مطبـوع •

٣٥ ـ رد الشيخ ابراهيم حلمي القادري الاسكندري المسمى « جلال الحق في كشف احوال اشرار الخلق » جيد مطبوع في الاسكندرية سنة ١٣٥٥ •

٣٦ ـ رد العلامة الشيخ سلامـة العزامي المتوفى سنـة ١٣٧٩ المسمى « البراهين الساطعة » جيد مطبوع •

٣٧ ـ النقول الشرعية في الرد على الوهابية للشيخ حسن الشطي الحنبلي الدمشقي مطبـوع •

٣٨ ـ رسالة له ايضا في تأييد مذهب الصوفية والرد على المعترضين عليهم مطبوعة•

٣٩ ـ رسالة في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء للشيخ محمـد حسنين مخلوف مطبوعـة •

٤٠ ـ المقالات الوفية في الرد على الوهابية للشيخ حسن خزبك مطبوعة •

٤١ ـ الاقوال المرضية في الرد على الوهابية رسالة صغـيرة للشيـخ عطـا الكسم الدمشقي • وردود اهل السنة عليهم نظيفة خالية من السب والتكفير عكس ردودهم فانها مملوءة بذلك ، وقد رأيت قصيدة لرجل منهم يقال له ابن سحمان مات قريباً هجا بها الشيخ ابراهيم بن الشيخ عبـد اللطيف آل مبـارك التميمي المالكي الاحسائي منتصراً لصديق حسن خان القنوجي •

ولا يستغرب منهم هذا فانها البضاعة التي ورثوها من امامهم الحراني لا بد لهم منها لسد الفراغ ولا بلجأ اليها الا من يعوزه العقل والعلم ووقاره •

٤٢ ـ وقد رد عليه بقصيدة طنانة من بحرها ورويها العلامة الشيخ عبد العزيز القرشي العلجي المالكي الاحسائي المتوفى بعـد الستين مـن هذا القرن عـدة ابياتها ٩٥ مطلعهـا :

Marfat.com

ألا ايّها الشيخ الذي بالهدى رمى سترجع بالتوفيق حظا ومغنما
ومن يك مسعاه النفيس لربه سعى النصر في مسعاه أيان يمما

مقالات العلّامة الدّجوي في الرّد على التيميّين

في التوسل

٤٣ ـ واحسن وأجود من كتب في الرد عليهم في مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين في عصرنا هذا العلامة المرحوم الشيخ يوسف الدجوي سلسلة مقالات نشرت في مجلة الأزهر حين كانت تسمى نور الاسلام اذكرها بتصرف فيها •

حكم التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

س : نرجو من فضيلتكم التكرم بازاحة الستار عن موضوع اهتزت له الآرا وتطاحنت من اجله الجماعات رغبة في تمكين عرى العقيدة التي اقلقت بال الكثير وهذا الموضوع هو التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الله تعالى فقد تكلم في هذا الموضوع الكثير وذهبوا فيه مذاهب شتى حتى ان بعضهم يقول انه اشراك ••• الخ •

ج : إن التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم جائز ونافع وكان ينبغي ألا يكون فيه شبهة وقد ورد في الأحاديث الصحيحة = كما ستقف عليه = عندما نفيض القول فيه بعد ولكن (نغيث) اولئك الملهوفين (الذين توسلوا إلينا) بكلمة موجزة تأتي على الموضوع اجمالاً ونرجيء القول في التفصيل وبيان الأدلة الى عدد آخر فنقول :

ان تلك الطائفة ارتكبت شططاً وكفرت المسلمين لأوهى الأسباب غلطاً ، والتكفير لا يصح لمسلم يشفق على دينه ان يقدم عليهْ خصوصاً للمستدلين والمتأولين

Marfat.com

اني لا أدري كيف يكفرون من يقول : ان الله خالق كل شيء ، وبيده ملكوت كل شيء ، واليه يرجع الأمر كله ، والمتوسل ناطق بهذا في توسله ، فان المتوسل الى الله مالى بأحد أصفيائه قائل إنه لا فاعل الا الله ، ولم ينسب الى من توسل به فعلا ولا خلقا ، إنما أثبت له القربة والمنزلة عند الله تعالى ، وهي ثابتة لاشك فيها ، وبها يشفع صلى الله مالى عليه وسلم للخلائق يوم القيامة ، وبهذا الاعتقاد الراسخ الذي يكاد يكون فطريا ، النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة الى الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله مالى ، على ان المؤمن قد خرج من تلك الوساوس بمقتضى ايمانه بأن الله تعالى ليس له ريك ، وان لا اله الا هو ، حتى اننا لو رأيناه اسند شيئاً لغير الله عز وجل ، علمنا مقتضى ايمانه انه من الاسناد المجازي لا الحقيقي •

وقد قررنا ذلك في نحو قوله (انبت الربيع البقل) وفرقنا بين صدوره من المؤمن صدوره من الكافر فالمستغيث لا يعتقد ان المستغاث به من الخلق مستقل في امر من لامور غير مستمد من الله تعالى او راجع اليه ، وذلك شيء مفروغ منه ، ولا فرق في لك بين الاحياء والاموات ، فان الله خالق كل شيء ولا تأثير عندنا لشيء في شيء بنفسه هذا هو ما عليه جماعة اهل الحق •

وقد قال تعالى : (وإنِ استَنْصَرُوكُمْ في الدينِ فعلَيكُمُ النَّصْرَ) ، وقال مالى : (فاستغاثَهُ الذي من شيعَتِهِ على الذي مِنْ عدُوِّهِ) ، وقال تعالى : فارز قوهُم منه) الخ مافي الكتاب والسنة ، وهو كثير في لسان الشرع ومعروف في ديهة الفطرة •

واعجب العجب انهم لا يتحاشون الاسناد الى الجمادات ولا يمتعضون منه فيقولون : أرواني الماء واشبعني الخبز ونفعني الدواء ، فاذا سمعوا مثل ذلك الاسناد الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قامت قيامتهم وتبجح سفهاؤهم ، ويحسبون انهم يحسنون صنعاً ، وانا نسألهم : (وهم اكثر الناس تراميا على الناس) هل تعتقدون ان من تسألونه في قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل ؟ ، فاذا اعتقدتم ذلك كنتم اولى بالاشراك ، وإن قلتم اننا نذهب اليه ونسند له الفعل والاعطاء والمنع على سبيل المجاز والتسبب فان الله تعالى جعله

Marfat.com

من الاسباب التي يجري عندها الخير ويخلقه ، قلنا لكم إننا كذلك فلا فرق بيننا وبينك
وإن فرقتم بين الاحياء والاموات قلنا لا فرق فان الفاعل في كل ذلك هو الله تعالى لا الـ
ولا الميت ، وإذا كان المتوسل في الحقيقة انما توسل بمنزلة المتوسل به عند الله تعالى
والفاعل هو الله عز وجل لم يكن هناك معنى للتفرقة بين الحي والميت فان منزلتـه
كمنزلته حياً ، على ان تلك التفرقة لا ينبغي صدورها من مؤمن فضلاً عـن عالم
الارواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه في حياتها أو اشد ، ولنا
يتساءلون عن الاحياء ويفرحون ويحزنون بما يكون منهم ويدعون لهم الى آخر ما
في السنة .

وقد دعا آدم عليه الصلاة والسلام وغيره لنبينا صلى الله تعالىعليه وسلم ليلة المعرا
وقد شرع لنا ان نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد في قولنا : (السلام عليكم دار ق
مؤمنين) ونخاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل صلاة بقولنا : (السلام عل
ايها النبي) ، وتعرض اعمالنا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فان وجد خيراً حمد
تعالى وان وجد شراً استغفر لنا ، بل تعرض اعمالنا على آبائنا واهلينا كما جاء في السنة
وقد رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موسى عليه الصلاة والسلام يصلي في قبره و
في السماء السادسة وراجعه صلى الله تعالى عليه وسلم في امر الصلاة وذكر له حال امت
وقد بلغنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السلام عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، و
اجتمعت الأنبياء في بيت المقدس ليلة المعراجوخطبوا وقالوا وفعلوا ، وسمع بعضالصح
ذلك الميت الذي ضرب خباءه على قبره يقرأ سورة الملك الخ ما جاء في السنة الغراء

وقد اثبت ابن تيمية ، وهو مرجعهم الوحيد ومؤسس مذهبهم ، كرامات الأو
في كتبه ، وكذلك ابن القيم ، وهو من أئمتهم ، اثبت في كتاب الروح ان الروح الق
كروح ابي بكر رضي الله تعالى عنه ربما هزمت جيشا الىآخر ما قال ،وكذلكالشوكا
وهو من أئمتهم ايضا ، اثبت جواز التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بل بغيره م
الأولياء والعلماء ورد على من قال بقصر الجواز عليه صلى الله عليه وسلم (كالعز بن
السلام) فان المدرك فيه واحد ، وهو مزية المتوسل به وقربه ومنزلته عند الله ، وإن

Marfat.com

الشوكاني متناقضاً وغالطاً في التطبيق في اشياء كثيرة ، على انـه لا يتخبط تخبط هؤلاء ولا يجهل جهلهم •

وقد اثبت التبرك بالآثار في نيل الأوطار ، وعلى كل حال فلا يتم مذهبهم إلا إذا اثبتوا ان من نادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او توسل به فقد جعله إلهاً مع الله•

فان قالوا إن ذلك من لوازم النداء والاستغاثة ، قلنا لهم انكم إذاً اول المشركين واكبر الضالين ، فانكم اكثر الناس استغاثة بالمخلوق ، وقد قلنـا ذلك إلزامـاً ليجعلوا الايمان قرينة على ما يصدر من المؤمن ، وليس يتم لهم مذهب ايضا إلا إذا قالوا : إن الأرواح قد فنيت بالموت وكذبوا الكتاب والسنة التي اثبتت الحياة للأرواح كلها (حتى أرواح الكفار كما في حديث القليب وغيره) او قالوا إنها باقية لكن ضاعت منزلتها عند الله تعالى ولا تستطيع ان تدعو الله تعالى في أمر من الامور ، او سلبت منها قوتها وجميع مواهبها فلا يمكنها ان تعمل شيئاً وكذبوا بذلك صرائح ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والسلف الصالح اتباعاً لوساوسهم ، فاذا قالوا ذلك وخالفوا المعقول والمنقول كانوا اجهل الجاهلين وأضل الضالين ، ولا نطيل معهم القول في هذه العجالة بأكثر من هذا والله نحب ان يكون المؤمنون اخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا قائلين : (ربَّنَا اغْفِرْ لنا ولاخواننا الذينَ سبقونا بالايمانِ ولا تجعلْ في قلوبنا غِلاً للذين آمنـوا ربَّنَا إنَّكَ رؤفٌ رحيمٌ) ، اسأل الله تعالى ان يزيل الشحناء والبغضاء التي تحلق الدين من قلوب المسلمين وان يرشد إخواننا المخالفين الى ما فيه الخير والهدى ، وألا يجعلهم فتنة للناس بمنه وكرمه ، يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالأزهر •

التوسل وجهلة الوهابيين

كتبنا في العدد الثامن كلمة موجزة في التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحذرنا غلاة الوهابية ومن حذا حذوهم من تكفير المسلمين وقلنا لهم إن التكفير أمر عظيم لا ينبغي لمن يشفق على دينه ان يسارع اليه وذكرنا من الأدلة على جوازه ما يخضع له المنصف ولا يماري فيه إلا الجاهل المتعسف ، فجاءتنا رسائل من جهلة الوهابيين كلها

Marfat.com

سب وإقذاع وليس فيها غير ذلك ولا غرو ، فسلاح السفهاء بذاءة اللسان لا قوةالبرهان.

واني أبادر فأقول : إن كل ما يجد القارىء في مقالي هذا من كلمة لاذعة فانا لا نقصد بها إلا سفاهمهم وأراذلهم ، وحاشا ان نقصد منهم عاقلاً او كاملاً ، فان سبق القلم بغير ذلك فهو على غير قصد منا وإنما جرنا اليه جهل الجاهلين وجمود الجامدين :

وجرم جره سفهاء قوم فحلّ بغير جانيه البلاء

وقد خيل لاولئك السفهاء انهم سينسفون الحق واهله بسفاهتهم التي لا تزيدهم عندنا إلا صغاراً واحتقاراً ، ولا نقيم لها وزناً وإن تفننوا فيها ، وكم في كلامنا من إشارات لم يفهموها ورموز لم يدروا المراد منها وإن ظنوا انهم مبرزون فيما يكتبون .

ان العصافير لما قام قائمها توهمت انها صارت شواهينا

ويعزّ عليّ ان اقول : ان مجلة ام القرى : (وانا نحترمها كل الاحترام) كان فيها مقال طويل الذيل من هذا القبيل ، وللحق والانصاف نقول إنه جاءنا رسالة من بعض المكيين تحت امضاء (ا . د) سلك فيها الكاتب مسلك الأدب ، ولم يقذع أقذاع اولئك الزعانف ، وربما نشرناها وعلقنا عليها تحقيقا للحق وإبطالاً للباطل .

أما اليوم فنقول : ليعلم القاريء الكريم أن إسناد الفعل تارة يكون لكاسبه كفعل فلان كذا وتارة يكون لخالقه كفعل الله كذا ، والكل حقيقة في اللسان العربي ، وقد جاء ذلك في القرآن الشريف : (والله يهْدِي من يشَاءُ الى صِراط مُستقيم) و (من يهدِ اللهَ فَهُوَ المهتدي) ومع هذا فقد قال : (وانك لتهدي الَى صراط مستقيم) وهو كثير معروف .

فان منع اولئك الجهالِ الاسناد على وجه الاكتساب فهم مجانين ، وإن ادعوا أن الواقع في كلام الناس هو الاسناد للخالق لا للكاسب فهي دعوى كاذبة لم يقم عليها برهان ، وقد استباحوا بها دماء المسلمين جهلاً وضلالاً ، ومن منع الاسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته وانقطع الكلام معه .

Marfat.com

فمثلا : الغوث من الله خلق وايجاد ، ومن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تسبب وكسب ، وهذا على فرض اننا طلبنا الغوث منه صلى الله تعالى عليه وسلم مع اننا لم نفعل ذلك ، ولو فعلناه لصح على طريق التسبب والاكتساب بطلب الدعاء منه عليه الصلاة والسلام وقد قالت أم اسماعيل عندما سمعت الصوت (أغث إن كان عندك غواث) فأسندته اليه على سبيل الكسب ، فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بالتوسل والاستغاثة ؟ (حتى على اصطلاحهم الذي نوافقهم عليه والنزاع في معان لا في الفاظ) •

وقد جاء في الحديث الصحيح : (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما فان كان كما قال والا رجعت عليه) ، وقد قال الله تعالى : (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا) : فاذا كان هذا في رجل لم يكن منه إلا مجرد السلام الذي هو تحية المسلمين •

فكيف بمن يتجاسر على خيار الأمة المحمدية ويكفرهم بالتوسل بالأنبياء والصالحين بشبه اوهى من بيت العنكبوت ؟ ، (ألا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) •

ومن المقرر ان اليقين لا يزول بالشك وانه يؤول للمسلم من وجه الى سبعين وجهاً = كما نص عليه النووي وغيره من العلماء = ، ولست أدري هل يأخذ هؤلاء بظواهر العبارات أم بالمقصود منها ؟ ، فان كان التعويل عندهم على الظواهر كان قول القائل : (أنبت الربيع البقل ، وأرواني الماء ، واشبعني الخبز) شركاً وكفراً •

وإن كانت العبرة بالمقاصد والتعويل على ما في القلوب التي تعتقد انه لا خالق إلا الله ، وان الاسناد لغيره انما هو لكونه كاسباً له أو سبباً فيه ، لا لكونه خالقا له ، لم يكن شيء من ذلك كله كفراً ولا شركاً ، ولكن القوم منخبطون ، خصوصاً في التفرقة بين الحي والميت على نحو ما يقولون (كأن الحي يصح أن يكون شريكاً لله دون الميت) أو كأن الأرواح تستمد قوتها وسلطانها من الأشباح لا العكس ، ولكنهم ليسوا اهل منطق ولا برهان •

Marfat.com

ثم انضم الى ذلك الصلف المذموم والكبرياء الممقوت ، فبماذا نخاطبهم وعلى أي قاعدة نحاورهم ؟ ، ولكننا نكتب لغيرهم عسى ان نقيه شر سمومهم التي ينفثونها فيما يكتبون ، تبعاً لأسلافهم مطبقين الآيات التي نزلت في الكفار على المسلمين ، مع ان الشاذ عن جماعة المسلمين أولى بالتكفير منهم وأقرب الى الخطأ والضلال •

وهل يرضون ان نقول لهم إنكم مخالفون لسلف الامة وخلفها اتباعا لمن قبلكم ؟ •

ثم نطبق عليكم قوله تعالى : (وإذا قيلَ لهُمْ إتَّبعُوا ما أنْزَلَ اللهُ قالوا بل نتَّبعُ ما الفَيْنَا عليْه آباءَنا) ، (ومَنْ أضلُّ ممَّن اتَّبَعَ هواهُ بغيْرِ هدىً منَ اللهِ) ، (ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ في اللهِ بغَيْرِ عِلْمٍ ولا هدىً ولا كتَابٍ منيرٍ ثاني عِطْفِهِ ليُضِلَّ عَنْ سبيلِ اللهِ) •

وعندنا من ذلك شيء كثير ، وهل لنا ان نأخذ بظاهر هذا الحديث ؟ وهو اصح مما تأخذون به فنقول : إنكم كفرتم عندما رميتم المسلمينَ بالكفر ، او نقول انكم من اولئك الذين يحقر احدنا صلاته بجنب صلاتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، او نقول إنكم من أولئك الخوارج الذين قال فيهم عبد الله بن عمر = كما في صحيح البخاري = « انهم عمدوا الى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المسلمين » ، أو نطبق عليكم قوله عليه الصلاة والسلام في اسلافكم الحروريين : (يقتلون اهل الايمان ويتركون اهل الأوثان) ، او نقول : (ولا نريد الا اولئك الفظاظ الغلاظ الجامدين الجاهلين) ، إنكم اعداء الله حيث أثبتم له الجهة وشبهتموه بخلقه •

وأعداء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث لم توقروه ولم تراعوا حرمته ، وأعداء أولياء الله حيث حقرتموهم كل التحقير ، وأعداء جميع المسلمين حيث استحللتم دماءهم وأموالهم حتى قتل اطفالهم من بنات وبنين وذلك شيء نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم مع أكفر الكفرة وأفجر الفجرة الى آخر فظائعكم وشنائعكم •

فيا أيها الناس اتقوا الله في المسلمين ، فنحن احوج الى الوئام والاتحاد امام العدو

Marfat.com

الذي اجمعنا جميعاً على كفره وعداوته ، بل اتقوا الله في انفسكم ، واعلموا ان النفس أمارة بالسوء وان من اتبع هواه ضل عن سبيل الله ولو سلكنا مسلككم واتبعنا خطتكم وقابلنا السيئة بالسيئة لقلنا لمن يريد نصحكم = ونحن يائسون منكم = : (أرأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلهه هواهُ أفأنْتَ تكونُ عليه وكيلاً ؟ ، أم تحسب أن اكثرهُمْ يَسْمَعُونَ أو يَعقِلونَ ؟ إن هم إلا كالأنْعَامِ بل هم اضلُّ سبيلاً) ، وعلى نهجكم كان يمكننا ان نسير ولكن ديننا أعز علينا من اعراضنا التي نهشتموها ودمائنا التي استبحتموها، ولعمر الله لقد صيرتم الاسلام بذلك ناراً مضطرمة على وجه الأرض لا دين يسر وسلام كما جعله الله ، بل صار دين جهالة وجمود مع ان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: (ان الله لا ينظر الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم) .

وانا لنعلم ان الفرق الضالة كلها تستدل بالقرآن على نحلها ونزعاتها ، فلا يغرنكم ما تستدلون به من الآيات في غير محل الاستدلال مطبقين إياها على المسلمين خطأ وجهلاً = كما فعل اسلافكم = فان ذلك لا يغني عنكم من الله شيئاً .

والناجي من نجاه الله تعالى : (مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المهْتَدِ ومنْ يُضْلِلْ فلَنْ تَجِدَ لهُ ولِيّاً مُرشِداً) .

ولا أدري لماذا قامت قيامتكم ؟ ، وقد قلنا إننا نعتقد في توسلنا ان الله هو الفاعل ، ولسنا نطلب من غيره فعلاً ولا عملاً ، ولكن نسأله بمنزلة النبي عنده ، وتلك المنزلة ثابتة له في الدنيا والآخرة ، وبها نذهب إليه للشفاعة يوم القيامة وذكرنا وجوهاً أخرى هي في غاية الوضوح لا داعي لاعادتها ، وسنفيض بعدُ فيما يقنع المناظر ويفحم المكابر ، فما ذلك الشرك الذي شنفتم بذكره ؟ ، وما ذلك التكفير الذي جننتم برمي المسلمين به؟.

وسنذكر من أدلة التوسل ما يلقمكم الحجر ونبين لكم ان آية : (وإنِ استَنْصَرُوكُمْ في الدِّينِ) ، ما ذكرناها الا لما قاله بعض أئمتكم وستسمعونه بعد ، ولأننا لا نستبعد منكم شيئاً مما يعقل وما لا يعقل ، ولأن التفرقة بين الأحياء والأموات في هذا المقام غير صحيحة ، فان الطلب من الله والفعل لله لا من المستغاث به على أنه يستطيع أن ينفعنا بدعائه على ما نوضحه اتم توضيح .

Marfat.com

ولنقتصر على هذا ونورد لكم شيئاً عن الأرواح وعملها بعد الموت مما قاله ابن القيم ، وشيئاً عن التوسل مما قاله الشوكاني ، = وهما من أئمة الوهابية الذين يرددون كلامهم في كل موطن = ، بل ما تراه لهم من علم أو ما يشبه العلم ، فانما هو لابن تيمية وابن القيم والشوكاني واحداً بعد واحد كالببغاء أو كالحاكي للصوت(الفنوغراف)، وليتهم كان لديهم من الأمانة (ما للفنوغراف) وهذا هو كلام ابن القيم في الأرواح بعد موتها :

عمل الارواح بعد الموت

قال ابن القيم في كتاب الروح : إن للأرواح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه في التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود الى الله تعالى والتعلق به سبحانه وتعالى ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه بسبب انغماسها في شهواتها •

فاذا كان هذا في عالم الحياة الأرضية ، وهي محبوسة في بدنها ، فكيف إذا تجردت عنه وفارقته ؟ واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل نشأتها روحاً عالية زكية كبيرة ذات همة عالية ، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر •

وقد تواردت الرؤى في اصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالاً لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد ، والفيالق بالعدد القليل جداً ونحو ذلك ، وقد رؤي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في النوم ، وقد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم ، فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم ، هذا ما قاله ابن القيم ، فانظر فيه مع ما يقول هؤلاء ولا تنس أنه ليس لهم علم ولا شبه علم الا ما يقوله ابن تيمية وابن القيم ، وانهم قاصرو الاطلاع كما انهم قاصرو العقل •

Marfat.com

وقال الشوكاني = وهو عندهم معتبر = : قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه ما لفظه : (والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطيء ضال) .

اقول : فليكن النزاع فيما هو اللائق به وما يقدر عليه وفيما لا يليق به ولا يقدر عليه ، ولا شك انه قادر على ان يدعو لنا وهو في البرزخ = كما قال في الحديث الذي ستعلم صحته = : (تعرض عليّ أعمالكم فان وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم) ولنرجع الى تتميم كلام الشوكاني ، قال الشوكاني : (واما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين انه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا) ، = هذا ما قاله = .

واني أكرر لفت نظرك إلى انه يجب ان يكون البحث إذاً في تحقيق ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه ، وقد علمت انه قادر على أن ينفعنا وهو في البرزخ بدعائه كما كان في الدنيا ، فليكن محل النزاع هو كونه قادراً أو غير قادر ، على انه لا وجه للشرك على كل حال .

ثم قال الشوكاني وفي سنن ابي داود ان رجلاً قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله ، فقال : (شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه) ، فأقره على قوله ونستشفع بك على الله ، وانكر عليه قوله : نستشفع بالله عليك الى ان قال :

وأما التوسل الى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه ، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

Marfat.com

إنه لا يجوز التوسل الى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، إن صح الحديث فيه ، ولعله يشير الى الحديث الذي اخرجه النسائي في سننه والترمذي في صحيحه وابن ماجه وغيرهم ، ان أعمى اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يارسول الله اني أصبت في بصري ، فادع الله لي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم(توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد اني استشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي فيّ) ، وقال : (فان كان لك حاجة فمثل ذلك) ، فرد الله بصره ، واني الفت نظرك الى قوله : (فان كان لك حاجة فمثل ذلك) •

ثم قال الشوكاني : وعندي انه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم = كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام = لأمرين :

الأول ـ ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم •

والثاني ـ أن التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة ، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله •

فاذا قال القائل : اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم ولا سكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن انكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم ، واني أرجوك ان تمعن النظر في جعله ابن عبد السلام متشدداً مع قوله بجواز التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم ، غاية الأمر انه قصر ذلك عليه •

ثم قال الشوكاني : وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون للتوسل الى الله تعالى بالأنبياء والصالحين من نحو قوله تعالى : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ونحو قوله تعالى : (فلا تدعوا مع الله أحداً) ، ونحو قوله تعالى : (له دعوة

Marfat.com

الحقّ والذين يدعونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبونَ لهُمْ بِشَيءٍ) ليس بوارد ، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو اجنبي عنه •

فان قولهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصرح بأنهم عبدوهم لذلك ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك •

وكذلك قوله تعالى : (فلا تدعوا مع الله أحداً) فانه نهى أن يدعى مع الله غيره ، كأن يقول يا الله يا فلان ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ، وإنما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده ، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح اعمالهم •

وكذلك قوله تعالى : (والذين يدعون من دونه) الآية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ، ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه ، فاذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع •

الى ان قال : والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أم غير نبي فهو في ضلال مبين •

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيءٌ)، (قُلْ لا أمْلِكُ لنفسي نفْعاً ولا ضَرّاً) ، فان هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من امر الله شيء ، وانه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره ؟ ، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء •

وقد جعل الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق الى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له : (سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تشفع) •

Marfat.com

الى ان قال : وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل قوله تعالى : (وانْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ) ، يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً فان هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله نفعه ، وانه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله تعالى ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه الا يتوسل به الى الله تعالى ، فان ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر وانما أراد الطالب ان يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للاجابة ممن هو متفرد بالعطاء والمنع ، هذا كلام علمائهم الذين يقدمونهم على علماء المذاهب الأربعة ، على ان لهم مع هذا شذوذاً لا نوافقهم عليه في كثير من المواضع ، ولكن اتباعهم الذين لم يتذوقوا العلم إلا منهم ولم يتشدقوا بما يشبه الحق إلاّ بفضل كتبهم التي لا يستقون الدين والهدى إلا منها وليس وراءها لديهم علم ولا دين يجب عليهم ألا يخالفوهم في ورد ولا صدر ، وأن يكون كلامهم حجة عليهم ، كما كان الحجة لهم •

ويكفي هذا اليوم ، وسنذكر من الأدلة الصحيحة الصريحة ما يدل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز التوسل به قبل وجوده وبعد وجوده في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة •

وقد وعدناهم في كلمتنا الاولى بذكر الأدلة وتمام التفصيل ولكنهم قوم لا يفقهون، وكثيراً ما تراهم إذا أرادوا أن يردوا علينا او على غيرنا قرروا مذهبهم (ونحن اعرف به منهم) متخيلين أن الأدلة يرد عليها بالدعاوى غير المبرهنة •

وحيث عجزوا عن الاستدلال ، فلنتبرع نحن باقامة الأدلة على فساد كل دعاويهم، (حتى دعوى التفرقة بين توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية) وان كان عجز المدعى عن اثباتها كافياً في سقوطها ، فلينتظروا ما يخزيهم في الأعداد المقبلة إن شاء الله تعالى •

يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء

Marfat.com

التوسل وجهلة الوهابيين

قلنا في العدد السابق : إنه لا بأس ان نتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونستغيث به في حياته وبعد مماته ، لأن التوسل إنما هو بمنزلته عند الله ، وهي ثابتة له في الدنيا والآخرة ، والمطلوب منه هو الله تعالى ، على أنا لو طلبنا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتشفع لنا عنده تعالى لصح عقلاً ونقلاً ، فانه يمكنه وهو في البرزخ أن يسأل الله لنا كما كان يسأله في حياته •

وقد قلنا إن الأرواح بعد الموت باقية فاهمة مدركة ، بل نقلنا عن إمامهم ابن القيم بل للروح بعد مفارقة الجسد أعمالاً تعملها (في هذا العالم) لا يمكنها ان تعملها حال اتصالها بالبدن الى آخر ما نقلناه عنه ، وهو معقول جداً ، فان الأرواح لم تستمد قوتها من الأشباح حتى تذهب قواها وخصائصها بمفارقتها ، بل الأشباح هي التي تستمد حياتها وأفاعيلها من الأرواح ، فما هذا الاشتباه الذي ادى الى قلب الحقائق ومصادمة المعقول والمنقول ؟ ، على ان تخصيص الجواز بالحي دون الميت أقرب الى ايقاع الناس في الشرك ، فانه يقتضي ان للحي فعلاً يستقل به دون الميت ، فأين هذا من قولنا ان الفعل في الحقيقة لله لا للحي ولا للميت ؟ •

ومن أمعن النظر في كلامهم لم يفهم منه الا مذهب المعتزلة في الأحياء ومذهب الذين يئسوا من اصحاب القبور في الأموات ، وعلى كل حال فالغفلة عن الفاعل الحقيقي وتخيل ان الفاعل غيره أظهر في الأحياء منه في الأموات •

وقد نقلنا لك كلام الشوكاني = وهو من أئمتهم = في التوسل ورده على العز ابن عبد السلام في تخصيص جواز ذلك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : إنه لا فرق بينه وبين غيره •

ولنقل على سبيل التنزل عسى أن ينقطع النزاع بيننا وبينهم : لماذا لا تجعلون التوسل بالولي أو النبي توسلاً بعمله الصالح ؟ فانك تتوسل بالولي من حيث هو ولي

Marfat.com

مقرب الى الله تعالى وما تقرب إليه إلا بما احبه من صالح الأعمال •

وسؤال الله بالأعمال الصالحة مجمع على جوازه منا ومنكم ، وستسمعون اكثر من هذا

ولنذكر لكم عبارة ابن قدامة = وهو من كبار الحنابلة الذين أنتم على مذهبهم = وقد قال فيه ابن تيمية : إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعي أفضل منه ، فلعله يحرك منكم الانصاف او يذكركم بمذهبكم إن كان لكم مذهب = كما تدعون = ، نريد ان نحاكمكم الى العقل تارة والى ما قاله الشوكاني وابن القيم وأئمة الحنابلة تارة اخرى وليت شعري هل يفيد شيء من هذا ؟ : (بكل تداوينا فلم يشف ما بنا) •

وقد قال الله في حق قوم اشربوا في قلوبهم التعصب والعناد : (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) •

وسر ذلك كما بين الله انهم كانوا يتكبرون في الأرض بغير الحق ، وأي تكبر أعظم من تكبر من يحتقر جميع المسلمين ويعتقد أن لا ناجي غيره ؟ ، ولكنا نكتب لغير جهلة الوهابيين كي نقيه من عدواهم ، وللمنصفين منهم كي يرجعوا الى الحق •

أما عبارة ابن قدامة الحنبلي في مغنيه الذي هو من اجل كتب الحنابلة أو اجلها على الاطلاق فهاك نصها : قال في صفة زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم في صفحة (٩٠) من الجزء الثالث :

تأتي القبر فتولي ظهرك للقبلة ، وتستقبل وسطه وتقول : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه •

الى ان قال : اللهم أجز عنا نبيّنا افضل ما جازيت به احداً من النبيين والمرسلين وابعثه المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الأولون والآخرون ، الى ان قال : اللهم إنه قلت وقولك الحق : (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم

Marfat.com

الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد اتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك الى ربي، انظر الى استشفاعه به وهو في قبره الذي يحرم الوهابيون شد الرحال الى زيارتـه ، واظن انهم لا يجرأون على التفرقة بين الاستشفاع والتوسل وإن كنا لا نستبعد منهم ما يعقل وما لا يعقل ، كما نعتقد انهم لا يفهمون ما يفهمه الناس من ان الزائر يستغفر والرسول يستغفر ايضا وهو في البرزخ ، والا فلا معنى لايراد هذه الآية ولا بُعْدَ في استغفاره بعد موته •

فقد ورد في الحديث الصحيح : (تعرض عليّ اعمالكم) اي بعد المـوت (فان وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم) ، وقد اطال المناوي وغيره في تصحيح هذا الحديث •

فأنت ترى إثبات الاستغفار لنا بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الحديث ، وفي شرح المقنع المطبوع مع المغني صفحة ٤٩٥ مثله بالحرف وفيه زيادة على ذلك نصها: روى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي) ، وفي رواية : من زار قبري وجبت له شفاعتي) إ هـ •

والدارقطني من اعظم المحدثين تحرياً واكثرهم تشدداً في الحديث •

وقد وافق على حديث الزيارة كثير من الحفاظ النقاد كما بينه السبكي في شفاء السقام بما لا مزيد عليه •

فهذا كلام الحنابلة الاول المتبعين لمذهب الامام احمد المتمسكين بسنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبته كسائر علماء المذاهب •

ولنذكر لك بعد هذا شيئاً مما وعدنا به من ادلة التوسل من السنة الصحيحةفنقول:

جواز التوسل وحسنه معلوم لكل ذي دين ، وكأنه مركوز في الفطر الانسانية ان يتوسل الى الله بأنبيائه وأصفيائه والمقربين لديه ، ولذلك يذهب الناس الى الأنبياء كي

Marfat.com

يشفعوا لهم لمنزلتهم عنده تعالى ، وإن كان الله اقرب اليهم من حبل الوريد ، واتباع كل نبي كانوا يتوسلون الى الله بذلك النبي •

وقد ثبت التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وجوده وبعد وجوده في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة ، أما التوسل به قبل وجوده فيدل له ما اخرجه الحاكم وصححه ولم يتعقبه الذهبي في كتابه الذي تعقب به الحاكم في مستدركه •

وقد صح عن مالك الامام ايضا على ما رواه القاضي عياض في الشفاء ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة توسل الى الله بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له : من اين عرفت محمداً ولم اخلقه فقال : وجدت اسمه مكتوباً بجنب اسمك فعلمت انه احب الخلق إليك ، فقال الله : إنه لأحب الخلق الي وإذ توسلت به فقد غفرت لك ، وقال مالك للمنصور وقد سأله : يا أبا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال له الامام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك الى الله ووسيلة ابيك آدم بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك لقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) الآية ، وهذا في حياته وبعد مماته في قبره بنص الحديث الصحيح الذي رواه أبو يعلى والبيهقي وغيرهما بأسانيد صحيحة ، وقد بسطت ذلك في جزء مستقل سميته (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) وهو وسيلتك الى الله ووسيلة ابيك آدم يشير الى ذلك الحديث •

وقال المفسرون في قوله تعالى : (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) : إن قريظة والنضير كانوا إذا حاربوا مشركي العرب استنصروا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان فينتصرون عليهم ، وهو مروي عن ابن عباس وقتادة وغيرهما فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده •

وأما التوسل به بعد وجوده في حياته فلا أظن ان أحداً يماري فيه ، فقد كانوا يذهبون اليه في كل شدة إذا أجدبوا أو نزلوا منزلاً فلم يجدوا به ماء ، وعندما يمسهم ضر أو كرب مما لا يسعنا الافاضة فيه الآن ، وإن انكره منكر ملأنا له الدنيا أدلة وبراهين ، وإن سموا بعضه استغاثة فلا ضرر فانه يثبت المطلوب بالطريق الاولى ويرد عليهم على كل حال ، والنزاع ليس في الفاظ وعبارات = كما قلنا في العدد السابق = ولكن نسوق لك الآن حديثا صحيحاً اخرجه الترمذي وصححه والنسائي واليهقي والطبراني بأسانيد صحيحة = اعترف بها الحفاظ (حتى الشوكاني) •

Marfat.com

رووا جميعا عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه ان رجلاً أعمى جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم جلوس معه ، فشكا اليه ذهاب بصره فأمره بالصبر ،فقال ليس لي قائد ، وقد شق عليّ فقد بصري ، فقال له : (ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه فيّ) في وفي رواية (فان كان لك حاجة فمثل ذلك)، قال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضر ، هذا هو الحديث الصحيح الصريح الذي يقطع النزاع • ولكن السخيف المتعصب لا يعدم خيالاً فاسداً وكلاماً فارغاً ، وقد قال الله تعالى (وكان الانسان اكثر شيء جدلا) فلننتظر حتى يتخيل •

واني ألفت نظرك الى قوله عليه الصلاة والسلام (فان كان لك حاجة فمثل ذلك والى ندائه صلى الله عليه وسلم وهو غائب ، ونداء الأموات شرك عند الوهابيين) •

وأما التوسل به بعد وفاته فيمكننا ان نستدل عليه بهذا الحديث ، فان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (فان كان لك حاجة فمثل ذلك) صريح في جوازه بلا قيد ويدل له ايضا ما رواه الطبراني والبيهقي والترمذي بسند صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان زمن خلافته في حاجة له فكان لا يلتفت اليه ، فرجا عثمان بن حنيف ان يكلمه في شأنه ، فعلمه الدعاء المذكور فتوضأ وصلى ثم دعا به كما علمه ، ثم جاء الى باب عثمان فأخذه الخادم وادخله عليه فأجلسه بجانبه على الطنفسة ثم قضى حاجته وقال له : وإذا عرضت لك حاجة فأتنا ، فلما قابل الرجل عثمان ابن حنيف قال له : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته فيها ، فقال له: والله ما كلمته ولكني كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه أعمى وذكر الحديث •

هذا وقد توسل صلى الله تعالى عليه وسلم بالأنبياء بعد موتهم كما في الحديث الصحيح ، فعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : لما ماتت فاطمة بنت اسد بن هاشم أم علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما ، وكانت ربت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

Marfat.com

دخل عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس عند رأسها ثم قال : رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها ، ثم كفنها ببردته وأمر بحفر قبرها ، قال : فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده ، واخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال : (الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت إغفر لأمي فاطمة بنت اسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين) = اخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح = •

وروى ابن ابي شيبة عن جابر رضي الله تعالى عنه مثل ذلك ، وروى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ورواه ابو نعيم في الحلية عن انس رضي الله تعالى عنه •

ثم نقول : إنهم كانوا يتبركون بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ، فقد ثبت انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم جبة عند أسماء بنت ابي بكر كانوا يستشفون بها ، ولا معنى لهذا إلا انهم كانوا يتوسلون بآثاره الى الله تعالى فيشفيهم ببركتها والتوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد = كما يفهمه هؤلاء = ، أفتراهم يتوسلون بآثاره ولا يتوسلون به ، وفي الباب شيء كثير لعلنا نذكره بعد •

أما توسل عمر بالعباس حين استسقى به دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلكون ذلك هو سنة الاستسقاء ولكون العباس من ذوي الحاجات للمطر ، او لكون عمر اراد ان يبين للناس انه يجوز التوسل بغيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفضله او لقرابة منه عليه الصلاة والسلام ، او لخوفه على ضعفاء المسلمين وعوامهم اذا تأخر المطر بعد التوسل ، او ليدلهم على ان التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل وإلا فعلي افضل من العباس وكذا عمر ، على ان البيهقي في دلائل النبوة اخرج ما يأتي ، وكذا اخرج ابن ابي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار خازن عمر رضي الله عنه قال : اصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال يا رسول الله استسق الله لأمتك فانهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام

Marfat.com

فقال : ائت عمر فاقرأه السلام واخبره انهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه ، ثم قال : يارب ما آلوا الا ما عجزت عنه ، ومحل الاستشهاد في هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته واقرار عمر إياه على ذلك •

هذا وأحب ان تتذكر ما قلناه من ان المسؤول هو الله تعالى لا فاعل غيره ولا خالق سواه ، وإنما نسأله بمنزلة حبيبه لديه ومحبته له ، وذلك شيء ثابت لا يتغير في الدنيا ولا في الآخرة ومن شك في منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه جل وعلا فقد كفر•

على ان قول عمر بمحضر من الصحابة انا نتوسل اليك بعم نبيك يدل على جواز التوسل بالمنزلة والا لم يكن له معنى ، وأي حاجة اليه اذا كان المقصود دعاء العباس ؟ ، اما التوسل به في عرصات القيامة فلا حاجة للاطالة فيه فان أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر ، وفيها ان الناس ينعبون الى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة الى آخر ما هو معروف•

والخلاصة : انه مما لا شك فيه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له عند الله قدر علي ومرتبة رفيعة وجاه عظيم ، فأي مانع شرعي او عقلي يمنع التوسل به ؟ ، فضلاً عن الأدلة التي تثبته في الدنيا والآخرة ، ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلا إياه ، فنحن ندعوه بما احب آياً كان ، فتارة نسأله بأعمالنا الصالحة لأنه يحبها ،وتارة نسأله بمن يحبه من خلقه كما في حديث آدم السابق وكما في حديث فاطمة بنت اسد الذي ذكرناه ، وكما في حديث عثمان بن حنيف المتقدم ، وتارة نسأله بأسمائه الحسنى كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (أسألك بأنك انت الله) او بصفته او فعله كما في قوله في الحديث الآخر : (اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك) وليس مقصوراً على تلك الدائرة الضيقة = كما يعتقد الجاهلون = ، وسر ذلك ان كل ما احبه الله صح التوسل به ، وكذا كل من احبه من نبي او ولي وهو واضح لدى كل ذي فطرة سليمة ولا يمنع منه عقل ولا نقل بل تضافر العقل والنقل على جوازه ، والمسؤول في ذلك كله الله وحده لا شريك له لا النبي ولا الولي الحي ولا الميت : (قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فمالِ هؤلاءِ القومِ لا يكادونَ يفقهونَ حديثا) •

Marfat.com

واذا جاز السؤال بالأعمال ، فبالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولى ، لأنه افضل المخلوقات،والأعمال منها ، والله اعظم حباً له صلى الله تعالى عليهوسلم من الأعمالوغيرها.

وليت شعري ما المانع من ذلك ؟ ، واللفظ لا يفيد شيئاً اكثر من ان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدراً عند الله تعالى ، والمتوسل لا يريد غير هذا المعنى ، ومن ينكر قدره عند الله فهو كافر كما قلنا ، ولو كنا مثلهم نأخذ بالظنة ونسارع الى تكفير المسلمينلأمكننا ان نقول لهم : إن من لا يعرف قدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولى بالاشراك ممن عرفه ، ومن استباح دماء المسلمين اقرب الى الضلال ممن استبرأ لدينه وعرضه .

وبعد فمسألة التوسل تدور على عظمة المسؤول به ومحبته ، فالسؤال بالنبي إنما هو لعظمته عند الله او لمحبته إياه ، وذلك مما لا شك فيه ، على ان التوسل بالأعمالمتفق عليه منا ومنهم ، فلماذا لا نقول ان من يتوسل بالأنبياء او الصالحين هو متوسل بأعمالهم التي يحبها الله تعالى ؟ ، وقد ورد بها حديث اصحاب الغار فيكون من محل الاتفاق ، ولا شك ان المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث انهم صالحون فيرجع الأمر الى الأعمال الصالحة المتفق على جواز التوسل بها كما قلنا في صدر المقالة .

يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء

التوسل والاستغاثة

لا تزال الرسائل واردة علينا بشأن التوسل طلباً لتوضيح والاسهاب ، وقد ذكر بعض مرسليها ان من الناس من يكفر المتوسلين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي سنتوسل به جميعاً يوم القيامة على ما نطقت به الأحاديث الصحيحة ، ولو قالوا ان في المسألة تفصيلاً او ان بعض العبارات التي يقولها المتوسلون او الزائرون ينبغي التحاشي عنها وتعليمهم ما يصح ان يقولوه في توسلهم او عند زيارتهم ، لقبلنا منهمذلك وشكرناهم عليه ، ولكنهم افرطوا كل الافراط فرأينا ان نفيض القول في ذلك ، فلعلنا بزيادة التقرير والتكرير نزيل تلك العقيدة التي هي اخطر شيء على الاسلام والمسلمين ، ولنجعل الكلام معهم في مقامين حتى نفحمهم بالمعقول والمنقول فنقول :

Marfat.com

الكلام معهم من جهة الدليل العقلي وما نضطر إليه من الدليل النقلي : قبل الخوض في الموضوع نشترط عليهم ان يصبروا صبر المرتاضين بصناعة المنطق العارفين بقوانين المناظرة ، فلا يخرجوا عن الفرض الذي نفرضه حتى نتمّ الكلام فيه ، وأن يعرفوا موضوع البحث فلا ينتقلوا عنه الى غيره وسنفرض الفروض كلها ثم نبطلها واحداً واحداً ، ولينظروا حتى لا يختلط المعقول بالمنقول ولا المنقول بالمعقول وسنوفي كلاً حقه ان شاء الله تعالى وعسى ان لا يكونوا بعد ذلك ممن يسلم المقدمات وينازع في النتيجة فنقول :

هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل والاستغاثة ويجعلونهما شركاً من حيث انهما توسل واستغاثة ، فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذاً شرك ، واستغاثة الرجل بمن يعينه في بعض شؤنه شرك ، واستغاثة الملك بجيشه في الحروب شرك ، واستغاثة الجيش بالملك فيما يصلح امره شرك ، بل نقول يلزمهم على هذا الفرض ان طلب المعونة من ارباب الحرف والصنائع التي لا غنى للناس عنها شرك ، وطلب المريض للطبيب شرك ، بل يلزم بناء على تلك الكليات التي تقتضيها الحيثية ان استغاثة الرجل الاسرائيلي بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام واجابته إياه كما قال تعالى : (فاستغاثَه الذي من شيعتِه على الذي مِنْ عدوِّه فوكَزَه موسى فقضَى عليه) ، شرك ، الى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل .

هذا كله إن كانوا يقولون إنها شرك من حيث انها استغاثة بغير الله تعالى كما فرضنا، فان قالوا إن الاستغاثة والتوسل بالأموات شرك دون الأحياء ، قلنا لهم : لا معنى لهذا بعد ان سلمتم ان الاستغاثة بغير الله من الأحياء ليست بشرك ، وبعد ما ورد به القرآن ووقع عليه الاجماع في كل زمان ومكان ، ولا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركاً تارة وغير شرك تارة اخرى ، فان فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال ، وان قالوا إننا لا نعتقد التأثير الذاتي للحي ، فان وجد ذلك الاعتقاد فيه كان شركاً والا فلا ، قلنا: فلا فرق إذاً بين الاحياء والأموات فتفرقتكم بين الحي والميت تحكم لا دليل عليه من العقل ولا من النقل .

Marfat.com

فلو استظهرتم بالثقلين على اثباتها عن السلف الذين جعلتموهم مِجَنّاً لأهوائكم الفاسدة لم تستطيعوا فضلاً عن اثباتها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فضلاً عن اثباتها من كتاب الله تعالى ، وان كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التي تفهم من ظواهر الألفاظ ، وجب ان يكون ذلك كله شركاً ، حتى طلب الرجل من اخيه ان يعينه في الحمل على دابته او بناء داره او حفر نهره الى غير ذلك كما اوضحنا في الفرض الأول، فان قالوا إننا ننسب تلك الأفعال والتأثيرات الى الاحياء معتقدين ان الخلق والايجاد ليس الا لله تعالى وان الحي ليس له الا الكسب •

قلنا كذلك من يطلب من الأموات او يتوسل بهم ، والقرآنية فيهما واحدة وهو ايمانه بان الله بيده ملكوت السموات والأرض واليه يرجع الامر كله وان ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه لا خالق غيره ولا موجد سواه ، وان كان سر المنع عندهم هو ان الميت لا يقدر على شيء مما طلب منه فنقول لهم : اولاً لا يلزم من ذلك ان يكون الطلب شركاً بل عبثاً فقط ، والاستغاثة بالأحياء اقرب الى الشرك منه بالاموات ، لانها اقرب الى اعتقاد تأثيرهم في الاعطاء والمنع بمقتضى الحس والمشاهدة لولا نور الايمان وساطع البرهان

ثانياً ـ نقول لهم ما معنى قولكم إن الميت لا يقدر على شيء وماسره وباطنه عندكم، إن كان ذلك لكونكم تعتقدون ان الميت صار تراباً جسماً وروحاً ، فما اضلكم في دينكم وما اجهلكم بما ورد عن نبيكم بل عن ربكم من ثبوت حياة الأرواح وبقائها بعد مفارقة الاجسام ، ولو كانت أرواح الكفار ، فمناداة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لرؤساء قريش في بدر : (يا عمرو بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا فلان بن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم) •

فقيل له صلى الله عليه وسلم تخاطب قوماً جيفوا فقال : (ما انتم بأسمع لما اقول منهم) في السنة اشهر من نار على علم ، ومناداته صلى الله عليه وسلم لأهل القبور ومخاطبته لهم فيها كذلك ، وعذاب القبر ونعيمه مما تواتر في الشريعة الإسلامية ، قرآناً وسنة ، واثبات المجيء والذهاب الى الأرواح الى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي جاء بها الاسلام واثبتتها الفلسفة قديماً وحديثا •

Marfat.com

ولنقتصر هنا على هذا السؤال : أيعتقدون ان الشهداء احياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا ؟ فان لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم ، لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول: (ولا تقولُوا لمنْ يُقْتَلُ في سبيلِ اللهِ اموات بل احياءٌ ولكن لا تشعرون) ، (ولا تَحْسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيلِ اللهِ امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) ، وإن اعتقدوا ذلك فنقول لهم :

إن الأنبياء وكثيراً من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابةافضل من الشهداء بلا شك ، فاذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو افضل منهم اولى ، على ان حياة الأنبياء مصرح بها في الأحاديث الصحيحة •

وقد رأى صلى الله تعالى عليه وسلم موسى عليه الصلاة والسلام يصلي في قبره ، ورآه في السماء السادسة وأمره بالرجوع الى ربه ، وطلب التخفيف لما فرض الله عليه وعلى امته خمسين صلاة في اليوم والليلة مراراً حتى صارت خمساً •

ورأى في تلك الليلة ايضا آدم وابراهيم ويحيى وعيسى ويوسف وهارون عليهم الصلاة والسلام فهذا كله يثبت حياة الأرواح وانه لا شك فيها •

فاذاً نقول حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية التي قدمنا بعضها فلا يسعنا إلا إثبات خصائصها ، فان ثبوت الملزوم يوجب ثبوت اللازم كما ان نفي اللازم يوجب نفي الملزوم كما هو معروف •

وأي مانع من الاستغاثة بها والاستمداد منها كما يستعين الرجل بالملائكة في قضاء حوائجه ، او كما يستعين الرجل بالرجل ، وانت بالروح لا بالجسم انسان ، وتصرفات الأرواح على نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج الى مماسة ولا آلة فليست على نحو ما يعرف من قوانين التصرفات عندنا فانها من عالم آخر ، : (ويسئلونَكَ عن الرُّوح قُلِ الرُّوحُ من امرِ ربيِّ) ، وماذا يفهمون من تصرف الملائكة او الجن في هذا العالم ؟

ولا شك ان الأرواح لها من الاطلاق والحرية ما يمكنها من إجابة من يناديها

Marfat.com

وإغاثة من يستغيث بها كالأحياء سواء بسواء ، بل اشد واعظم •

وقد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم ان الأرواح القوية كروح ابي بكر وعمر ربما هزمت جيشاً الى آخر ما ذكرناه ، فان كانوا لا يعرفون الا المحسوسات ولا يعترفون إلا بالمشاهدات فما اجدرهم ان يسموا طبيعيين لا مؤمنين ، على اننا نتنزل معهم ونسلم لهم ان الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع ان تعمل شيئاً ، ولكن نقول لهم :

إذا فرضنا ذلك وسلمناه جدلاً فلنا ان نقرر انه ليست مساعدة الأنبياء والأولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح في هذا العالم على نحو ما قدمنا ، بل مساعدتهم لمن يزورهم او يستغيث بهم بالدعاء لهم كما يدعو الرجل الصالح لغيره ، فيكون من دعاء الفاضل للمفضول او على الأقل من دعاء الأخ لأخيه ، وقد علمت انهم احياء يشعرون ويحسون ويعلمون ، بل الشعور اتم والعلم اعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية •

وقد جاء في الحديث : ان اعمالنا تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فان وجد خيراً حمد الله تعالى وإن وجد غير ذلك استغفر لنا •

ولنا ان نقول ان المستغاث به والمطلوب منه الاغاثة هو الله تعالى ، ولكن السائل يسأل متوسلاً الى الله بالنبي او الولي في قضاء حاجته ، فالله هو الفاعل والسائل سأل تعالى ببعض المقربين لديه الاكرمين عليه فكأنه يقول :

انا من محبيه (او محسوبيه) فارحمني لأجله ، وسيرحم الله كثيراً من الناس يوم القيامة لأجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء بالشفاعة

وبالجملة فاكرام الله لبعض احباب نبيه لأجل نبيه بل بعض العباد لبعض امر معروف غير مجهول ، فمن ذلك الذين يصلون على الميت ويطلبون من الله ان يكرمه ويعفو عنه لأجلهم بقولهم :

Marfat.com

وقد جئناك شفعاء فشفعنا فيه ، ومن ذلك ايضاً إكرام الغلامين اليتيمين باستخراج الكنز من تحت جدارهما لصلاح ابيهما •

ومن ذلك ايضاً إلحاق الذرية الناقصين في الأعمال بدرجات آبائهم الكاملين فيها •

والمقصود من ذلك كله اثبات ان الله يرحم بعض العباد ببعض على ان توجه الانسان الى النبي او الولي والتجاءه اليه تحس به روح النبي والولي تمام الاحساس وهو كريم ذو وجاهة عند الله تعالى •

وقد قال تعالى في كليمه موسى عليه الصلاة والسلام : (وكانَ عندَ اللهِ وجيها)، وقال تعالى في عيسى عليه الصلاة والسلام : (وجيهاً في الدنيا والآخرة) ، فتعتني تلك الروح بذلك الملتجيء اشد الاعتناء في تسديده وتأييده والدعاء له هي والملائكة الذين يجلونها ويحبون مسرتها ورضاها •

والأنبياء والأولياء محبوبون للملائكة بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إن الله إذا احب عبداً نادى جبريل في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه) الى آخر الحديث وان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لتقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : (نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ، كما نص على ذلك القرآن الشريف ، وذلك سرّ التوجه الى الأولياء وزيارتهم لتنبه ارواحهم لحال الزائر وتلتفت الى معونته بما اعطاهم الله تعالى من الخصائص ، كما تنفع اخاك بما اعطاك الله من قوة او وجاهة او مكانة او ثروة او اعوان او انصار الى آخره ، وان الانسان هو هو في الدنيا والآخرة من حيث روحه التي هي باقية في العالمين ، وليس الانسان إنساناً الا بها كما شرحنا والأمر جلي ، (ولكنها الأهواء عمت فأعمت) •

ولنرجيء تتميم المقام الثاني ، فربما طال الكلام فيه لعدد آخر إن شاء الله تعالى •

والخلاصة : ان المستغيث لا يكفر الا إذا اعتقد الخلق والايجاد لغير الله تعالى ، والتفرقة بين الحي والميت لا معنى لها ، فانه ان اعتقد الايجاد لغير الله كفر ، على خلاف

Marfat.com

للمعتزلة في خلق الأفعال وان اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر ، وانت تعلم ان غاية ما يعتقد الناس في الأموات هو انهم متسببون ومكتسبون كالأحياء ، لا انهم خالقون موجدون كالالـه ، إذ لا يعقل ان يعتقد فيهم الناس اكثر من الأحياء وهم لا يعتقدون في الأحياء الا الكسب والتسبب ، فاذا كان هناك غلط فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب لأن هذا هو نهاية ما يعتقده المؤمن في المخلوق كما قلنا والا لم يكن مؤمناً ، والغلط في ذلك ليس كفراً ولا شركاً ، ولا نزال نكرر على مسامعك انه لا يعقل ان يعتقد في الميت اكثر مما يعتقد في الحي ، فيثبت الأفعال للحيّ على سبيل التسبب ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتي والايجاد الحقيقي ، فانه لا شك ان هذا مما لا يعقل .

فغاية امر هذا المستغيث بالميت بعد كل تنزل ان يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم انه مقعد ، ومن يستطيع ان يقول ان ذلك شرك ؟ ، على ان التسبب مقدور للميت وفي امكانه ان يكتسبه كالحي بالدعاء لنا ، فان الأرواح تدعو لأقاربها كما في الحديث الشريف إذا بلغهم عنهم ما يسوءهم فيقولون : (اللهم راجع بهم ولا تمتهم حتى تهديهم) بل الأرواح يمكنها المعاونة بنفسها كالاحياء ، ويمكنها ان تلهمك او ترشدك كالملائكة الى غير ذلك على ما شرحناه ، وكثيراً ما انتفع الناس برؤيا الأرواح في المنام ولعلنا نعود اليه .

يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء

التوسل والاستغاثة

جاءنا خطاب مطول بامضاء : (مسلم بمكة) ، اطال فيه صاحبه واعاد وابدى واكثر وكرر ظناً منه انه اتى بالقواصم ، وقد الح في طلب الاجابة حتى قال في آخره : (يافضيلة الشيخ أرجوك واناشدك الله الذي لا اله الا هو إلاّ ما حققت هذا الموضوع وانصفت فيه) .

ونحن نلخص ما جاء فيه من الأسئلة معرضين عما فيها من غمز مشوب بأدب وتعريض نسامحه فيه فنقول وبالله التوفيق :

Marfat.com

س ـ هل جاء في السنة ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علّم الناس ان يسألوا الصالحين من الأموات ويطلبوا منهم الدعاء ؟ ارجو ان تذكروا ولو حديثاً واحداً •

الجواب : ونحن نقلب عليه السؤال اولاً فنقول : هل جاء في السنة ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نهى الناس عن ان يسألوا الصالحين ويطلبوا منهم الدعاء ؟ ، ارجو ان تذكر لنا ولو حديثاً واحداً •

وثانياً نقول له : إن جواز الأشياء لا يتوقف على ورود الأمر بها بل على عدم النهي عنها كما هو معروف ومقرر في علم الاصول ، فكل ما لم يرد فيه نص بالحَظْر فهو مباح •

وقد علّمنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سنته الصحيحة ان ما أمرنا به فعلناه ولم نتركه وما نهى عنه اجتنباه ولم نفعله وما سكت عنه فهو عفو •

فهذه هي قواعد العلم الذي يعرفه العلماء •

وأما شبهة الموت فهي واهية لأنكم فيها بين أمرين :

إما ان تنكروا إدراك الأموات وعلمهم ودعاءهم وسماعهم ، وإما ان تقروا بدلك • فان انكرتموه ملأنا لكم الدنيا أدلة وبراهين على ثبوت ذلك لهم مثل دعاء آدم وابراهيم وغيرهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج كما في الصحيحين وغيرهما ، وكما في حديث : (تعرض عليّ اعمالكم فان وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم) وكما في حديث عرض اعمال الأحياء على الأموات ودعائهم لهم •

وقد ذكره ابن تيمية نفسه في فتاويه واعترف به ابن القيم كل الاعتراف وقرره اتم التقرير •

ومن محاسن المصادفات في هذا ما يقرره الأوربيون الآن مما يوافق ذلك ، وقد

Marfat.com

قرره قبلهم بعشرات القرون الفلاسفة الأقدمون مثل افلاطون وغيره من الفلاسفة ، فالمسألة متفق عليها بين علماء الدين وعلماء الدنيا ، او نقول بين المسلمين وغير المسلمين، او نقول بين اهل الأثر والنقل ، وبين اهل الفلسفة والعقل ، أما إذا اعترف الوهابيون بأن للأموات إدراكاً وعلماً وسماعاً وانهم يدعون ويردون السلام الى غير ذلك ، كما ورد في السنة ثم منعوا طلب ذلك منهم كانوا متناقضين ، او نقول كانوا ممن يسلم المقدمات وينازع في النتيجة ، او ممن يقطع اللوازم عن ملزوماتها وهو مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل ، على اننا ذكرنا في ذلك ما يقطع الشغب من اصله والمراء من أسّه ، وذلك هو الحديث الصحيح الذي رويناه عن عثمان بن حنيف في التوسل به في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد مماته وقد قال فيه :

يا محمد : اشفع لي عند ربك ، ولا معنى لشفاعة إلا الدعاء الذي يكون منه صلى الله تعالى عليه وسلم •

وفي الحديث الصحيح : اللهم إني اسألك بحق السائلين عليك ، وفي حديث آخر: بحق نبيك والأنبياء قبله ، فالتوسل بالصالحين والدعاء ثابت وواقع •

وقد قلنا في بعض ما كتبناه : لا معنى لكون هذا شركاً = كما يقوله الوهابيون = فان الحي إذا طلب من الميت الذي هو حي بروحه متمتع بلوازم الحياة وخصائصها فانما يطلب منه على سبيل التسبب والاكتساب لا على سبيل الخلق والايجاد ، لأنه ليس من المعقول ان يرفعه عن رتبة الحي ، وهو إذا طلب من الحي فانما يطلب منه على هذا الوجه لا على جهة الخلق والايجاد ، والطلب من المخلوق على سبيل التسبب ليس شركاً ولا كفراً ، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك •

ولو فرضنا ان الميت لا عمل له ، فان خطا المنادي او المستغيث على هذا الفرض انما هو في اعتقاد السببية لا الالوهية ، واعتقاد السببية في غير الله ليس هو اعتقاد الالهية كما يظنه الجاهلون ، وقد عرفت مما قدمناه انه ليس غلطاً ايضا وانما الغالطون هم الوهابيون وان كان التوسل بمنزلته عند الله فالأمر واضح ، لأن الموت لا يغير المنزلة عند الله تعالى

Marfat.com

س : هل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اهمل نوعاً من التوسل الى الله تعالى او ترك شيئاً مما يقرب الى الله تعالى ؟ •

ج : لم يهمل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً مما يقرب الى الله تعالى ، ولا ترك نوعاً من انواع التوسل •

وقد علمنا التوسل في حديث عثمان بن حنيف المتقدم ، بل توسل هو بحقه وحق الانبياء قبله ، وعرفنا ان آدم عليه الصلاة والسلام توسل به قبل وجوده ، وقد بين ذلك كله في الأعداد السابقة وبعد ، فماذا عسى ان يدل ذلك للسائل ، فلو فرضنا ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتوسل بالصالحين لأمكن ان يقال ان مقامه ارفع من كل مقام ، على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان غريقاً في العبودية ، وكان اعلم خلق الله باطلاق الربوبية وسعتها وبأن الكل عبيدها وتحت قهرها وليس هناك إلا فضلها الواسع وكرمها الشامل ، وانه لا بد من ظهور ذل العبودية على كل احد ، وذلك من تعظيم الربوبية ، ويعلم صلى الله تعالى عليه وسلم ان عبيد السيد المطلق لهم منازل عنده ، وان لكل منهم مزية لديه ، وان المقتضى لعطائه تعالى انما هو العبودية له عز وجل ، فلا بد ان يكون بينهم ارتباط العبيد وتبادل المنافع ، وعلى هذا قام بناء الكون ، كان صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الناس بذلك كله ، فطلب الدعاء من عمر وأمر عمر ان يطلب الدعاء من اويس القرني ، وسأل الله تعالى بحق الأنبياء قبله كما في حديث فاطمة بنت اسد ، وأمرنا ان نتوسل به إذا عرضت لنا حاجة الى الله تعالى ، فقال لذلك الأعمى : (فان كان لك حاجة فمثل ذلك) وقد فعلها الرجل الذي كان يتردد على عثمان بن عفان في خلافته ، وقد بيّنا ذلك اتم بيان ، على اننا نريد منكم ان لا تكفروا المسلمين بمثل هذا العمل الذي لا شيء فيه ، ونكتفي منكم ان تقولوا إنه مباح او خلاف الأولى او مكروه (إذا اردتم) •

ولو قلتم ذلك لاحتملناه منكم وان كان غير صحيح ، ولكن قومك ياحضرة السائل الذي يظن منه انه منصف وغير متعصب يعملون على خلاف ذلك •

س : هل ثبت ما يروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : (ما تركت شيئاً يقربكم

Marfat.com

الى الله إلاّ بينه لكم) ؟ واذا كان ثابتاً فهل الطلب من الأموات ان يدعوا للأحياء مما قاله الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر به وفعله أم لا ؟ •

ج : نعم ! ثبت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك ، ودعاء الأموات داخل في دعاء الأخ لأخيه الذي لا يمكنكم ان تمنعوه ، وقد عرفتنا السنة الصحيحة انه لا فرق بين الحي والميت في ذلك ، وان الميت يدعو كما يدعو الحي على ما سبق ، فان الموت ليس فناءاً او عدماً كما يظنه الجاهلون وانما هو انتقال من دار الى دار :

لا تظنوا المـوت مـوتـاً إنـه لحيـاة وهـو غـايـات المنى
لا ترعكم هجمة المـوت فمـا هـو إلا نقلـة مـن هـاهنـا

ولا نزال نكرر انه قد دعا آدم عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو لأمته في البرزخ ، بل آباؤنا يدعون لنا على ما عرفت وتعرف ، على اننا نكتفي منكم ان تقولوا انه مباح لا قربة او على الأقل لا تكفروا به المسلمين ، كما فعل إمامكم محمد بن عبد الوهاب على ما في الهدية السنية وغيرها •

وقد قلنا فيما كتبناه في العدد الثالث من هذه السَنَة انه لا وجه لذلك ، ولو قلنا إن الميت لا يمكنه ان يدعو او يفعل شيئاً فان الغلط على هذا الفرض يكون غلطاً في اعتقاد التسبب لا الالهية ولا نزال نكرر ان معتقد السببية في المخلوقات لا وجه لتكفيره ولا معنى له ، فان من يجعل غير السبب سبباً يكون جاهلاً لا كافراً ، ويكفي هذا •

س : هل بين الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ما أمر به من الوسيلة في آية المائدة عملاً بقوله تعالى : (يا ايها الرسول بَلِّغْ ما أُنْزِلَ اليكَ من ْ ربِّكَ) الآية أم لا ، ؟ •

ج : هذا السؤال غير محرر وتقويمه هكذا : هل بيَّنَ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الوسيلة التي أمر بها المؤمنون في سورة المائدة) ؟ فان المأمور بالوسيلة في هذه

Marfat.com

السورة مباشرة هم المؤمنون لا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وحده •

وان قلنا إنه صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل في عموم خطابها •

وقوله في تمام سؤاله : (عملاً بقوله تعالى) : (يا أيها الرسول بلّغْ ما أُنْزِلَ اليك من ربّك) ، جهل وتهويش ، فان الأمر والخطاب في هذه الآية خاص بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في تبليغه رسالة الله ووحيه الى جميع الخلق ، فهو حشووتكرار لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بلغ ما أمرت به امته من الوسيلة وبينها في سنته بياناً شافياً •

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : من حدثك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئاً مما انزل إليه فقد كذب ثم قرأت : (يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك) الآية = اخرجاه في الصحيحين = •

فالوسيلة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة ، والقرآن عربي نزل بلغة العرب ، ولا وجه لقصركم إياها على نوع خاص فانه قول بلا دليل ، على انه لا داعي لذلك كله فقد ثبت التوسل مصرحاً به في حديث عثمان بن حنيف وغيره ، وقد جاء في آخر الحديث المذكور : (فان كان له حاجة فمثل ذلك) ، وقد عمل به في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كما بيّناه فيما سبق من الاعداد •

س : هل يلزم من عدم دعاء الأموات ومخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم ؟ : واذا قلتم بالتلازم فبينوا لنا وجهه بالبرهان ، واذكروا لنا عن الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين من قال بجواز هذا النوع من التوسل •

ج : نعم : من كان مثلكم ينكر وجاهة الأنبياء والصالحين عند الله تعالى يجب ان ينكر كرامات الأموات ، فانه اذا لم يكن لهم وجاهة عند الله تعالى ، ولا يمكنهم ان يدعوا لنا ولا تستطيع أرواحهم ان تفعل شيئاً كما هو اعتقادكم ، فأي كرامة تكون لهم بعد

Marfat.com

ذلك ؟ وما معنى إثباتكم إياها وقد نفيتم عنهم كل عمل ؟ ، وكفّرتم المتوسل الى الله تعالى بجاههم ، فأي شيء يبقى بعد ذلك ؟ •

وأما طلبكم منا ذكر من جوز ذلك من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين فنقول: إن الأمة كلها قبل ابن تيمية وبعده على هذا الجواز ، ونتحداكم فنقلب السؤال عليكم فنقول :

هل يمكنكم ان تذكروا لنا عن الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين مَنْ منَعَ ذلك النوعَ من التوسل وقال انه شرك ؟ ، أليست المذاهب كلها مجمعة على توسل الزائرين لقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ، وقد ذكرنا لكم نص الحنابلة في ذلك وكذلك جميع الأئمة ، ولا سلف ولا سند لكم فيما تقولون بل جميع العلماء يصرحون بأن ذلك مطلوب من كل زائر لا جائز فقط فهذا هو الاجماع، وقد مر من الأدلة العقلية والنقلية ما يكفي ويشفي ، ثم نقول لكم ألم يعترف ابن القيم بأن الروح القوية لها من الأعمال بعد الموت ما لا تستطيعه حالة حياتها في الدنيا ؟ •

وقد وصل الأمر الى أئمتكم انفسهم ، فأنتم في اثبات كرامات الأولياء وغيرها متناقضون تارة مع الهوى وتارة مع الحق •

ويرحم الله من قال : المبطل لا بد أن يتناقض شاء ام ابى ، واما تضليلنا إياكم فانما هو لسلوككم نهج اسلافكم الحروريين كلاب النار بتكفيركم المسلمين واستباحة دمائهم واموالهم •

وقد تواترت الأحاديث عن النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم في ذمهم ، ولو قلتم ان الأولى ان يرجع الناس في كل امورهم الى الله تعالى بلا واسطة ، او قلتم ان هناك مقامات تسقط فيه الأسباب والوسائط ، كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه الصلاة والسلام ، (أما إليك فلا) ، عندما قال له (ألك حاجة) ، لو قلتم ذلك وسلكتم هذا المسلك لم ننكر عليكم ولم نشتد في مناقشتكم •

Marfat.com

ولو كان لكم رأي في المسألة غير التكفير لقلنا مجتهدون ظنوا ظناً والى الله امرهم وكم مجتهد أخطأ ، ولكن اولئك الذين اخطأوا لم يقدسوا انفسهم هذا التقديس ولم يحملوا الناس على رأيهم بالسيف لأنهم يجوزون ان يكون الحق في جانب غيرهم ويعلمون ما جاء عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ان (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وان من قال لأخيه المسلم : (يا كافر ان كان كما قال والا رجعت عليه) ، ولم يرض الامام مالك من المنصور العباسي ان يحمل الناس على الموطأ وهو هو عند مالك ، ولا من الرشيد ايضا ان يلزم الناس بمافيه احتراماً للأمة وعلمائها واتهاماً لنفسه ، شأن أئمة الهدى وورثة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، والجاهل لا يعرف غير تعظيم نفسه ، والعالم لا يعرف غير تعظيم ربه ومن تعظيم الله تعظيم من عظمه الله تعالى (ومن يعظِّمْ شعائرَ اللهِ فانَّهَا مِنْ تَقْوى القلوب) .

ثم قال السائل : لا يمكننا ان نسيغ توجه المسلم العارف بربه الآنس بذكره الى عبد من عباده ، انتقل من عالم الى آخر لا يعلم حاله فيه الا الله تعالى ، يسأله ويخاطبه بعد ان كان متلذذاً بخطاب الله تعالى ومناجاته ، ولا يخفى عليكم حديث ام العلاء في صحيح البخاري ، وفيه : انها شهدت لمهاجري وهو ابو السائب توفي عندها فقالت : اما شهادتي عليك لقد اكرمك الله) ، وان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها : (وما يدريك ان الله أكرمه) الى غير ذلك من الأحاديث من امثاله ، وكلها تدل على ان الأموات قد افضوا الى ما قدموا ، وانه لا يجوز لنا ان نحكم لأحد حكماً جازماً بأنه من اهل الجنة او من اهل النار إلا ما ورد النص بأنهم من اهل الجنة او من اهل النار ، كما ورد في اهل بدر وبعض الصحابة كعكاشة ابن محصن .

واقول إن حضرة السائل أدمج في هذا الكلام الخطابي اشياء لا نتركها بل نناقشه الحساب فيها ، اما التمويه بذكر توجه المسلم الى ربه وتلذذه بذكره فهو لذيذ في الأسماع يكاد يأخذ بمجامع النفوس ، ولكن هذا مقام تحقيق علمي لا ينفع فيه التمويه ولا تفيد فيه الخطابة .

وقد قلنا فيما سبق : لو كان رأيهم ان هذا هو مقام الكمال لم نتعرض له ، ولكنهم

Marfat.com

كفروا المسلمين المتوسلين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصالحين من امته ،فأين هذا مما يقوله السائل ؟ ، فان كان يريد ان الاشتغال بذكر الله تعالى ومناجاته أولى فليس الخلاف بيننا وبينه في الأولوية ، ولكن الناس درجات بعضها فوق بعض ، فلا حرج على من يلتفت للأسباب والوسائط ، عالماً ان الله تعالى هو الأول والآخر ، فهو ممد كل شيء والمفيض على كل شيء ، واليه يرجع الأمر كله ، ولا على من ترك الأسباب ثقة بالمسبب فكان غريقاً في قدرته ناظراً الى حكمته ، فلا حرج على ذاك ولا على هذا •

وان صح ان تقول إن بعضهم افضل من بعض ، وهل ما ذكره السائل من حديث التلذذ والانس الذي قطعه خطاب الأموات صحيح ام هو تمويه وخيال ؟ ، ولماذا لا يقول مثل ذلك في الطلب من الأحياء ؟ ، أليس الأنس بالله ومناجاته خيراً من الطلب من الأحياء ايضا ؟ ، ولو كان المطلوب منه وزيراً او ملكاً او خليفة) ام التفضيل الذي ذكره لا يتحقق إلا بين الطلب من الله تعالى والطلب من الأموات ؟ •

وقد ادمج في كلامه ما يلهج به كثير من الجهلة من ان الميت لا ندري حاله ولا ما مات عليه ، وهو سوء ظن كبير بالمسلمين بل بالله تعالى •

فنلفت نظر السائل الى ان من عاش على شيء مات عليه كما في الحديث الشريف فهذه هي سنة الله الغالبة ، وما عدا ذلك فشاذ لا يقاس عليه لحكمة يعلمها هو •

ثم نقول : ان الامور في هذا العالم مبنية على الظن حتى الامور الشرعية والأحكام الفقهية ، وعلى هذا يجب ان نغسل أمواتنا ونكفنهم ونصلي عليهم وندفنهم في مقابر المسلمين ونورث ورثتهم اموالهم إلى غير ذلك ، ولسنا على اليقين الذي يريده السائل من امرهم : (ولكن ذلك اليقين لم يشترطه أحد) ، فعلينا ان نعد من عاش في حياته على خير وصلاح من اهل الخير والصلاح بعد موته ، ولا يجوز لنا غير ذلك اتباعاً لتلك الوساوس التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان •

وليت شعري ، هل إذا رمينا احدهم بأن اباه لا ندري ما حاله امسلم هو ام كا

Marfat.com

افينضب ام لا ؟ وهل يريد ان لا نعمل شيئاً الا على جزم ويقين ، إذاً يختل أمر هذا الوجود وتبطل أحكامه •

اما حديث عثمان بن مظعون الذي اشار اليه السائل ، فالمراد منه انه ينبغي الخوف من سمة التصريف الالهي وان مرتبة العبودية لا تتخطّى مقام الرجاء والضراعة •

وأم العلاء قد قطعت على الله تعالى انه مكرمه على سبيل الجزم فأخرجت ذلكمخرج الشهادة •

وأظن انها لو شهدت له بالدينوالصلاحلتغير جوابرسول اللهصلى الله عليه وسلم•

وقد قال في آخر الحديث : واني لأرجو له الخير ، فهل يفرق السائل بين رجاء الخير وظن الخير ؟ ، ولماذا لم يذكر لنا ما اخرجه البخاري عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ؟ •

قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال : وجبت •

فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما وجبت : قال : هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض ، او ما اخرجه عن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (أيما مسلم شهد له أربعة بخير ادخله الله الجنة) فقلنا : وثلاثة ، قال : وثلاثة ، فقلنا : واثنان قال : واثنان) •

ثم لم نسأله عن الواحد ، او ما اخرجه ايضا من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في شهداء احد : (انا شهيد على هؤلاء) •

ثم نقول للوهابية جميعاً لماذا لم تذكروا او تؤمنوا بما اخرجه البخاري ايضا من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (والله ما أخشى عليكم الشرك ولكن أخشى ان تُبْسَط

Marfat.com

عليكم الدنيا فتنافسوها) الى آخره ما انتم الا مناوئون مكذبون للذي لا ينطق عن الهوى في قوله : هذا يحكمكم على أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بالشرك الذي لا يخافه عليهم واستباحتكم دماءهم واموالهم •

ونقول له ايضا : يكفينا الظن وتحسين الظن بعامة المسلمين مطلوب شرعاً فكيف بالخاصة الصالحين منهم ، وأما الجزم الذي تريده فلم يقله أحد من العلماء •

ثم قال السائل : وإن من المجازفة ان نزيد على حسن الظن فيمن لم يرد فيهم شهادة من المعصوم ، ونحن نقول له : إن من المجازفة ان تسيء الظن بمن لم يرد فيهم ذم عن المعصوم ، خصوصاً من ظهرت عليه علامات الخير والصلاح او ظهرت له كرامات في حياته وبعد مماته ، وتجويز ان يكون قد تغير حاله هو من سوء الظن بالمسلمين بل بالله تعالى كما انه عقوق للآباء والأجداد ، وما معنى الزيادة التي زدتها حضرتك ، وليس ذلك كله إلا أثراً لحسن الظن ومبنياً عليه •

ثم قال السائل : وكم اكون مسروراً جداً إذا عثرت لنا على نص صريح في هذا النوع من الوسيلة •

واقول : ذكرنا من الأدلة العقلية والنقلية الشيء الكثير وقد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول •

وقد قلنا إن من يثبت الحياة والادراك والعلم للأرواح ثم يمنع التوسل والاستغاثة بها متناقض غاية التناقض قاطع للملزوم عن لوازمه ، وقد ذكرنا إجماع الأئمة على التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم عند زيارته ولو لم يكن في الموضوع إلا حديث عثمان بن حنيف لكان كافياً شافياً ، وعلى الجملة فقد أجمعت الشرائع كلها والفلاسفة الأقدمون والفلاسفة العصريون ، او نقول المسلمون والأوربيون والأمريكيون والهندوس على إثبات الحياة ولوازمها للأرواح ، وعلى ان لها من الاطلاق وسعة التصرف ما لم يكن لها حال حياتها في هذا العالم ، وهو عين ما قرره ابن القيم في كتاب الروح ، اسأل الله تعالى أن يزيل عنا حجاب المادة وكثافة الطبيعة وظلمة الأشباح بمنه وكرمه •

يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالأزهر

Marfat.com

افتراء ابن القيم على الله في كتابه العزيز

وعلى كليمه موسى عليه الصلاة والسلام

وقال ابن القيم ايضا في كتابه ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٩٣ ما نصه : فداء التعطيل هو الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى الله عن امام المعطلة فرعون انه أنكر على موسى عليه الصلاة والسلام ما أخبر به من ان ربه فوق السماوات: (يا هامان ابْنِ لي صرحاً لعلّي أبْلُغُ الاسْبابَ أسبابَ السماواتِ فأطلعَ الى إلهِ موسى واني لأظنّه كاذباً) واحتج الشيخ ابو الحسن الأشعري في كتبه على المعطلة بهذه الآية ، وقد ذكرنا لفظه في غير هذا الكتاب ، وهو (اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية في إثبات العلو) = انتهى بشينه ومينه = •

اقول : لقد افترى على الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وافترى على كليمه موسى عليه الصلاة والسلام افتراء مكشوفاً لكل مسلم يقرأ القرآن ، وصرح بكل وقاحة وبدون حياء ، والحياء من الايمان ،فرمى برجيع تشبيهه كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام في قوله (إن فرعون انكر على موسى ما أخبر به من ان ربه فوق السماوات) ، فقد قص الله تعالى محاورة كليمه موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون ، لعنه الله تعالى في عدة سور من كتابه العزيز وبينها احسن بيان•

استفاد عقيدته بأن ربه في السموات او فوق السموات

او استوى على العرش بذاته او حقيقته اى فرق عرشه بائن من خلقه في شيخه وشيخ شيخه الشيطان ومن فرعون

ولم يذكر تعالى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال في محاورته لفرعون : (ان ربي فوق السماوات او فوق العرش) فاعتقاده بأن ربه في السماوات او فوق السماوات،

Marfat.com

او استوى على العرش بذاته ، او حقيقته ، او يقعد نبيه معه على العرش يوم القيامة ، او فوق عرشه بائن من خلقه ، انما استفاده من وحي شيخه وشيخ شيخه الشيطان ومن فرعون ، ولم يستفده من وحي الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل مصيبة تشبيه يلطخون بها علماء الاسلام فهي دون تلطيخ رسل الله عليهم الصلاة والسلام بها.

فقوله : (واحتج الشيخ ابو الحسن الأشعري في كتبه الى آخر الهراء) بهتان على الامام ابي الحسن الأشعري ، وقد دسوا في إبانته رجيع تشبيههم .

ابن القيم كذاب في كل ما يعزوه الى الاشعري

واتباعه نفيا واثباتا

وقد تقدم في حاله انه كذاب في كل ما يعزوه الى الامام الأشعري وأتباعه من العقائد نفياً واثباتاً ، وجيوشه المجتمعة على حرب .... هم مشايخه المجسمة جزماً ، والمعطلة والجهمية شيء واحد ، ومقصوده بهم الأشاعرة والماتريدية جزماً ، أي الشافعية والحنفية والمالكية وفضلاء الحنابلة ، والأمة الاسلامية في زمنه وقبله وبعده الى زمننا هذا متمثلة فيهم ، فليتبصر العقلاء في هذا المجسم الذي لأجل تجسيمه افترى على الله تعالى، وافترى على كليمه موسى عليه الصلاة والسلام ، وافترى على الامام ابي الحسن الأشعري، ونبز الأمة الاسلامية المنزهة لله تعالى عن الجهة والتجسيم بالتعطيل والتجهيم واتباع فرعون ، وَلْيَكَلّ له بعد هذا الفاظ الاطراء كما كيلت لشيخه ، إذا علم هذا :

من المحال ان تكون هذه الامة المحمدية الممدوحة

محصورة في اقلية مكفرة لها

١ ـ فمن المحال ان تكون هذه الأمة المرحومة الممدوحة في كتاب الله تعالى بأنها خير أمة اخرجت للناس محصورة في اقلية مكفرة لها .

Marfat.com

٢ ـ وأن يكون الصحابة الذين اثنى الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في آيات كثيرة وأثنى عليهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهى وحذر من سبهم وأذاهم ،على الباطل.

٣ ـ وأن يكون المكفرون لهم ، على الحق .

٤ ـ وأن يكون المبغضون المكفرون الذين أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم على الحق.

٥ ـ وأن يكون السواد الأعظم من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم المستغفرون لهم المترضون عنهم ، على الباطل .

٦ ـ وأن يطرد السواد الأعظم من امته صلى الله تعالى عليه وسلم عن حوضه عليه الصلاة والسلام ويرده الأقلون المبدلون السابون المكفرون .

٧ ـ وأن يكون الأقلون المبدلون المكفرون ثلثي اهل الجنة .

٨ ـ وأن يكون الأقلون المزدرون عباد الله المكفرونهم المشبهون الله جل جلاله بخلقه المفترون على كتابه وعلى سنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى السلف الصالح وعلى أئمة الدين وعلمائه ، على الحق .

٩ ـ وأن يكون جمهور الأمة الاسلامية المنزهون الله جل جلاله عن مشابهة المخلوقات ، على الباطل .

١٠ ـ وأن يكون شيخ المجسمة محمد بن كرام وحده على الحق ، والأمة الاسلامية المنزهة لله تعالى عن مشابهة المخلوقات كلها ، على الباطل .

١١ ـ وأن يكون المفسر المقام المحمود بجنوس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ربه على العرش ، صادقاً ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي فسره بالشفاعة كاذباً .

١٢ ـ وأن يكون جماعة المسلمين المفسرون المقام المحمود بالشفاعة اتباعاً لرسول

Marfat.com

الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي فسره بها ، مخطئين ، والمروزي المفسره بجلوس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله تعالى على العرش ، مصيباً •

١٣ ـ وأن تكون الأمة الاسلامية كلها مخطئة في عملها واعتقادها ان شد الرحال الى زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قربة •

١٤ ـ وأن يكون احمد بن تيمية وحده في قوله واعتقاده ان شدّ الرحال الى زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصية لا يجوز قصر الصلاة فيه ، مصيباً •

١٥ ـ وأن تكون الأمة الاسلامية المجوزة التوسل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والصالحين المثبتة لجاهه وجاههم عند الله تعالى احياء وأمواتا كلها مخطئة مشركة •

١٦ ـ وأن يكون احمد بن تيمية المفرق بين الحي والميت في التوسل المجيزه بالأول فيما يقدر عليه المانعة بالثاني مطلقاً النافي لجاه ومنزلة الأنبياء والصالحين عند الله تعالى ، مصيباً موحداً •

١٧ ـ وأن يكون احمد بن تيمية في تقسيمه التوحيد الى توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية وفي زعمه ان المسلمين كلهم جهلوا توحيد الالوهية ولم يعرفوا إلا توحيد الربوبية الذي شاركهم في معرفته جميع الكفار ، مصيباً موحداً والامة الاسلامية كلها صحابة وغيرهم الى يوم القيامة مخطئة مشركة في زعمه حيث جهلوا توحيد الألوهية ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية •

١٨ ـ وأن يكون احمد بن تيمية في تقسيمه التوحيد الى : توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية ، وفي زعمه معرفة جميع الثقلين توحيد الربوبية ، وفي زعمه جهل الامة الاسلامية توحيد الالوهية ، عالماً بهذه الثلاثة ، ومحمد بن عبد الله الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم جاهلاً او كاتماً لما انزل عليه من وحي الله حيث لم يعلّم امته تقسيم التوحيد الى توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية ، ولم يعلّمهم توحيد

Marfat.com

الألوهية حتى يعصمهم به من الشرك ولم يقل لهم إن توحيد الربوبية قد شارككم في معرفته جميع الكفار ، نعوذ بالله تعالى من زلقات اللسان وفساد الجنان ٠

ابن تيمية في تقسيمه التوحيد إلى قسمين

وقد ابطلت تقسيمه التوحيد والزعمين فيه في الفصل الثاني من هذا الكتاب بوجوه كثيرة مفصلة مبرهنة ، وأزيد هنا فأقول : كل من له إلمام بالعلم يعلم انه في هذا التقسيم للتوحيد وفي الزعمين مفتر على الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز مشاقق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متبع غير سبيل المؤمنين ٠

أما افتراؤه على الله فانه تعالى لم يأمر عباده بتوحيد الالوهية لجهلهم له دون توحيد الربوبية لعلمهم إياه ، بل أمرهم بالتوحيد أمراً مطلقاً ٠

قال تعالى : (فاعلم انه لا اله الا الله) وهكذا جميع الآيات التي ذكر فيها التوحيد لم تقيد بتوحيد الالوهية ٠

وأمّا مشاقته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان سنته عليه الصلاة والسلام بيان لكتاب الله تعالى ٠

تواتر الاحاديث في انه صلى الله عليه وسلم

كان يامر الناس بكلمة التوحيد امرا مطلقا بدون تقيد ولا تقسيم

وقد استفاضت وتواترت بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان يدعو الناس الى توحيد الالوهية الذي جهلوه فعبدوا الأصنام دون توحيد الربوبية الذي علموه كلهم

Marfat.com

= على زعمه = وما كان يعلم اصحابه توحيد الالوهية ، وما كان يأمر الدعاة المبعوثين من اصحابه الى الناس بذلك ، بل تواترت بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يأمرهم ويخبرهم بكلمة التوحيد مطلقاً وينهاهم ويحذرهم عن قتل من قالها •

فمنها حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عنه عليه الصلاة والسلام انـه قال : (أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسـلام وحسابهم على الله) = رواه الشيخان = ، ولم يقل عليه الصلاة والسلام : (أمرت ان اقاتل الناس حتى يعرفوا توحيد الالوهية) •

ومنها حديث وفد عبد القيس ، قالوا : يا رسول الله انا لا نستطيع ان نأتيك إلا في الشهر الحرام فأمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فأمرهم بالايمان بالله وحده •

قال : (أتدرون ما الايمان بالله وحده؟ قالوا : الله ورسوله اعلم) قال : (شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس) •

وقال : (إحفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم) = رواه الشيخان عن ابن عباس = ، ولم يقل عليه الصلاة والسلام في تفسير الايمان لهم بأنه توحيد الالوهية •

ومنها حديث انس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يغز حتى يصبح فاذا سمع آذاناً أمسك وان لم يسمع أذاناً أغار بعد ما يصبح) = رواه الامامان احمد والبخاري = ، فجعل عليه الصلاة والسلام الأذان عاصماً للدم والمال •

ومنها حديث اسامة رضي الله عنه في قتله الاعرابي بعدما قال : لا اله الا الله فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : (كيف تصنع بلا اله الا الله يوم القيامة ؟) ، فقال :

Marfat.com

يا رسول الله انما قالها خوفاً من السيف ، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم : (فهلا شققت عن قلبه حتى تعلم انه قالها لذلك) وجعل صلى الله تعالى عليه وسلم يكرر عليه : (كيف لك بلا اله الا الله يوم القيامة ؟) قال اسامة : حتى تمنيت اني لم أكن اسلمت إلا يومئذ = رواه الشيخان = .

وابلغ منه حديث المقداد رضي الله تعالى عنه انه قال : يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من المشركين فقطع احدى يدي بالسيف ثم لاذمني بشجرة وقال لا اله الا الله ، أفأقتله يا رسول الله بعد ما قالها ؟ ، قال : (لا تقتله) ، فقلت : يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ، ثم قال ذلك بعد ان قطعها أفأقتله ؟ قال : (لا تقتله فان قتلته فانه بمنزلتك قبل ان تقتله وإنك بمنزلته قبل ان يقول كلمته التي قال) = رواه الشيخان = وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين)

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أرسله الى بني جذيمة ، فقتل منهم ناساً ، قالوا صبأنا لم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا متأولاً = رواه الامامان احمد والبخاري = .

وحديث معاذ رضي الله تعالى عنه لما بعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن فقال له : (انك تأتي اقواماً اهل كتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فان هم اطاعوا لذلك فأعلمهم الى آخره) = رواه الإمام البخاري = .

وحديث ابي ذر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) = رواه الشيخان = .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) .

وفي الصحيحين ايضاً من حديث ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه

Marfat.com

وسلم انه قال : (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبها كذلك) •

وفي الصحيحين ايضا عن ثابت بن الضحاك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : (من قذف مؤمناً بالكفر فهو كقتله) •

وفي الصحيح من حديث ابي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (أيما رجل قال لأخيه :(ياكافر فقد باء به احدهما)• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (كفوا عن اهل لا اله الا الله لا تكفروهم بذنب فمن كفر اهل لا اله إلا الله فهو الى الكفر اقرب) = رواه الطبراني = •

وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (خير ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) = رواه الترمذي = ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً •

واما اتباعه سبيل غير المؤمنين : فان الصحابة عموماً والخلفاء الراشدين الذين حث صلى الله تعالى عليه وسلم على اتباع سنتهم بقوله (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) خصوصاً لم يكونوا في تعليم التابعين يفرقون لهم بين توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية ، بل ما كانوا يخوضون في اصول الدين الا نادراً ، وإنما يخوضون ويتناظرون في العمل أي الفروع ، وما كانوا في دعوتهم الأمم الى الاسلام يقسمون لهم التوحيد الى توحيد الا وهية وتوحيد الربوبية ، وهكذا التابعون وأتباعهم ، ولذلك قال إمام دار الهجرة : ما أدركت الناس يخوضون إلا فيما تحته عمل•

Marfat.com

ومن المحال ايضا صدق محمد بن عبد الوهاب

في زعمه ان الامة الاسلامية كفرت منذ ستمائة سنة

١٩ – ومن المحال أن يكون محمد بن عبد الوهاب صادقاً في قوله إن الأمة الاسلامية كفرت منذ ستمائة سنة ، ومحمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى كاذباً في قوله : (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة) .

ومن المحال ايضا صدق محمد بن عبد الوهاب

في حصره هذه الطائفة فيه وفي مقلديه

٢٠ – ومن المحال ايضا صدق محمد بن عبد الوهاب في حصره الطائفة التي على الحق فيه وفي مقلديه ، وكذب الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم في اطلاقه وعدم تقييده لها بزمان ومكان واناس .

ومن المحال ايضا صدق محمد بن عبد الوهاب

في قوله إن اهل جزيرة العرب مشركون قبوريون

٢١ – ومن المحال ايضا صدق محمد بن عبد الوهاب في قوله : إن اهل جزيرة العرب كلهم صاروا مشركين قبوريين عبدوا الأنبياء والأولياء بتوسلهم واستغاثتهم بهم ، وكذب الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله : أيس الشيطان ان يعبده المصلون بجزيرة العرب إلا بالتحريش بينهم .

Marfat.com

ومن المحال ايضا كذب الذي لا ينطق عن الهوى

٢٢ ـ ومن المحال ايضا كذب الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله : (لا هجرة بعد الفتح) الذي دل كما قال علماء الاسلام على ان مكة لا تزال بعد فتحه صلى الله تعالى عليه وسلم لها دار اسلام الى قيام الساعة ، وصدق محمد بن عبد الوهاب ومقلديه في زعمهم ان مكة دار شرك حتى يفتحوها هم •

٢٣ ـ ومن المحال ايضا كذب الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله : ان الله تبارك وتعالى حرم مكة منذ خلقها وانها لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت) ، وصدق محمد ابن عبد الوهاب ومقلديه في زعمهم ان مكة دار شرك لا حرمة لها يحل القتال فيها •

ومن المحال ايضا تنقيب محمد بن عبد الوهاب

عن قلوب المتوسلين وعلمه بمقاصدهم

٢٤ ـ ومن المحال ايضا ان ينقب محمد بن عبد الوهاب عن قلوب المسلمين المتوسلين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصالحين من امته ويشق بطونهم فيعلم انهم عبدوا المتوسل به من دون الله تعالى فيحكم عليهم بالشرك والكفر ، والذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : إني لم أؤمر ان انقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم•

ومن المحال ايضا صدق وتوحيد محمد بن عبد الوهاب

٢٥ ـ ومن المحال ايضا صدق وتوحيد محمد بن عبد الوهاب في زعمه ان التوسل بالأنبياء والصالحين شرك ، وكذب وشرك الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم في توسله بالأنبياء قبله وأمره بالتوسل به •

Marfat.com

ومن المحال ايضا ان يكون محمد بن عبد الوهاب

في حظرِه التوسل بالانبياء والصالحين وزعمه شرك المتوسل بهم منقبا على الحق

٢٦ – ومن المحال ايضا ان يكون محمد بن عبد الوهاب في حظره التوسل بالأنبياء والصالحين وزعمه شرك المتوسل بهم ، على الهدى والحق ، والأمة الاسلامية المتوسلة بهم على الضلال والباطل .

ومن المحال ايضا ان يكون محمد بن عبد الوهاب

في قوله وحكمه على المسلمين المتوسلين بالانبياء والصالحين بالشرك صادقا

٢٧ – ومن المحال ايضا ان يكون محمد بن عبد الوهاب في قوله وحكمه على المسلمين المتوسلين بالأنبياء والصالحين بالشرك صادقاً ، والذي لا ينطق عن الهوى صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله : (عليكم بالجماعة وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية) وفي قوله : (إن الله تعالى لا يجمع امتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار) كاذباً .

أحاديث في أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم

وقد وردت أحاديث كثيرة في خيرية وأفضلية هذه الأمة على سائر الأمم ، وفي افضلية نبيها على سائر المخلوقات ، وفي كونها مرحومة ، وفي كثرتها ودخولها الجنة ، اخرج الشيخان والامام احمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام

Marfat.com

تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته) ، واخرجه مسلم ايضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها بلفظ (خير الناس القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث) •

واخرجه الطبراني عن ابن مسعود ايضا بلفظ : (خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيء اقوام لا خير فيهم) ، واخرجه الطبراني ايضا والحاكم عن جعدة بن هبيرة رضي الله تعالى عنه بلفظ : (خير الناس قرني الذي انا فيهم ثم الذين يلونهم والآخرون أرذال) •

واخرجه الشيخان والترمذي والحاكم ايضا عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما بلفظ : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن) وكل رواياته صحيحة •

وهذه الخيرية معتبرة في الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بالنسبة الى التابعين في جميعهم ، ومعتبرة في التابعين على اتباعهم في مجموعهم ، وخيرية الأمة تستلزم خيرية نبيها وافضلية دينها إذ لا شك ان خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته اعلى واجل وذاته افضل واكمل ، كما صرح به قوله تعالى : (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) ، فانه تعالى وصف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالأوصاف الحميدة ، ثم أمره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم ان يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما تفرق فيهم •

وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تنصل كل منهم واعترافه بأنه ليس اهلاً لها التصريح بذلك ايضا ، وكذلك الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وابو داود عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وهو (انا سيد ولد آدم يوم القيامة) وهو عند احمد والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد بزيادة (ولا فخر وبيدي

Marfat.com

لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وانا اول شافع ومشفع ولا فخر) .

وعند الترمذي عن انس رضي الله تعالى عنه : (انا اوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك غيري) ، وهو صريح في دخول آدم كحديث البخاري وغيره : (انا سيد الناس يوم القيامة) ، وحديث : (انا سيد العالمين) = صححه الحاكم =

وبذلك تعلم افضليته على الملائكة لأن آدم افضل منهم بنص الآية .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : جلس اناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون قال بعضهم : ان الله اتخذ ابراهيم خليلاً .

وقال آخر : موسى كلمه الله تكليما .

وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه .

وقال آخر : آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خنيل الله وهو كذلك ، وموسى نجي الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وانا حبيب الله ولا فخر ، وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وانا اكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر) = رواه الترمذي وغيره = وهذا صريح في شموله الانبياء والملائكة .

وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه) = رواه الامام البخاري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه = .

Marfat.com

الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) ، واخرج الامام البخاري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (كل امتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا ومن يأبى ؟ قال : (من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى) ، واخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالىعنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (ان الله لا يجمع امتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار) ، واخرج ابو داود عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : (إن امتي امة مرحومة [illegible] في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل) •

واخرج الترمذي و[illegible] عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] ترى آخره خير أم اوله) •

واخرج الامام احمد [illegible] الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن بريدة والطبراني عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ابي موسى قالوا : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (اهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة واربعون من سائر الامم) •

واخرج الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفاً او سبعمائة الف متماسكين آخذ بعضهم بيد بعض لا يدخل اولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر) •

واخرج الترمذي عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة سبعون الفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي) • والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات •

CHAN OFSET -. TEL- : 87 34 45

Marfat.com

Marfat.com

PRICE 15 TL.

Marfat.com